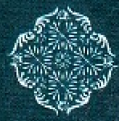


تنبيه أولي الأبصار

إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار



تأليف:

الدكتور صالح بن سعد السحيمي

أستاذ مساعد في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

قدم له:

فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان / والشيخ حمود بن عبدالله التويجري



تأليف

الدكتور صالح بن سعد السحيمي

قــدم له

فضيلة الشيخ الدكتور صالح ابن فوزان الفوزان/ وفضيلة الشيخ/ حمود بن عبدالله التويجري

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

الناشر

دار إبن حزم للنشر والتوزيع

الرياض



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosailililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، أمرنا بالاتباع. ونهانا عن الابتداع، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أمر الله أن يُتّبع ويطاع. وعلى آله وأصحابه وسائر الأتباع. وبعد،

فإن الله سبحانه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. وأكمل به الدين وأتم به النعمة. فبلغ البلاغ المبين. وبيّن البيان الكافي. وترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها. ما ترك خيرا إلا دلّ أمته عليه. ولا شرا إلا حذرها منه. وقد أمرنا الله بطاعته واتباعه. ونهانا عن مخالفته. فقال سبحانه: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهو﴾. لأن في طاعته الخير العاجل والآجل. وفي مخالفته الشر العاجل والآجل. وجعل سبحانه اتباع هذا الرسول ﷺ علامة على محبة الله وسببا لحصول محبته لعبده ومغفرته لذنوبه. قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾. فمن زعم أنه يصل إلى الله وينال محبته ومغفرته من غير اتباع هذا الرسول ﷺ فهو كاذب كافر خاسر. قال تعالى: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾. كما أن من عمل عملا يتقرب به إلى الله لم يشرعه الله ورسوله ﷺ فهو مردود عليه، لا يزيده من الله إلا بعدا. ولا ينال به إلا مقتا وردا ـ قال ﷺ: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) لأنه عمل مبتدع (وكل بدعة ضلالة). فالبدعة ضلالة والسنة هداية. قال الله تعالى: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾. والبدعة: كل ما أحدث في الدين وهو ليس منه. ولو حسنت نية فاعلها فهي ضلالة ورد وبعد عن الله ـ وإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب على أهل العلم أن يبينوا للناس السنن ويأمروهم بالتزامها والعمل بها وترك ما خالفها من البدع والمحدثات. كما قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا

تكتمونه﴾. خصوصا عندما تخفى السنن وتظهر البدع ويقل الفقهاء ويكثر القراء وينشط دعاة الضلال. فحينئذ يجب على كل عالم بصير بالسنن أن يقوم بواجب الدعوة والبيان من خلال الإذاعات والصحف والمجلات، ومن خلال المحاضرات والندوات، ومن خلال الخطب في الجمع والأعياد، ومن خلال الدروس في المساجد والمدارس في مختلف مراحل الدراسة، ومن خلال النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ومن خلال تأليف الكتب والرسائل والنشرات. وهكذا يجب على أهل العلم أن يستغلوا كل مناسبة ويستخدموا كل وسيلة نافعة لبيان الحق وقمع الباطل. ويصيحو بأهل الباطل من كل جانب حتى يردوا كيدهم ويدفعوا باطلهم ويزهقوه: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق﴾. ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾. وهكذا لا يتقابل جيش الحق مع جيش الباطل إلا اندحر جيش الباطل وانتصر جيش الحق كما قال تعالى: ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾. ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾. لأن جيش الحق متسلحون بالحجج الربانية. والبراهين القطعية وقائدهم رسول الله ﷺ. وجيش الباطل سلاحهم الكذب والدجل وقائدهم الشيطان وهم أولياؤه: ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾.

ولقد قام أخونا فضيلة الدكتور الشيخ: صالح بن سعد السحيمي بإسهام مشكور في أداء هذا الواجب فألف كتابا في التحذير من البدع وبيان أخطارها، وتشخيص أنواع خطيرة منها تظهر في الساحة الإسلامية اليوم، والرد على مروجيها ومشجعيها من ذوي الأفكار المسمومة والعقائد الملوثة. أو من ذوي الجهالة وضحالة المعلومات. الذين انطلت عليهم هذه البدع بسبب ما يحاك حولها من دعايات ومغريات بالوعيد والوعود. فجزاه الله خيرا على ما بين. وأثابه على ما كتب. وأعانه على مواصلة الجهود الطيبة في هذا السبيل وغيره مما فيه دفاع عن الإسلام ونفع للمسلمين وإظهار للحق ودحض للباطل. وقد سمى كتابه: «**تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار**» وهو اسم طابق مسماه. حيث بيّن فيه كمال هذا الدين وأنه لا يقبل أي إضافة. وأنه لا نجاة إلا بالاعتصام به والاقتصار على العمل بما جاء فيه. ثم تناول موضوع البدع وأخطارها وذكر منها

نماذج حية تهدد مجتمعات المسلمين بأمراضها الوبائية إذا لم يحجر عليها وعلى أصحابها ويعمل على القضاء على جراثيمها. ومن أخطرها بدعة التصوف وبدعة البناء على القبور. وبدعة الانتماءات إلى جماعات مشبوهة تتخذ من اسم الدعوة إلى الإسلام ستارا تختفي وراءه لاصطياد السذج.

وهكذا صار أمر الدعوة إلى الإسلام مادة للدعاية يستغلها كل مغرض وكل من يريد الشهرة. بل صارت جدارا قصيرا يتسوره كل جاهل أو قليل البضاعة في العلم ـ حتى إن من هؤلاء وهم كثير من يحتاج هو إلى دعوة وتبصير. كما حصل من بعض قادتهم جهالات فظيعة في بعض كتبهم تطاولوا بها على سنة الرسول ﷺ وطعنوا في أحاديث صحيحة. وغيره كثير. فضحتهم كتبهم ودلت على ما يعانونه من جهل ذريع. إن خطر هؤلاء على الإسلام أشد من خطر أعدائه كما قيل: «عدو عاقل خير من صديق جاهل». وقال الشاعر:

لا يبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

ومن هنا وجب على كل من عنده علم وبصيرة أن يبين خطر هذه الجماعات والأحزاب التي ظهرت على الساحة باسم الدعوة إلى الإسلام. وكثير من أفرادها بل ومن قادتها لا يعرفون حقيقة الإسلام وما يناقضه أو ينقصه. ولا يحملون مؤهلات الدعوة إليه.

ولقد كان لأخينا الدكتور صالح بن سعد السحيمي في كتابه المذكور إسهام جيد في كشف هذا الخطر الزاحف والتحذير منه، لأن هذه الجماعات المشبوهة تجلب معها من البدع والخرافات ما يشوه الإسلام ويغطي على السنن. ويندس بين صفوفها من المغرضين والجهلة من يروج لهذه الجرائم إما بقصد أو بغير قصد. وكي لا نُتَّهمُ بالتحامل على هؤلاء فإننا نحيل على كتبهم ومقالاتهم في الصحف والمجلات. ونحن لا نريد التشهير. وإنما نريد التذكير ـ ونسأل الله لنا ولهم الهداية إلى معرفة الحق والعمل به، ومعرفة الباطل واجتنابه والتحذير منه ـ ولا ننسى المتصوفة والقبورية وما يشكلون من خطر على الإسلام والمسلمين.

وقد أعطاهم الدكتور صالح نصيبا وافرا من اهتمامه. وذلك لشدة خطرهم وعظيم ضررهم. فمن هؤلاء من يدعي محبة الرسول ﷺ ويقيم الاحتفالات في المناسبات البدعية في يوم مولده وفي ليلة الإسراء والمعراج وفي أيام هجرته. ويظن أن إقامة هذه الاحتفالات البدعية تعطي دليلا على محبته ﷺ. فاعلم أن الرسول ﷺ يكره هذه الاحتفالات ويغضب منها لأنها بدع وهو لا يرضى بالبدع.

وربما يظن بعضهم أن محبة الرسول ﷺ تكفي عن العمل. كما أن بعضهم يظن أن مجرد كونه من بيت الرسول أو من قرابته يكفي عن العمل. مع أن الرسول ﷺ قال لأقرب الناس إليه: عمه وعمته وبنته: (اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا). وأنزل الله في عمه: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب.﴾ السورة. بل إن بعضهم يظن أن مجرد تسميته بمحمد يكفيه عن العمل. كما قال البوصيري:

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

وهكذا يبلغ الإعراض عن الكتاب والسنة والاشتغال بالبدعة بأهله حيث يبعدهم عن الله ورسوله ويهوي بهم في مكان سحيق. كما قال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين. وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون. حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين﴾. نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى. ومن العمى بعد البصيرة. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قاله وكتبه:

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

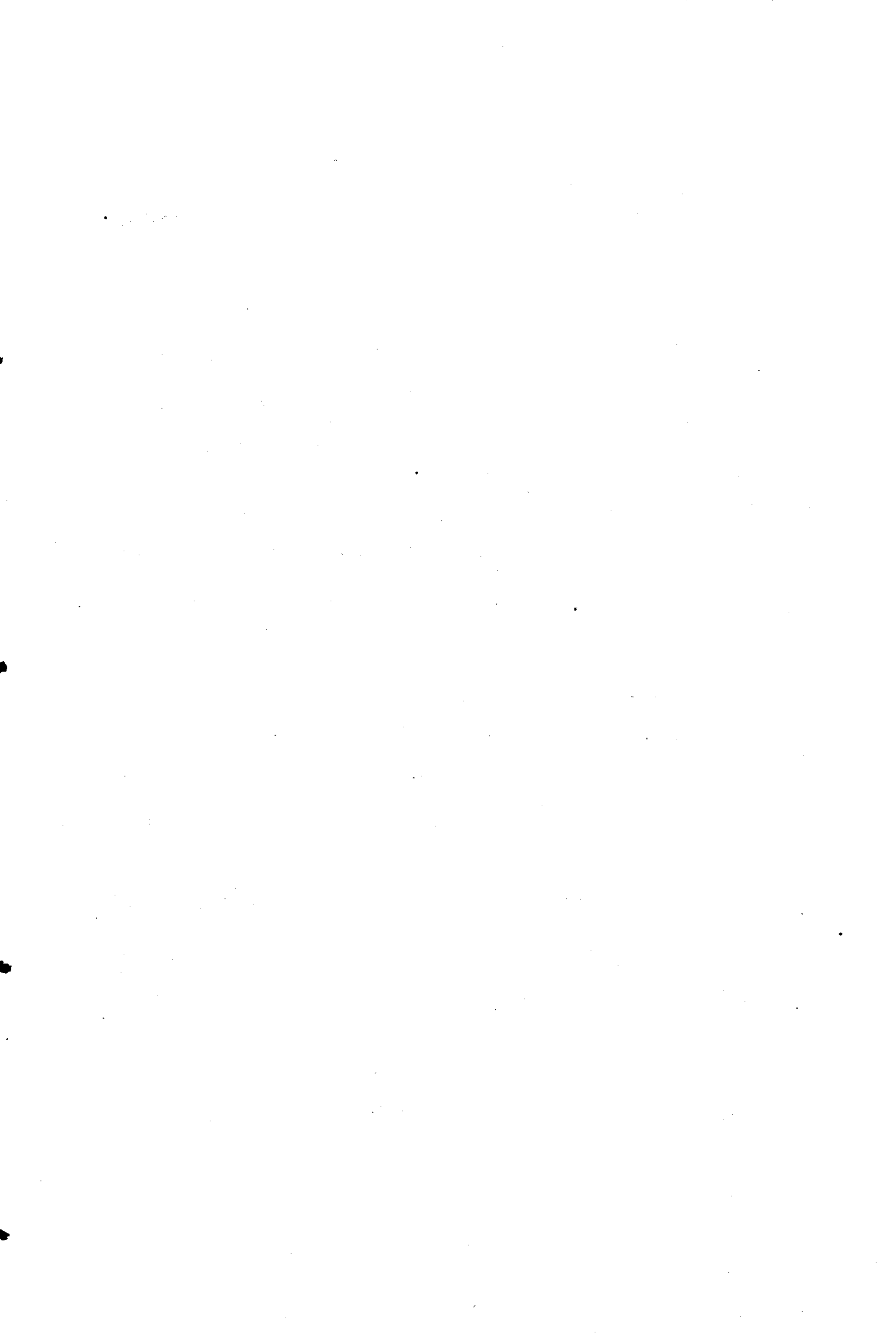
مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فقد اطلعت على الكتاب المسمى **«تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار»** تأليف الشيخ صالح بن سعد السحيمي فألفيته عظيم الفائدة لاشتماله على التحذير من البدع وبيان ما فيها من المخالفة للكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من المتمسكين بالكتاب والسنة. وقد اشتمل أيضا على بيان ما في البدع من الزيغ والضلال والاستدراك على الشريعة المحمدية. وبيان أن البدع من الشرع في الدين بما لم يأذن به الله. وقد بيّن المؤلف ـ وفقه الله ـ أسباب البدع ونتائجها السيئة وما فيها من الخطر العظيم على أهلها وأتباعهم خاصة، وعلى المسلمين عامة. وحذر منها وبالغ في التحذير. فجزاه الله خير الجزاء وكثّر في المسلمين من أمثاله. وبالجملة فهذا الكتاب قيّم جدا ولا يستغني عنه طالب العلم. قال ذلك كاتبه الفقير إلى الله تعالى حمود بن عبدالله بن التويجري. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه وتمسك بما كان عليه هو وأصحابه رضي الله عنهم.

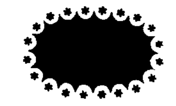
٢٨/١١/١٤٠٩هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا * ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.





تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

تمهيد

أما بعد: فإن الله بعث محمداً ﷺ (بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا)[1]. وأنزل عليه (الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيمناً عليه)[2]، وأكمل له ولأمته الدين، وأتم عليهم النعمة، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

وجعلهم أمة وسطاً أي عدلاً خياراً[3]. ولذلك جعلهم شهداء على الناس، وهداهم لما بعث به رسله جميعهم من الدين الذي شرعه لجميع خلقه، ثم خصهم بعد ذلك بما ميزهم وفضلهم به من المنهاج والشرعة التي جعلها لهم.

فالأول: هو توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾[4]، هذا هو التوحيد الذي هو محور دعوة الرسل جميعاً، لا تختلف فيه رسالة عن أخرى كما قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[6].

كما يشتمل على سائر أصول الإيمان والإسلام. كالإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وسائر أصول الدين التي عُنيت بها أكثر الآيات المكية.

والأمر الثاني: هو المتضمن لتلك الأحكام التفصيلية. من تفاصيل هيئة العبادات والمعاملات، والآداب، والأخلاق، والحدود، ونحو ذلك من الشرائع التفصيلية التي تختلف فيها الشرائع السماوية. كما قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شِرعة ومنهاجاً﴾[7].

---

(١) سورة الفتح (٢٢).
(٢) سورة المائدة (٤٨).
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٢٧٥).
(٤) سورة الإخلاص ٣، ٤
(٥) سورة الأنبياء آية (٢٥).
(٦) سورة النحل آية (٣٦).
(٧) سورة المائدة آية (٤٨).

وهو ما أنزله الله في السور المدنية من شرائع دينه، وما سنه الرسول ﷺ لأمته، فإن الله سبحانه وتعالى، أنزل عليه الكتاب، والحكمة، وامتن على المؤمنين بذلك. كما قال تعالى: ﴿لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾[1]. وقال تعالى: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾[2].

قال غير واحد من السلف: (الحكمة هي السنة، لأن الذي كان يتلى في بيوت أزواجه رضى الله عنهن سوى القرآن هو سنته ﷺ)[3]. ولهذا قال ﷺ «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»[4].

وقد جاء في الوصية الكبرى التي كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية إلى عدي بن مسافر: ﴿وهذه الشرائع التي هدى الله بها هذا النبي وأمته مثل: الوجهة والمنسك، والمنهاج، وذلك مثل الصلوات الخمس في أوقاتها بهذا العدد، وهذه القراءة، والركوع والسجود، واستقبال القبلة، ومثل فرائض الزكاة ونصبها التي فرضها في أموال المسلمين. من الماشية والحبوب والثمار، والتجارة، والذهب، والفضة، ومن جعلت له. ومثل صيام شهر رمضان، ومثل حج البيت الحرام، ومثل الحدود التي حدها لهم، في المناكح والمواريث، والعقوبات والمبايعات، ومثل السنن التي سنها لهم من الأعياد والجمعات، والجماعات في المكتوبات، والجماعات في الكسوف، والاستسقاء، وصلاة الجنازة والتراويح، وما سنه لهم في العادات: مثل: المطاعم، والملابس، والولادة، والموت، ونحو ذلك من السنن والآداب، والأحكام التي هي حكم الله ورسوله بينهم في الدماء، والأموال، والأبضاع، والأعراض والمنافع، وغير ذلك من الحدود والحقوق مما شرعه لهم على لسان رسوله ﷺ)[5].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٦٤).
(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٤).
(٣) تفسير ابن كثير (٦/٤١٢).
(٤) سنن أبي داود (٤/٢٠٠)، ومسند الإمام أحمد (٢/٢٤٣).
(٥) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٣/٣٦٧).

وانطلاقا من هذا المفهوم، ومساهمة مني بتجلية هذه الحقيقة، أعني حقيقة كمال الدين في الأصول والفروع، ونظراً لكون هذا الأمر غير واضح لدى كثير من الناس عامة، وبعض المسلمين خاصة بسبب الجهل بأسس هذا الدين وكماله وشموله. إما بالدس الرخيص من قبل أعداء الدين، وإما نتيجة للبدع والضلالات التي انحرفت بكثير من المسلمين عن الجادة. والتي يروّج لها أعداء المسلمين قديماً وحديثاً، وشعوراً مني بالمسؤولية تجاه حماية العقيدة الإسلامية مما شابها من البدع والضلالات، تلك المسؤولية التي هي مسؤولية المسلمين عامةً وطلاب العلم خاصةً.

بناءً عليه أردت أن أُسهم بجهد المقل في كتاب سميته «**تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار**». بينت فيه كمال هذا الدين ومحاسنه، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وكونه مصدر سعادة البشرية في الدارين وأن الله قد حفظه، رغم تكالب الأعداء عليه من كل مكان. ثم انطلقت من بيان أسس كمال هذا الدين إلى أنه لا تجوز فيه الزيادة أو النقصان التي هي من وضع البشر، فهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وهو العالم بما يصلحهم في دنياهم وأخراهم ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[1]. فكل زيادة فيه مرفوضة ومردودة على أصحابها. لذلك فإنه لابد من تصحيح المفاهيم لدى كثير من الناس الذين شوهوا جمال هذا الدين وكماله، بما أحدثوه من بدع اخترعوها من عند أنفسهم. وقد بحثتها بالتفصيل، وبينت أسبابها وخطورتها ونتائجها السيئة على الأمة كما بينت طرق العلاج والوقاية منها، وأوضحت الطريق الذي يجب سلوكه للسلامة منها.

وقد جمعت فيه درراً من أقوال السلف المتقدمين والمتأخرين، التي انطلقوا في صياغتها من هدي الكتاب والسنة مع إضافات نفيسة وتنبيهات هامة وتعليقات نافعة إن شاء الله.

---

(١) سورة الملك آية (١٤).

خطـة الكتـاب

يتكون هذا الكتاب من مقدمة وتمهيد، وبابين، وخاتمة . .

المقدمـة: **وتشتمل على أمرين**:

(١) الافتتاحية المتمثلة في خطبة الحاجة.

(٢) تمهيد: وقـد تكلمت فيه عن أهمية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. وأن دعـوتـه هي دعـوة جميع الرسل إلى توحيد الله الخالص، وإن اختلفت في شرائعها التفصيلية، كما أوضحت فيه الباعث على اختيار هذا البحث.

أما الباب الأول: فقد تكلمت فيه عن كمال دين الإسلام وفيه فصلان:

الفصل الأول: في محاسن الدين ومبادئه السامية. . ويشتمل على تسعة مباحث:

المبحث الأول: إن الدين عند الله الإسلام.

المبحث الثاني: شمول هذا الدين.

المبحث الثالث: سبيل المؤمنين.

المبحث الرابع: الكتاب والسنة مصدر كل سعادة في الدارين.

المبحث الخامس: ذم التفرق وبيان أسبابه وخطورته.

المبحث السادس: غربة الإسلام.

المبحث السابع: حفظ هذا الدين وبقاؤه.

المبحث الثامن: القدوة الحسنة.

المبحث التاسع: المرجع عند التنازع.

أما الفصل الثاني: فهو الاعتصام بالكتاب والسنة ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة.
المبحث الثاني: وسطية أهل السنة.
المبحث الثالث: حرص الصحابة على لزوم الكتاب والسنة والبعد عن البدع.
المبحث الرابع: حرص السلف بعد الصحابة على لزوم هذا المنهج.
المبحث الخامس: موقف السلف من مجالسة أهل البدع والأهواء.

أما الباب الثاني: فهو في البدعة وأسبابها وخطورتها وأنواعها وأحكامها وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: تعريف البدعة، وأنها إحداث في الدين. ويشتمل على مبحثين:
المبحث الأول: تعريف البدعة لغةً وشرعاً.
المبحث الثاني: أن البدعة إحداث في الدين.

الفصل الثاني: في أنواع البدع وفيه ثمانية مباحث
المبحث الأول: تقسيم البدعة إلى حقيقية وإضافية.
المبحث الثاني: تقسيمها إلى فعلية وتركية.
المبحث الثالث: تقسيمها إلى اعتقادية وعملية.
المبحث الرابع: تقسيمها إلى كلية وجزئية.
المبحث الخامس: تقسيمها إلى بسيطة ومركبة.
المبحث السادس: تقسيمها إلى صغيرة وكبيرة.
المبحث السابع: تقسيمها إلى عبادية وعادية.
المبحث الثامن: هل البدعة تعتريها أقسام الحكم التكليفي الخمسة؟!

الفصل الثالث: في أسباب البدعة وفيه تسعة مباحث

المبحث الأول: الجهــل.

المبحث الثاني: اتباع الهوى.

المبحث الثالث: التعلق بالشبهات.

المبحث الرابع: الاعتماد على العقل المجرد.

المبحث الخامس: تقليد الشيوخ.

المبحث السادس: جلساء السوء.

المبحث السابع: سكوت العلماء.

المبحث الثامن: التشبه بالكفار.

المبحث التاسع: اعتماد المبتدعة على الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

الفصل الرابع: في خطورة البدعة وفيه ثمانية عشر مبحثا:

المبحث الأول: البدعة بريد الكفر.

المبحث الثاني: القول على الله بغير علم.

المبحث الثالث: بغضهم للسنة وكراهيتهم لأهل الحق.

المبحث الرابع: رد عمل المبتدع.

المبحث الخامس: سوء عاقبة المبتدع وهل تقبل توبته.

المبحث السادس: انعكاس مفهوم المبتدع.

المبحث السابع: عدم قبول شهادته وروايته.

المبحث الثامن: الفتنــة.

المبحث التاسع: استدراكه على الشريعة.

المبحث العاشر: التباس الحق بالباطل على المبتدعة.

المبحث الحادي عشر: المبتدع يحمل وزره ووزر من تبعه.

المبحث الثاني عشر: المبتدع مستحق للعنة.

المبحث الثالث عشر: ذود المبتدع عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم.

أما الخاتمة فتشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: طريق الخلاص.

المبحث الثاني: علامات أهل الحق.

المبحث الثالث: دين الله واحد.

المبحث الرابع: لزوم الجماعة.

المبحث الخامس: الحق لا يعرف بكثرة الأتباع.

المبحث السادس: مسك الختام.

ثم ختمت هذا الكتاب بخمسة فهارس:

الأول: فهرس للآيات القرآنية.

الثاني: فهرس للأحاديث النبوية.

الثالث: فهرس للآثار.

الرابع: فهرس للمراجع.

الخامس: فهرس للموضوعات.





تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الباب الأول

كمال دين الإسلام وفيه فصلان

الفصل الأول: في محاسن الدين ومبادئه السامية.

الفصل الثاني: الاعتصام بالكتاب والسنة.

الفصل الأول: في محاسن الدين ومبادئه السامية ويشتمل على تسعة مباحث:

المبحث الأول: إن الدين عند الله الإسلام.

المبحث الثاني: شمول هذا الدين.

المبحث الثالث: سبيل المؤمنين.

المبحث الرابع: الكتاب والسنة مصدر كل سعادة في الدارين

المبحث الخامس: ذم التفرق، وبيان أسبابه وخطورته.

المبحث السادس: غربة الإسلام.

المبحث السابع: حفظ هذا الدين وبقاؤه.

المبحث الثامن: القدوة الحسنة.

المبحث التاسع: المرجع عند التنازع.

المبحث الأول

إن الدين عند الله الإسلام

[ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين][1].
ذلكم هو الدين القيم الخالد الصالح لكل زمان ومكان، والمشتمل على كل ما من شأنه إسعاد البشرية في دنياها وآخرتها، وهو الدين الخالص الذي جمعنا الله به بعد الفرقة، وأعزنا به بعد الذلة، وألف بين قلوبنا بعد التمزق، فمن تمسك به وحافظ عليه وقام به خير قيام مخلصا عمله لله تعالى مقتديا برسوله صلى الله عليه وسلم بفعل المأمور وترك المحظور دون زيادة أو نقصان سعد وفاز برضى الله تبارك وتعالى وعونه وتوفيقه، وأما من طلب الهدى من غيره واتخذ سبيلا غير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان، فذلك هو الخسران المبين الذي لا يعدله خسران، وأصبح من حزب الشيطان [ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون][2].

فدين الله واحد هو دين الإسلام. وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك.
وهو الذي من أجله أرسل الرسل وأنزل الكتب.

المبحث الثاني

شمول هذا الدين

وقد علم بالاضطرار أن الله سبحانه وتعالى قد بعث نبيه بدين الإسلام الذي هو الصراط المستقيم، «وفرض تعالى عليهم أن يسألوه سبحانه هدايتهم اليه كل يوم مرارا في صلاتهم. ووصفه بأنه صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين»[3].

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٥.
(٢) سورة المجادلة آية ١٩.
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص٣.

والمغضوب عليهم هم اليهود، لانهم عصوا الله على علم. والضالون هم النصارى، لأنهم عبدوا الله على جهل، وقد ضل الفريقان عن الطريق السوي ما بين مُفْرِطٍ ومفرِّط لذا أمرنا الله بانتهاج الطريق السوي البعيد كل البعد عن تفريط اليهود وافراط النصارى.

فقد أكرمنا الله تعالى بهذه الرسالة الخالدة، والدين الشامل الكامل. فان من أمعن النظر فيما شرعه الله لنا مما تضمنه الكتاب العزيز ودلت عليه السنة المطهرة، علم أن النبي عليه الصلاة والسلام قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة على أكمل وجه، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك قد مرض قلبه وخاسر قد طاش في مهاوي الضلال لبه. فإن الله تعالى قد بيّن للناس قواعد الدين وأكملها، قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[1].

هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه. ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ماحرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف. كما قال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾[2].

(أي صدقاً في الأخبار، وعدلا في الأحكام. فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة. ولهذا قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾. أي فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه، وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه، قال ابن عباس قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وهو الإسلام. أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا،

---

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) سورة الأنعام آية ١١٥.

وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا، وقد رضيه فلا يسخطه أبدا)[١].

فإذا كان الله سبحـانه وتعالى قد أكمل لنا هذا الدين بما أنزله في كتابه العربي المبين، وعلى لسان نبيه الصادق الأمين، فيما بلغ من الأحكام وبين لنا من حلال وحرام، فلم يكن هناك من خير إلا ودلنا عليه وبيّن لنا الطريق الموصل اليه، ولم يكن هنـاك من شر إلا حذرنا منه كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث عبدالله بن عمرو: (ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم)[٢].

ومعلوم لدى القاصي والداني، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعثـه الله رحمـة للعالمين، قد قام بحق الرسالة خير قيام فبلغ الدين كاملا غير منقوص. فلم ينتقل إلى الرفيق الأعلى حتى بلغ رسالة ربه على الوجه الأكمل، بحيث لا يحتاج الدين بعده إلى أية زيادة. إذ الزيادة إحداث في الدين، وقول على الله بغير علم، واتهام لسيد الخلق بالتقصير ـ وحاشاه من ذلك ـ فقد بلغ ما أمره الله به بالتمام والكمال، وامتثل أمر ربه حيث يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾[٣]. كيف لا وهو القائل: (ما تركت شيئا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا شيء مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه)[٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: (إني قد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)[٥]

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣)

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٧٢) أماره ٤٦.

(٣) سورة المائدة آية ٦٧.

(٤) أخرجـه الشـافعي في مسنـده (١/ ١٤) والـرسـالة ص٨٧ ـ ٩٣. كتاب جماع العلم وإبطال الاستحسـان من الأم (٧/ ٢٨٩ ـ ٢٩٩) مرسـلا، وأخـرجـه عن الشـافعي البيهقي في سننه (٧/ ٧٦) وكتاب بيان خطأ من أخطأ على الشافعي ص٩٢ والمعرفة (١/ ٧) والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٩٣)، والطبراني، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني بمجموع طرقه، والاستاذ أحمد شاكر في تعليقه على الرسالة وله كلام متين ص٩٣ ـ ١٠٣ من الرسالة.

(٥) سنن ابن ماجه (١/ ١٦) مقدمة. وصحيح ابن ماجه للألباني (١/ ٦) قال عنه الألباني: حسن. سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٨٨٦. ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة ٢٤٧. ورواه أحمد (٤/ ٤٦) ضمن حديث العرباض.

وهذا أمر قد شهد به الأعداء فضلا عن الأصدقاء، والحق ما شهدت به الاعدء. فقد سجلوا إعجابهم بهذا الدين القويم الكامل الشامل الذي عني كل العناية بالإنسان منذ أن كان نطفة وإلى أن يلقى الله تعالى. وحتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. عني ببدنه وروحه وبحاضره ومستقبله. ووضع له تعاليم تكفل له الخير كل الخير في عاجله وآجله، ودنياه وآخرته. فإذا كان ديننا الحنيف قد وضع تشريعات لدقائق الأمور، مثل آداب الطعام والشراب والنوم والسفر والدخول والخروج واللباس وحتى آداب قضاء الحاجة، فكيف يطلب الهدى من غيره. فقد قالت اليهود لسلمان رضى الله عنه: (لقد علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة. فقال: أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول وأن نستنجي باليمين، وأن نستنجي بأقلّ من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو عظم)[1].

قال عمر بن عبد العزيز في خطبته المشهورة: (يا أيها الناس إن الله لم يبعث بعد نبيكم نبيا، ولم ينزل بعد هذا الكتاب الذي أنزله عليه كتابا فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة، ألا وإني لست بقاض، ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع ولست بخير منكم، غير أني أثقلكم حملا ألا وإنه ليس لأحد من خلق الله أن يطاع في معصية الله ألا هل أسمعت)[2].

(١) أخرجه مسلم (١/٢٢٣ ـ ٢٢٤) في كتاب الطهارة.
(٢) سنن الدارمي (١/١١٥).

المبحث الثالث
سبيل المؤمنين

إذا ثبت بالأدلة القطعية كمال هذا الدين، بحيث لا يقبل الزيادة ولا النقصان فإن سبيل المؤمنين السالكين الطريق المستقيم والمبتغين مرضاة رب العالمين، هو التزام هذا الدين القويم، والعض عليه بالنواجذ. إذ هو العروة الوثقى وطريق النجاة والفوز والفلاح ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض بيانه للمشروع من العبادات من غير المشروع: (فالمشروع هو الذي يتقرب به إلى الله تعالى، وهو سبيل الله، وهو البر والطاعات والحسنات والخير والمعروف، وهو طريق السالكين، ومنهاج القاصدين والعابدين، وهو الذي يسلكه كل من أراد الله وسلك طريق الزهد والعبادة)[2].

إذا كان الأمر بهذه المثابة، فإن من طلب الهدى من غير الكتاب والسنة، أو أتى بأمر زائد على ما شرعه الله فهذا بلاشك ضلال مبين، وميل عن الصراط المستقيم، واتباع لغير سبيل المؤمنين، وإن من كان هذا شأنه لحقيق بأن يكون واقعا تحت هذا الوعيد الشديد الذي تضمنته هذه الآية الكريمة. قال تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)[3] فقد أمر الله تعالى باتباع سبيله وما شرعه من الدين القويم، ونهى عن اتباع غير سبيل المؤمنين. وقال تعالى: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)[4]. فقد حث سبحانه وتعالى على اتباع سبيله الذي هو الكتاب والسنة حثا

---

(١) سورة الشعراء الآية ٨٧، ٨٨.
(٢) انظر رسالة العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية لابن تيمية ص١٠ تحقيق محمد رشيد رضا.
(٣) سورة النساء آية ١١٥.
(٤) سورة الأنعام آية ١٥٣.

مقرونا بالنهي عن اتباع السبل، مبينا أن ذلك سبب للتفرق. ولذا ترى المسلمين العـاملين قد لزموا سبيلا واحدا وهو سبيل الله الذي أمرهم بسلوكه، وأما أهل البـدع والأهواء فقد افترقوا في سبلهم على حسب معتقداتهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة (كل حزب بما لديهم فرحون)[1]. وقد روى أحمد وابن ماجه وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا، ثم قال هذا سبيل الله. ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله. وقال هذه السبل المتفرقة، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ هذه الآية حتى بلغ (تتقون)[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا سبيل المؤمنين الوارد ذكرهم في آية النساء (ومن يشاقق الرسول. . . . الآية. وقد شهد الله لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم، ومن تبعهم بإحسان بالإيمان. فعلم قطعا أنهم المراد بالآية الكريمة.

فقد تقرر أن من اتبع غير سبيلهم ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم. ثم أخذ يتكلم عن مذهب السلف في الصفات إلى أن قال: وعلموا أن المتكلم بها صادق، لاشك في صدقه فصدقوه وإن لم يعلموا حقيقة معناها)[3]، فسكتوا عما لم يعلموه. وأخذ ذلك الآخر عن الأول، ووصى بعضهم بعضا بحسن الاتباع والوقوف حيث وقف أولهم. وحذروا من التجاوز لهم والعدول عن طريقتهم، وبينوا لنا سبيلهم ومذهبهم، ونرجوا أن يجعلنا الله تعالى ممن اقتدى بهم في بيان ما بينوه، وسلوك الطريق الذي سلكوه، والدليل على مذهبهم ما ذكرناه. أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم، وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل مصدق لها، مؤمن بها، قابل لها، غير مرتاب فيها، ولاشاك في صدق قائلها)[4].

---

(١) سورة الروم آية ٣٢.
(٢) رواه ابن ماجة (١/٦)، والدارمي (١/٧) وأحمد (١/٤٣٥).
(٣) أي كيفيتها.
(٤) بتصرف راجع مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٢ - ٤).

ويجدر بنا في هذا المقام أن نورد ما قاله الإمام العادل عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى:

«سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها. ومن اهتدى بها فهو مهتد، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا»(١).

المبحث الرابع
الكتاب والسنة مصدر كل سعادة في الدارين

مما لا شك فيه أن شريعة الإسلام جاءت كاملة شاملة لمصالح العباد في كافة نواحي الحياة مما يكفل لهم الأمن والرخاء في الدنيا والطمأنينة والسعادة الأبدية في الآخرة.

فشريعة الإسلام تحقق لهم الخير في حاضرهم ومستقبلهم وعاجلهم وآجلهم، هذا إذا تمسكوا بها وساروا على نهجها، وأقاموا صرح بنائهم عليها عقيدة وعبادة وآدابا وأخلاقا وأحكاما وحدودا وسلوكا ومنهج حياة. وكل ما خرجوا عن هذه الشريعة ضعف أمرهم وتزعزع كيانهم، وتفرقت كلمتهم، وارتكسوا في البدع والمحدثات والمهلكات التي تنغص عليهم عيشهم في الحياة الدنيا وتبعدهم عن الله في الدنيا والآخرة. ولله درّ القائل:

وخير أمور المرء ما كان سنة   وشر الأمور المحدثات البدائع

---

(١) رواه الآجري في الشريعة (١/٤٨، ٦٥، ٣٠٧) وذكرها الخطيب بالسند نفسه في الفقيه والمتفقه (١/٧٣) وعزاها محقق كتاب المعرفة والتاريخ إلى الجزء المفقود منه المسمى الحوليات (٣/٣٨٦). وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/٩٤).

وكلما طال العهد بالمسلمين، زادت غربة الإسلام، والتبس الحق بالباطل، واختلطت الأمور، واستحكمت البدع والخرافات، وحار الناس في أمر دينهم، فرأوا البدعة سنة، والسنة بدعة، وكادت رؤية الحق حقا تنعدم في ذلك الجو الغريب عن شريعة الإسلام وقد قال الله تعالى في معرض بيانه لشمول هذا الدين ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾[1]. فقوله ﴿تبيانا لكل شيء﴾ أفاد شمول هذا القرآن لكافة أحكام الدين بما أودع الله فيه من تعاليم عامة صالحة للتطبيق على مر العصور والأزمان، وفيها السعادة كل السعادة للبشرية جمعاء، متى تمسكت بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكذلك سنة نبيه صلى الله عليه وسلم القويمة التي تبين القرآن وتوضحه وتفصّل مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عمومه إلى غير ذلك من أنواع البيان. قال تعالى: ﴿وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[3]. وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إني أوتيت الكتاب ومثله معه)[4].

والآيات والأحاديث الدالة على شمول هذا الدين وكماله، وعدم حاجته إلى زيادة أو نقصان أكثر من أن تحصر أو تعد في هذا المقام.

ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى حتى أكمل الله له ولأمته الدين وأتمه بما أودع الله فيه من تشريع شمل كافة نواحي الحياة، من عبادات ومعاملات وآداب وأخلاقيات وحدود وغير ذلك، مما يكفل للبشرية كل أمن ورخاء وطمأنينة، متى تمسكت بها وسارت على نهجها القويم.

---

(١) سورة النحل آية ٨٩.
(٢) سورة النحل آية ٤٤.
(٣) سورة الحشر آية ٧.
(٤) تقدم تخريجه راجع المقدمة ص ٦.

المبحث الخامس
ذم التفرق وبيان أسبابه وخطورته

إذا علم ذلك، فإن الطريق الصحيح إلى النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنهما حصن حصين، وحرز متين لمن وفقه الله تعالى، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بالبعد عن البدع والخرافات التي ابتدعها المبتدعون، وأحدثها المحدثون، وروجها المبطلون، وأكلة أموال الناس بالباطل، من دعاة النحل المختلفة، والطرق المتشعبة التي ليست من الإسلام في شيء. وقد ذم الله تعالى تلك الطرق المنحرفة الكثيرة التي جعلت المسلمين شيعا وأحزابا وشتتت شملهم، وجعلتهم لقمة سائغة لأعدائهم. لا لقلة عددهم وعدتهم، وإنما نتيجة لتمزق شملهم وتفرق كلمتهم. كما قال صلى الله عليه وسلم: (توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها قالوا: أمن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال بل أنتم كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل)[1].

ومما لا شك فيه أنه لا شيء أعظم فسادا للدين وأشد تقويضا لبنيانه وأكثر تفريقا لشمل الأمة من البدع. فهي تفتك به فتك الذئب بالغنم، وتنخر فيه نخر السوس في الحب، وتسري في كيانه سريان السرطان في الدم، أو النار في الهشيم. ولهذا جاءت النصوص الكثيرة تبالغ في التحذير منها، وتكشف عن سوء عواقبها من التفرق والاختلاف في الدنيا، والعذاب والخزي وسواد الوجوه في الآخرة. قال تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم. يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾[2].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/٢٧٨)، وأبو داود (٤/٤٨٣) رقم ٤٢٩٧.
(٢) سورة آل عمران آية ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧.

قال ابن عباس: (تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة)[1].

وقال تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾[2].

وقد نص المفسرون رحمهم الله على أن الآية تعني أهل البدع والأهواء نقلا عن كثير من السلف[3].

ولا ريب أن من أعظم أسباب التفرق تلك البدع والمحدثات التي هي شرع لم يأذن به الله، وقد أخبر رسول الهدى صلى الله عليه وسلم عن إفتراق هذه الأمة بسبب انحرافها عن سنته القويمة وما عليه صحبه الكرام من بعده لما روى أبو داود والترمذي وغيرهما بأسانيد صحيحة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا من هي يا رسول الله؟ قال من كان مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي، وفي رواية قال هي الجماعة)[4].

وروى أبو داود أن معاوية رضى الله عنه قام فقال: (ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال: ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة)[5].

---

(١) راجع تفسير ابن كثير (٢/٧٦) والدر المنثور للسيوطي (٢/٦٣).

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٩.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٣٧٣).

(٤) رواه أبو داود والترمذي بألفاظ متقاربة عن عبدالله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة رضى الله عنهما، انظر سنن أبي داود (٥/٤) وسنن الترمذي مع التحفة (٧/٣٩٩) وقد حسنه الترمذي وفيه عبدالرحمن الأفريقي والأكثرون على تضعيفه.

(٥) انظر سنن أبي داود (٥/٥) وأخرجه الحاكم في المستدرك ثم قال هذه أسانيد تقوم بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. أنظر المستدرك ١/١٢٨) ورواه أحمد (٤/١٥٢). ورواه الآجري في الشريعة، ورواه ابن أبي عاصم في السنة حديث ٦٥ وقال الألباني حديث صحيح بما قبله وما بعده انظر كتاب السنة (١/٣٣) لابن أبي عاصم.

والمراد بالجماعة في هذا الحديث هم الذين يسيرون وفق منهج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يعدلون عن ذلك ولا يحيدون عنه بإفراط أو تفريط.

جاء في الاعتصام للشاطبي: (إن الجماعة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان)[1]. وهذا الذي عرّف به الشاطبي الجماعة هو ما دلت عليه بعض روايات هذا الحديث، وهو قوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الفرقة الناجية. قال: (ما أنا عليه وأصحابي).[2].

فقد بيّن صلى الله عليه وسلم أن عامة المختلفين هالكون وأن أهل السنة والجماعة ناجون. وما أحسن قول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه، حيث قال: (من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا. قوما اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم)[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن أورد الأحاديث التي قد ذكر فيها تفرق هذه الأمة:

(فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم. ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، إما في الدين فقط. وإما في الدين والدنيا ثم يؤول إلى الدين وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط.

---

(١) انظر الاعتصام للشاطبي (١/٢٨).
(٢) تقدم تخريجه في ص ٢٥ وسيأتي مزيد من البيان لمعنى الجماعة في الخاتمة إن شاء الله.
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/١١٩) لابن عبد البر.

ثم أورد بعض الآيات التي قدمنا ذكرها في التحذير من التفرق والاختلاف. ثم قال: وهو موافق لما رواه مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه من العالية حتى إذا مرّ بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلا. ثم انصرف إلينا فقال: سألت ربي ثلاثا، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها. وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق. فأعطانيها. وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها)[1].

وروى أيضا في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك: أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ـ أو قال: من بين أقطارها ـ حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا، ورواه البرقاني في صحيحه. وزاد (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان، وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين. لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى)[2].

وهذا المعنى محفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه: يشير إلى أن الفرقة والاختلاف لابد من وقوعها في الأمة، وكان يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة.

---

(١) رواه مسلم (٢٢١٦/٤).

(٢) رواه مسلم (٢٢١٥/٤، ٢٢١٦) عن ثوبان دون الزيادة وهي عند أحمد (٢٧٨/٥، ٢٨٤)، وأبي داود (٤٥٠/٤) في كتاب الفتن الملاحم ٤٢٥٢، وابن ماجة (١٣٠٤/٢) ٣٩٥٢، والحاكم (٤٤٩/٤) وأبو نعيم في الحلية (٢٨٩/٢).

كما روى النزّال بن سبره عن عبدالله بن مسعود قال: (سمعت رجلا قرأ آية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)[1].

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق. لأن كلا القارئين كان محسنا فيما قرأه، وعلل ذلـك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا، ولهذا قال حذيفة لعثمان: (أدرك هذه الأمة، لا تختلف في الكتاب كما اختلفت فيه الأمم قبلهم)[2]. لما رأى أهل الشام، وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن، الاختلاف الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاد ذلك شيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا.
والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مشابهتهم.

واعلم أن أكثر الاختلاف الذي يورث الأهواء تجده من هذا الضرب. وهو أن يكون كل واحد من المختلفين مصيبا فيما يثبته أو في بعضه، مخطئا في نفي ما عليه الآخر، كما أن القارئين: كل منهما كان مصيبا في القراءة بالحرف الذي علمه، مخطئا في نفي حرف غيره، فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب، لا في الإثبات لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه. ولهذا نهيت هذه الأمة أن تضرب آيات الله بعضها ببعض. لأن مضمون الضرب الإيمان باحدى الآيتين والكفر بالأخرى، إذا اعتقد أن بينهما تضادا. إذ الضدان لا يجتمعان.

ومثل ذلك: ما رواه مسلم أيضا عن عبدالله بن رباح الأنصاري: أن

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٥/ ٧٠) ومسند الامام أحمد (١/ ٤٠٥، ٤١٢، ٤٢٤).
(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٩٠٨) كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن رقم ٤٧٠٢ طبعة ابن كثير.

عبدالله بن عمرو قال: هجَّرتُ[1]. إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما. فسمعت أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب، فقال: إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب)[2]. فعلل غضبه صلى الله عليه وسلم بأن الاختلاف في الكتاب كان سبب هلاك من قبلنا، وذلك يوجب مجانبة طريقهم في هذا عينا وفي غيره نوعا.

والاختلاف على ما ذكره الله قسمان:

أحدهما: أنه يذم الطائفتين جميعا، كما في قوله تعالى: [ولا يزالون مختلفين][3]. وكذلك قوله: [ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد][4]. وقوله [وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم][5]. وقوله: [ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات][6]. وقوله: [إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء][7]. وكذلك وصف اختلاف النصارى بقوله: [فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون][8]. ووصف اختلاف اليهود بقوله: [وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله][9]. وقال: [فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون][10].

---

(١) هجرت: بكرت. والتهجير: التبكير (القاموس المحيط ص٦٣٨ وهي طبعة جديدة للقاموس في مجلد واحد. مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٢) صحيح مسلم (٤/٢٠٥٣) ومسند الامام أحمد (١/٤٠١، ٤٢١) و (٢/٤٦٧، ٤٩٥).

(٣) سورة هود آية ١١٨.

(٤) سورة البقرة آية ١٧٦.

(٥) سورة آل عمران آية ١٩.

(٦) سورة آل عمران آية ١٠٥.

(٧) سورة الأنعام آية ١٥٩.

(٨) سورة المائدة آية ١٤.

(٩) سورة المائدة آية ٦٤.

(١٠) سورة المؤمنون آية ٥٣.

(وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، قال: كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة).

وفي الرواية الأخرى (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)[1].

فبيّن أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة.

وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين، يكون سببه تارة فساد النية لما في النفوس من البغي والحسد، وإرادة العلو في الأرض بالفساد، ونحو ذلك، فيحب لذلك ذم قول غيره أو فعله، أو غلبته ليتميز عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب، أو بلد، أو صداقة، ونحو ذلك، لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة له، وما أكثر هذا في بني آدم وهذا ظلم.

ويكون سببه تارة أخرى جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق. في الحكم أو في الدليل. وإن كان عالما بما مع نفسه من الحق حكما ودليلا.

والجهل والظلم. هما أصل كل شر[2]. كما قال سبحانه: ﴿وحملها الإنسان. إنه كان ظلوما جهولا﴾[3].

ثم ذكر شيخ الإسلام النوع الثاني من أنواع الاختلاف وهو اختلاف التنوع الذي لا يذم أصحابه. وفصل القول فيه وليس من غرضنا ذكر هذا النوع. إذ أن غرضنا هو بيان الاختلاف الذي يذم أصحابه لأن حديثنا عن ذم التفرق.

ومما جاء في التحذير من الفرقة والاختلاف ما ثبت في الصحيحين من

---

(١) تقدم تخريجه في أول هذا المبحث ص ٢٥.
(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٣ - ٣٧.
(٣) سورة الأحزاب آية ٧٢.

حديث أبي هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)[١]. فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به، معللا بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية[٢].

المبحث السادس

غربة الإسلام

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وأحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء)[٣]. ورواه الترمذي بسنده بلفظ: (إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي)[٤].

لقد أحدث المسلمون في دينهم من البدع والدخيل ما انحرف بكثير منهم عن سواء السبيل، وشوه عليهم حقيقه الدين، ولبس عليهم حتى أصبح الكثير منهم لا يفرق بين الحق والباطل، ولا يعرف البدعة من السنة، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وأغرقوا في ذلك حتى رأوا الحسن قبيحا، والقبيح حسنا على حد قول القائل:

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة، وهي قول الله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾[٥].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٢٥١/١٣)، صحيح مسلم (٩٧٥/٢).
(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٥٨٣.
(٣) رواه مسلم (١٣٠/١ - ١٣١)، وابن ماجه (١٣١٩/٢) والدارمي (٣١٢/٢)، وأحمد (١٨٤/١، ٣٩٨) و (١٧٧/٢، ٢٢٢، ٣٨٩) و (٧٣/٤).
(٤) سنن الترمذي (١٨/٥).
(٥) سورة الكهف آية ١٠٣، ١٠٤.

فما يفتح لهم الشيطان بابا من الضلال إلا ولجوه، ولا يزين لهم طريقا من طرق البدع، إلا سلكوه وهذه هي غربة الإسلام التي نص عليها الحديث. وما زال الخطر يستفحل والشر يتفاقم، حتى بلغ شأوا بعيدا في تفريق الأمة وتمزيق شملها، وقد ساعد على ذلك سكوت كثير من العلماء، وتهاونهم وجبنهم عن مواجهة العامة خوفا من غضبهم ومجاراة لهم، وحرصا على اجتلاب رضاهم ولو بسخط الله. وقد صح من حديث عائشة رضى الله عنها: (من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس. ومن التمس سخط الله برضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس)[1].

قال شيخ الإسلام: في قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء[2].

لا يقتضي هذا أنه إذا صار غريبا يجوز تركه والعياذ بالله، بل الأمر كما قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[3]. وقال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[4]. وقال تعالى: ﴿يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[5]. وقال تعالى:

---

(١) صحيح رواه ابن حبان (١٥٤٢) عن عائشة مرفوعا. بهذا اللفظ وفيه عبدالرحمن بن محمد المحاربي ثقة مدلس وقد عنعن، ورواه ابن حبان (١٥٤١) عن عائشة مرفوعا بلفظ: (من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله، ومن أسخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس) وسنده صحيح. ورواه الترمذي (٤/٢٤) والبغوي في شرح السنة (١٤/٤١٠، ٤١١) عنها بلفظ: (من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله). وفيه من لم أعرفه ورواه البغوي (١٤/٤١١، ٤١٢) عنها بلفظ: (من أرضى الله بسخط العباد كفاه الله مؤونتهم، ومن أسخط الله برضا العباد وكله الله إليهم) وهو من رواية محمد بن مطرف أبي غسان المديني عنها، ففي السند انقطاع، لأن محمدا هذا من أتباع التابعين.

ورواه الترمذي (٤/٦١٠) عنها موقوفا بسند صحيح، ورواه أحمد في الزهد ص١٦٤، ووكيع القاضي في أخبار القضاة (١/٣٨) من طريق آخر عنها موقوفا، وسنده صحيح.

(٢) تقدم تخريجه في أول هذا المبحث ص ٣١.

(٣) سورة آل عمران آية ٨٥.

(٤) سورة آل عمران آية ١٩.

(٥) سورة آل عمران آية ١٠٢.

﴿ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه، ولقد اصطفيناه في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب. يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[١].

ولهذا لما بدأ الإسلام غريبا لم يكن غيره من الدين مقبولا. بل قد ثبت في الحديث الصحيح من حديث عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ـ عربهم وعجمهم ـ إلا بقايا من أهل الكتاب...)[٢]. الحديث.

ولا يقتضي هذا أنه إذا صار غريبا أن المتمسك به يكون في شر، بل هو أسعد الناس كما قال في تمام الحديث: (فطوبى للغرباء) (وطوبى) من الطيب قال تعالى ﴿طوبى لهم وحسن مآب﴾[٣]. فإنه يكون من جنس السابقين الأولين الذين اتبعوه لما كان غريبا.

وهم أسعد الناس. أما في الآخرة فهم أعلى الناس درجة بعد الأنبياء عليهم السلام.

وأما في الدنيا فقد قال تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾[٤]. أي أن الله حسبك وحسب متبعك.

وقال تعالى: ﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾[٦]. وقال: ﴿ومن يتق الله يجعل له

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٠، ١٣١، ١٣٢.
(٢) رواه مسلم (٤/٢١٩٧) وأحمد (٤/١٦٢).
(٣) سورة الرعد آية ٢٩.
(٤) سورة الأنفال آية ٦٤.
(٥) سورة الأعراف آية ١٩٦.
(٦) سورة الزمر آية ٣٦.

مخرجا. ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[1].

فالمسلم المتبع للرسول صلى الله عليه وسلم. الله تعالى حسبه وكافيه، وهو وليه حيث كان ومتى كان. ولهذا يوجد المسلمون المتمسكون بالإسلام في بلاد الكفر لهم السعادة كلما كانوا أتم تمسكا بالإسلام. فإن دخل عليهم شر كان بذنوبهم. حتى إن المشركين وأهل الكتاب إذا رأوا المسلم القائم بالإسلام عظموه وأكرموه وأعفوه من الأعمال التي يستعملون بها المتسببين إلى ظاهر الإسلام من غير عمل بحقيقته. وكذلك كان المسلمون في أول الإسلام وفي كل وقت. فإنه لابدأن يحصل للناس في الدنيا شر ولله على عباده نعم، لكن الشر الذي يصيب المسلم أقل والنعم التي تصل إليه أكثر. فكان المسلمون في أول الإسلام وان ابتلوا بأذى الكفار والخروج من الديار فالذي حصل للكفار من الهلاك كان أعظم بكثير. والذي كان يحصل للكفار من عز أو مال كان يحصل للمسلمين أكثر منه.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مع ما كان المشركون يسعون في أذاه بكل طريق ـ كان الله يدفع عنه ويعزه ويمنعه وينصره. وأتباعه، الذين هاجروا إلى الحبشة أكرمهم ملك الحبشة وأعزهم غاية الإكرام والعز. والذين هاجروا إلى المدينة كانوا أكرم وأعز.

والذي كان يحصل لهم من أذى الدنيا كانوا يعوضون عنه عاجلا من الإيمان وحلاوته ولذته، ما يحتملون به ذلك الأذى. وكان أعداؤهم يحصل لهم من الأذى والشر أضعاف ذلك من غير عوض لا آجلا ولا عاجلا، إذ كانوا معاقبين بذنوبهم.

وكان المؤمنون ممتحنين ليخلص إيمانهم وتكفر سيئاتهم. وذلك أن المؤمن يعمل لله. فإن أوذي احتسب أذاه على الله، وإن بذل سعيا أو مالا بذله لله فاحتسب أجره على الله، والإيمان له حلاوة في القلب ولذة لا يعدلها شيء البتة. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله،

(١) سورة الطلاق آية ٢، ٣.

ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)[1]. أخرجاه في الصحيحين. وفي صحيح مسلم: (ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا)[2].

وكما أن الله نهى نبيه أن يصيبه حزن أو ضيق ممن لم يدخل في الإسلام في أول الأمر فكذلك في آخره. فالمؤمن منهي أن يحزن عليهم أو يكون في ضيق من مكرهم. وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وكل وناح كما ينوح أهل المصائب[3]، وهو منهي عن هذا. بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأن العاقبة للتقوى وأن ما يصيبه فهو بذنوبه فليصبر. إن وعد الله حق، وليستغفر لذنبه، وليسبح بحمد ربه بالعشي والإبكار.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (ثم يعود غريبا كما بدأ) يحتمل شيئين:

أحدهما أنه في أمكنة وأزمنة يعود غريبا بينهم ثم يظهر كما كان في أول الأمر غريبا ثم ظهر. ولهذا قال (سيعود غريبا كما بدأ) وهو لما بدأ كان غريبا لا يعرف، ثم ظهر وعرف، فكذلك يعود حتى لا يعرف ثم يظهر ويعرف. فيقل من يعرفه في أثناء الأمر. كما كان من يعرفه أولا.

ويحتمل أنه في آخر الدنيا لا يبقى مسلم إلا قليل. وهذا إنما يكون بعد الدجال ويأجوج ومأجوج عند قرب الساعة. وحينئذ يبعث الله ريحا تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ثم تقوم القيامة[4].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١/٦٠) ومسلم (١/٦٦).

(٢) صحيح مسلم (١/٦٢)، ومسند الامام أحمد (١/٢٠٨).

(٣) يعني شيخ الاسلام قوما اكتفوا بالصياح والتباكي على الماضى من غير عمل يتخلصون به من هذه الغربة، وإلا فمعلوم أن النياحة محرمة، لذا فإن المؤمنين الخلص يقابلون ذلك بالصبر والثبات والعمل الدؤوب حتى يحقق الله لهم النصر والتمكين برفع راية الاسلام.

(٤) يدل لذلك حديث النواس بن سمعان الطويل الذي ذكر فيه الدجال وبعض الفتن. وجاء في آخره قول النبي صلى الله عليه وسلم (فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم. فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون[1]. فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة). رواه مسلم (٤/٢٥٥). والترمذي (٤/٥١٣) وابن ماجه (٢/١٣٥٩)، وأحمد (٤/١٨٢، ٤٢٠).

(١) يتهارجون: أي يتقاتلون جاء في القاموس ص٢٦٨ وهرج الناس يهرجون: وقعوا في فتنة واختلاط وقتل.

وأما قبل ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة)[1]. وهذا الحديث في الصحيحين، ومثله من عدة أوجه.

فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا تزال طائفة ممتنعة من أمته على الحق أعزاء لا يضرهم المخالف ولا خلاف الخاذل. فأما بقاء الإسلام غريبا ذليلا في الأرض كلها قبل الساعة فلا يكون هذا.

وقوله صلى الله عليه وسلم (ثم يعود غريبا كما بدأ). أعظم ما تكون غربته إذا ارتد الداخلون فيه، وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾[2]. فهؤلاء يقيمونه إذا ارتد عنه أولئك.

وكذلك بدأ غريبا ولم يزل يقوى حتى انتشر. فهكذا يتغرب في كثير من الأمكنة والأزمنة ثم يظهر حتى يقيمه الله عز وجل. كما كان عمر بن عبد العزيز لما ولي قد تغرب كثير من الإسلام على كثير من الناس حتى كان منهم من لا يعرف تحريم الخمر - فأظهر الله به في الإسلام ما كان غريبا.

وفي السنن: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[3].

---

(١) تقدم تخريجه في ذم التفرق ص ٢٧.

(٢) سورة المائدة آية ٥٤.

(٣) صحيح رواه أبو داود (١٠٩/٤) ٤٢٩١، والحاكم (٥٢٢/٤) والبيهقي في المعرفة (١٣٧/١)، وفي مناقب الشافعي (٥٣/١) والخطيب في التاريخ (٦١/٢، ٦٢) وابن عساكر في تبيين كذب المفتري صفحة ٥١، ٥٢ من طريق سعيد بن أبي أيوب عن شرحبيل بن يزيد المعافري عن أبي علقمة عن أبي هريرة، وسنده صحيح. وقد صححه العراقي. كما في فيض القدير (٢٨٢/٢) وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٢٣٨): (وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات) ا. هـ وفي عون المعبود (١٨٢/٤). (قال السيوطي في مرقاة الصعود: اتفق الحفاظ على تصحيحه منهم الحاكم في المستدرك والبيهقي في المدخل، وممن نص على صحته من المتأخرين الحافظ ابن حجر.

والتجديد إنما يكون بعد الدروس، وذاك هو غربة الإسلام.

وهذا الحديث يفيد المسلم أنه لا يغتم بقلة من يعرف حقيقة الإسلام ولا يضيق صدره بذلك، ولا يكون في شك من دين الإسلام. كما كان الأمر حين بدأ قال تعالى: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾[1]. إلى غير ذلك من الآيات والبراهين الدالة على صحة الإسلام.

وكذلك إذا تغرب يحتاج صاحبه من الأدلة والبراهين إلى نظير ما احتاج إليه في أول الأمر. وقد قال الله تعالى: ﴿أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين. وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا. لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم. وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾[3].

وقد تكون الغربة في بعض شرائعه، وقد يكون ذلك في بعض الأمكنة. ففي كثير من الأمكنة يخفى عليهم من شرائعه ما يصير به غريبا بينهم لا يعرفه منهم إلا الواحد بعد الواحد. ومع هذا فطوبى لمن تمسك بتلك الشريعة كما أمر الله ورسوله. فإن إظهاره والأمر به والإنكار على من خالفه هو بحسب القوة والأعوان. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكرا. فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[4].

---

(١) سورة يونس آية ٩٤.
(٢) سورة الأنعام آية ١١٤، ١١٥، ١١٦.
(٣) سورة الفرقان آية ٤٤.
(٤) صحيح مسلم (١/٦٩، ٤٩١)، مسند أحمد (٣/٢٠) سنن أبي داود (٤/١٧٣-٤٣٤٠) سنن ابن ماجه (١/٤٠٦).

وإذا قدر أن في الناس من حصل له سوء في الدنيا والآخرة بخلاف ما وعد الله به رسوله وأتباعه فهذا من ذنوبه ونقص إسلامه كالهزيمة التي أصابتهم يوم أحد[1].

وإلا فقد قال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون﴾[3].

وفيما قصه تعالى من قصص الأنبياء وأتباعهم ونصرهم ونجاتهم وهلاك أعدائهم عبرة[4].

ويصور لنا الإمام الشاطبي رحمه الله، كيف بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ باستعراض موجز لمراحل الدعوة الإسلامية وما واجهته عبر العصور من صراع بين الحق والباطل قد تكون للباطل فيه صولات وجولات مع قلة الدعاة المخلصين وتكالب أهل الشر عليهم، ومع هذا الصراع المرير بقي نور الإسلام وهّاجا وجذوته لا تنطفىء وسيبقى كذلك حتى يأتي أمر الله ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[5].

جاء في الاعتصام للشاطبي ما خلاصته

(فكذلك كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فأنكروا ما توقعوا معه زوال ما بأيديهم، لأنه خرج عن معتادهم، وأتى بخلاف ما كانوا عليه من كفرهم وضلالهم، حتى أرادوا أن يستنزلوه على وجه السياسة في زعمهم، ليوقعوا بينهم وبين المؤالفة والموافقة ولو في بعض الأحوال أو على بعض الوجوه. ويقنعوا منه بذلك، فأبى عليه الصلاة والسلام إلا الثبوت على محض الحق والمحافظة على

---

(١) التعبير بالهزيمة في وقعة أحد محل نظر. فالمسلمون هم المنتصرون في تلك الوقعة. وإن كان الله تبارك وتعالى قد أراهم بعض الدروس والعبر نتيجة لبعض المخالفات.

(٢) سورة غافر آية ٥١.

(٣) سورة الصافات آية، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣.

(٤) انظر مجموع الفتاوي (١٨/٢٩١ - ٢٩٩).

(٥) سورة التوبة آية (٣٢).

خالص الصواب. وأنزل الله ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾[1] إلى آخر السورة. فنصبوا له عند ذلك العداوة، ورموه بسهام القطيعة. وصار أهل السلم كلهم حربا عليه، عاد الولي الحميم عليه كالعذاب الأليم. فأقربهم إليه نسبا كان أبعد الناس عن موالاته. كأبي لهب وغيره. وألصقهم به رحما كانوا أقسى قلوبا عليه، فأية غربة توازي هذه الغربة؟ ومع ذلك فلم يكله الله إلى نفسه، ولا سلطهم على النيل من أذاه)[2]، بل حفظه وعصمه، وتولاه بالرعاية والكلاءة حتى بلغ رسالة ربه.

ثم ما زالت الشريعة في أثناء نزولها، وعلى توالي تقريرها، تبعد بين أهلها وبين غيرهم، وتضع الحدود بين حقها وبين ما ابتدعوا، ولكن على وجه من الحكمة عجيب، وهو التأليف بين أحكامها وبين أكابرهم في أصل الدين الأول الأصيل، ففي العرب نسبتهم إلى أبيهم إبراهيم عليه السلام، وفي غيرهم لأنبيائهم المبعوثين فيهم، كقوله تعالى بعد ذكر كثير من الأنبياء: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[3].

ويمضي الشاطبي رحمه الله في الكلام عن غربة الإسلام وهو يصف حال المسلمين عند بدء الدعوة، وكيف كانوا غرباء حتى أظهرهم الله ونصرهم على أعدائهم فانتشر نور الإسلام وعلت راية التوحيد ودخل الناس في دين الله أفواجا.

فقال رحمه الله

«وما زال عليه الصلاة والسلام يدعو لها فيؤوب إليه الواحد بعد الواحد على حكم الاختفاء، خوفا من عادية الكفار، زمان ظهورهم على دعوة الإسلام، فلما أطلعوا على المخالفة أنفوا، وقاموا وقعدوا، فمن أهل الإسلام من لجأ إلى قبيلة فحموه على إغماض، أو على دفع العار في الإخفار، ومنهم من فر من الإذاية

(١) سورة الكافرون ١، ٢.
(٢) الحق أنهم قد آذوه ولعل الشاطبي هنا يعني أن الله لم يمكنهم من القضاء عليه وعلى دعوته.
(٣) سورة الأنعام آية ٩٠.

وخوف الغرة، هجرة إلى الله وحبا في الإسلام. ومنهم من لم يكن له وزر يحميه، ولا مَلجـأ يركن إليه، فلقي منهم من الشدة والغلظة والعذاب أو القتل ما هو معلوم، حتى ذل منهم من ذل فرجع أمره بسبب الرجوع إلى الموافقة، وبقي منهم من بقي صابرا محتسبا، إلى أن أنزل الله تعالى الرخصة في النطق بكلمة الكفر على حكم الموافقة ظاهرا، ليحصل بينهم وبين الناطق الموافقة وتزول المخالفة، فنزل إليها من نزل على حكم التقية. ريثما يتنفس من كربه، ويتروح من خناقه، وقلبـه مطمئن بالإيمان، وهـذه غربة أيضا ظاهرة، وإنما كان هذا جهلا منهم. بمواقع الحكمة، وأن ما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم هو الحق ضد ما هم عليه، فمن جهل شيئا عاداه.

ثم استمر تزيد الإسلام، واستقام طريقه على مدة حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بعد موته، وأكثر قرن الصحابة رضى الله عنهم إلى أن نبغت فيهم نوابغ عن السنة، واصغوا إلى البدع المضلة كبدعة القدرية، وبدعة الخوارج.

وهكـذا يمضي الشـاطبي رحمـه الله في بيان غربـة الإسلام فيقول (كان الإسلام في أول وجدته مقاوما بل ظاهرا، وأهله غالبون وسوادهم أعظم الأسودة، فخلا من وصف الغربة بكثرة الأهل والأولياء الناصرين، فلم يكن لغيرهم ممن لم يسلك سبيلهم أو سلكه ولكنه ابتدع فيه صولة يعظم موقعها، ولا قوة يضعف دونها حزب الله المفلحون. فصار على استقامة، وجرى على اتساق. فالشاذ مقهور مضـطهـد، إلى أن أخذ اجتماعه في الافتراق الموعود وقوته إلى الضعف المنتظر، والشاذ عنه تقوى صولته ويكثر سواده، واقتضى سر التأسي المطالبة بالموافقة، ولا شك أن الغالب أغلب فتكالبت على سواد السنة البدع والأهواء، فتفرق أكثرهم شيعا. وهذه سنة الله في الخلق.

إن أهل الحق في جنب أهل الباطل قليل لقوله تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[2]. ولينجز الله

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٣.
(٢) سورة سبأ آية ١٣.

ما وعد به نبيه صلى الله عليه وسلم من عود وصف الغربة إليه فإن الغربة لا تكون إلا مع فقد الأهل أو قلتهم، وذلك حين يصير المعروف منكرا، والمنكر معروفا، وتصير السنة بدعة والبدعة سنة، فيقام على أهل السنة بالتثريب والتعنيف كما كان أولا يقام على أهل البدعة، طمعا من المبتدع أن تجتمع كلمة الضلال. ويأبى الله أن تجتمع حتى تقوم الساعة[1].

وبهذا يتضح لنا أن غربة الإسلام التي دل عليها الحديث ترجع إلى أسباب أهمها

(١) قلة أهله وندرتهم حتى يكونوا في بعض البلاد كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود.

(٢) ذهاب العلماء والدعاة والمصلحين الذين يدعون إلى الله على بصيرة لإحياء السنة وتبصير الناس في دينهم.

(٣) كثرة البدع التي عمت وطمت حتى بلغ الأمر بالناس إلى أن تنقلب مفاهيمهم وتنعكس أمورهم حتى يروا السنة بدعة والبدعة سنة.

(٤) سكوت من بقي من العلماء عن المنكرات والبدع والمعاصي مجاملة أو مجاراة للعامة، أو خوفا على مناصبهم ومكانتهم ومصالحهم.

(٥) الجهل بأحكام الدين، والبعد عن تعاليمه القيمة التي تنير السبيل وتقضي على كل دخيل.

(٦) الاشتغال بالدنيا ومظاهرها البراقة والتهافت عليها تهافت الفراش على النار وإيثار العاجلة على الآجلة الأمر الذي يبعد المسلمين عن العمل لآخرتهم ومستقبلهم الأبدي. قال تعالى: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾[2]. وقال تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير

---

(١) انظر الاعتصام (١/ ٢٠ - ٢٤).

(٢) سورة يونس آية ٧، ٨.

عند ربك ثوابا وخير أملا﴾[1].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم)[2].

وقال يوسف بن أسباط: (إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام فقد قل أهل السنة)[3].

وقال سفيان الثوري: (استوصوا بأهل السنة خيرا فإنهم غرباء)[4].

وقال أبو بكر بن عياش: (السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان)[5].



---

(١) سورة الكهف آية ٤٥ - ٤٦.
(٢) الحديث حسن رواه أبو داود (٢/٣٤)، وأحمد (٢/٢٨) والبيهقي (٥/٣١٦)، والطبراني في الكبير (١٣٥٨٣).
(٣) أخرجه ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٩.
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/٦٤) وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠.
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/٦٦) وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص٩.

المبحث السابع
حفظ هذا الدين وبقاؤه

لقد جعل الله سبحانه وتعالى دين الإسلام، خاتم الأديان السماوية، فبعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وخصه بخصائص لم يخص بها نبياً غيره. منها:

أنه بعثه بشيرا ونذيرا للناس كافة بل للثقلين (الإنس والجن) كما قال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي. وذكر منها. وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)[3].

وإذا كان الأمر كذلك فلا بدّ لهذه الرسالة العامة الخالدة من الحفظ والبقاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فبالرغم من كثرة أعداء الإسلام وتكالبهم عليه ومحاولتهم التي لا تنقطع من أجل القضاء عليه، إلا أنه بقي صامدا ثابت الأركان قوي البنيان لا ينطفيء نوره ولا تخمد جذوته ولو اجتمع عليه أهل الأرض جميعا.

نعم قد ينحسر ظله ويقل أتباعه وتحصل له الغربة في كثير من الأقطار لاسيما عندما تنتشر البدع والخرافات والانحرافات الكثيرة التي تبعد المسلمين عن الجادة وتوقعهم في حبائل الشيطان بما يزينه للناس من أعمال تظن حسنة وهي سيئة، ولكن الله عزّ وجلّ لم يكن ليترك دينه لعبث هؤلاء المبتدعين، بل قيض له

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٨.
(٢) بسورة الأنبياء آية ١٠٧.
(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١/٤٣٦) صحيح مسلم (١/٣٧٠).

من أرباب الألسنة والأقلام قديما وحديثا من يهب للدفاع عنه، ومحاربة كل دخيل عليه حيث تكفل سبحانه بحفظ هذا الدين وصيانته وإن اجتمع عليه أهل الأرض جميعا، وقد حصل ولله الحمد والمنة. قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرة منصورة لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله)[3].

المبحث الثامن
القدوة الحسنة

لقد تضافرت النصوص الكثيرة على الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة واتباع السلف الصالح الذين قام بهم الكتاب وبه قاموا، ونطق بهم وبه نطقوا، وطبقوه بكل صدق وإخلاص وأمانة ووقفوا عند حدوده، وحكموه في كل شئون حياتهم، ولم يدخروا وسعا في فهم معانيه ومعرفة اسراره، وقد نوه الكتاب العزيز بفضلهم، ونص على أن لهم اليد الطولى في الفضل والعلم والعمل الجاد الخالص. قال تعالى مشيدا بفضلهم وآمرا باتباعهم: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾[4]. فهم خير من يقتدى بهم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم الذين نقلوا لنا هذا الدين، أولئك الأفذاذ الذين هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، وإن القدوة أولا وآخرا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[5]. فقد أمر الله بالتأسي به

---

(١) سورة الحجر الآية ٩.
(٢) سورة الصف الآية ٨.
(٣) رواه أحمد (٥/٢٧٨، ٢٨٤) وأبو داود (٤/٩٨)، وابن ماجه (٢/١٣٠٤) ح:٣٩٥٢، والحاكم في المستدرك (٤/٤٤٩) وقال: صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي.
(٤) سورة التوبة اية ١٠٠.
(٥) سورة الأحزاب آية ٢١.

والإهتداء بهداه والإستنان بسنته، وحذرنا من مخالفة أمره، ورتب على ذلك ألوانا من الوعيد الشديد قال تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾(١). بل قد نبه الله تعالى على أنه ليس للمؤمن خيار إذا أمر الله أو أمر رسوله بأي أمر. قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾(٢). بل أخبر سبحانه أن طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة لله تعالى فقال جلّ شأنه: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تول فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾(٤). أي بمخالفتكم لسنته التي سنها لكم وبارتكابكم المنكرات والبدع والمخالفات. وقال تعالى: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾(٥).

المبحث التاسع
المرجع عند التنازع

لقد أمرنا الله تبارك وتعالى بأن نرجع في كل أمرٍ نختلف فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم

(١) سورة النور آية ٦٣.
(٢) سورة الأحزاب آية ٣٦.
(٣) سورة النساء آية ٨٠.
(٤) سورة محمد آية ٣٣.
(٥) سورة البقرة آية ١٣٧.
(٦) سورة الشورى آية ١٠.

الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[1].

فقد أمرنا بطاعة الله ورسوله وطاعة ولاة الأمور في حدود طاعة الله تعالى. ثم أرشدنا إلى رد ما تنازعنا فيه إلى الله ورسوله، أي إلى كتاب الله وسنة رسوله، بل علق صحة الإيمان بذلك بقوله: ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾[2].

جاء في شرح الطحاوية (والأمور التي تتنازع فيها الأمة، في الأصول والفروع - إذا لم ترد إلى الله والرسول، لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضا. ولم يبغ بعضهم على بعض. كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد. فيقر بعضهم بعضا ولا يعتدي ولا يعتدى عليه، وإن لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم فبغى بعضهم على بعض، إما بالقول، مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله. والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء، ابتدعوا بدعة، وكفروا من خالفهم فيها واستحلوا منعه حقه وعقوبته.

فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول إما عادلون وإما ظالمون، فالعادل فيهم الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء، ولا يظلم غيره، والظالم الذي يعتدي على غيره، وأكثرهم إنما يظلمون مع علمهم بأنهم يظلمون، كما قال تعالى: ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم﴾[3]. وإلا فلو سلكوا ما علموه من العدل، لأقر بعضهم بعضا كالمقتدين بأئمة العلم، الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل فاقتدوا بأئمتهم في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وقالوا هذا غاية ما قدرنا عليه، فالعادل منهم لا يظلم الآخر، ولا يعتدي عليه بقول ولا فعل، مثل أن يدعي أن قول مقلده هو الصحيح بلا حجة يبديها، ويذم من خالفه مع أنه معذور[4].

---

(١) سورة النساء آية ٥٩.
(٢) تفسير ابن كثير (٢/٣٠٤).
(٣) سورة آل عمران آية ١٩.
(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٥٨٠ - ٥٨١.

الفصل الثاني

في الاعتصام بالكتاب والسنة ويشتمل على خمسة مباحث

(١) المبحث الأول وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٢) المبحث الثاني وسطية أهل السنة.

(٣) المبحث الثالث حرص الصحابة على لزوم الكتاب والسنة والبعد عن البدع.

(٤) المبحث الرابع حرص السلف بعد الصحابة على لزوم هذا المنهج.

(٥) المبحث الخامس موقف السلف من مجالسة أهل الأهواء والبدع.

المبحث الأول
وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة

مما تقـدم يتبـين لنا أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالرجوع إلى الكتاب والسنـة في الأصول والفروع. لأن ذلك هو طريق الفوز والفلاح وسبيل الهدى والرشاد. إنه الاعتصام بحبل الله المتين وصراطه المستقيم. إنه طريق العصمة من التفرق والاختلاف. قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا. وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾[1].

قال ابن كثير وقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ قيل بحبل الله أي بعهد الله كما قال في الآية بعدها: ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ أي بعهد وذمة، (وقيل بحبل الله) يعني القرآن[2].

ولا تعارض بين قول من قال حبل الله هو عهد الله وبين من قال إنه القرآن فالكـل حبـل الله والعهد الذي أخذه الله على المسلمين هو الاعتصام بالقرآن والسنة. فالقولان مؤداهما واحد بحمد الله.

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ولا تفرقوا﴾ أمرهم بالجماعة، ونهاهم عن التفـرقـة. وقـد وردت الأحـاديث المتعـددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف، كما في صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويسخط لكم ثلاثا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثا قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال)[3].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٧٣) كتاب الشعب.

(٣) رواه مسلم (٣/١٣٤٠) في كتاب الأقضية.

وقد ضمنت لهم العصمة، عند اتفاقهم من الخطأ. كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضا، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأمة، فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار، وهم الذين على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه[1].

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن أهمية الاعتصام بحبل الله وأنه أساس كل عمل صالح. والركن الركين لنجاح أعمالنا ومساعينا. يجدر بنا أن ننقل ما جاء في هذا المعنى من ظلال القرآن لسيد قطب ـ يرحمه الله ـ حيث قال: (فهي أخوة إذاً تنبثق من التقوى والإسلام... من الركيزة الأولى ـ أساسها الاعتصام بحبل الله. أي عهده ونهجه ودينه. وليست مجرد تجمع على أي تصور آخر، ولا على هدف آخر، ولا بواسطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة. ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا...﴾.

هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى. وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائما. وهو هنا يذكرهم هذه النعمة. يذكرهم كيف كانوا في الجاهلية (أعداء)... وما كان أعدى من الأوس والخزرج في المدينة أحد. وهما الحيان العربيان في يثرب يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون حول هذه العداوة وينفخون في نارها حتى تأكل روابط الحيين جميعا. ومن ثم تجد يهود مجالها الصالح الذي لا تعمل إلا فيه، ولا تعيش إلا معه، فألف الله بين قلوب الحيين من العرب بالإسلام.. وما كان إلا الإسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة. وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله إخوانا. ولا يمكن أن يجمع القلوب إلا أخوة في الله، تصغر إلى جانبها الأحقاد التأريخية، والثأرات القبلية، والأطماع الشخصية، والرايات العنصرية، ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٧٤) كتاب الشعب.
(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (١/٤٤٢ ـ ٤٤٣).

وقال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير: (أي مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر. ثم أورد ابن كثير رحمه الله حديث ابن مسعود. قال: (لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله عز وجل. قال: فبلغ امرأة من بني أسد في البيت يقال لها أم يعقوب. فجاءت إليه فقالت: بلغني أنك قلت كيت وكيت، قال: مالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي كتاب الله تعالى. فقالت: إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته فقال: إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه. أما قرأت ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ قالت: بلى؟ قال: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه، قالت: إني لأظن أهلك يفعلونه، قال: اذهبي فانظري فذهبت فلم تر من حاجتها شيئا، فجاءت فقالت: ما رأيت شيئا قال: لو كان كذا لما تجامعنا)(٢). ثم أورد حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه)(٣).

ثم أورد أثارا أخرى إلى أن قال في قوله تعالى: ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ أي اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما عنه زجره ونهاه(٤).

وقال تعالى: ﴿والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾(٥).

---

(١) سورة الحشر آية ٧.
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٨/ ٦٣٠) صحيح مسلم (٣/١٦٧٨).
(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١٣/ ٢٥١ ـ ح٧٢٨٨) صحيح مسلم (٢/ ٩٧٥ ـ ح١٣٣٧) مسند أحمد (٢/ ٥٢٨ ـ ٣١٣).
(٤) انظر تفسير ابن كثير (٨/ ٩٢).
(٥) سورة الأعراف آية ١٧٠.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي:

«وإنما العقلاء حقيقة، من وصفهم الله بقوله: ﴿والذين يمسكون بالكتاب﴾ أي يتمسكون به علما وعملا، فيعلمون ما فيه من الأحكام والأخبار، التي علمها أشرف العلوم ويعملون بما فيها من الأوامر التي هي قرة العيون، وسرور القلوب، وأفراح الأرواح، وصلاح الدنيا والآخرة.

ومن أعظم ما يجب التمسك به من المأمورات، إقامة الصلاة ظاهرا وباطنا. ولهذا خصها بالذكر لفضلها وشرفها، وكونها ميزان الإيمان وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات ولما كان عملهم كله إصلاحًا، قال تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾ في أقوالهم وأعمالهم، ونياتهم مصلحين لأنفسهم ولغيرهم. وهذه الآية وما أشبهها، دلت على أن الله بعث رسله عليهم الصلاة والسلام، بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنهم بعثوا، بصلاح الدارين، فكل من كان أصلح، كان أقرب إلى اتباعهم»[1].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾[2].

قال الشيخ محمد رشيد رضا:

«معناه إذا علمتم ما فرضنا عليكم من الطاعة، وشأن سماع التفقه من الهداية، وقد دعاكم الرسول بالتبليغ عن الله تعالى لما يحييكم، فأجيبوا الدعوة بعناية وهمة، وعزيمة وقوة. فهو كقوله تعالى: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ والمراد بالحياة هنا حياة العلم بالله تعالى وسننه في خلقه وأحكام شرعه، والحكمة والفضيلة والأعمال الصالحة التي تكمل بها الفطرة الإنسانية في الدنيا وتستعد للحياة الأبدية في الآخرة. وقيل المراد بالحياة هنا الجهاد في سبيل الله لأنه سبب القوة والعزة والسلطان. والصواب أن الجهاد يدخل فيما ذكرنا وليس هو الحياة المطلوبة بل هو وسيلة لتحققها وسياج لها بعد حصولها، وقيل هي الإيمان

---

(١) انظر تفسير كلام المنان للسعدي (١١٢/٣).

(٢) سورة الأنفال آية ٢٤.

والإسلام، وإنما يصح باعتبار ما كان يتجدد من الأحكام وثمرته في القلوب والأعمال، وبما في الاستجابة من معنى المبالغة في الإجابة. وإلّا فالخطاب للمؤمنين».

وقيل هي القرآن ولا شك أنه ينبوعها الأعظم، الهادي إلى سبيلها الأقوم، مع بيانه من سنة الرسول وهديه الذي أمرنا بأن يكون لنا فيه أسوة حسنة، ويدل عليه اقتران طاعته بطاعة الله تعالى[1].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾[2].

فقد أمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، وزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له. ولهذا قال (ولا تولوا عنه) أي تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[3].

قال الحافظ ابن كثير:

«(أطيعوا الله) أي اتبعوا كتابه (وأطيعوا الرسول) أي خذوا بسنته، (وأولي الأمر منكم) أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله. وقوله: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾. قال مجاهد أي إلى كتاب الله وسنة رسوله. وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾. فما حكم

---

(١) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (٩/٦٣١ - ٦٣٢).
(٢) سورة الأنفال آية ٢٠.
(٣) سورة النساء آية ٥٩.

به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق. وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي ردوا الخصومات والجهالات إلى الكتاب والسنة ومن لا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا اليوم الآخر. وقوله (ذلك خير) أي التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما في فصل النزاع (خير وأحسن تأويلا)، أي وأحسن عاقبة ومآلا كما قاله السدي وقال مجاهد: وأحسن جزاء، وهو قريب. [١]

وهناك آيات كثيرة يأمر الله تبارك وتعالى فيها بطاعة الله ورسوله والاعتصام بحبل الله والتمسك بهديه القويم، وأما الأحاديث التي جاءت في هذا المعنى فهي كثيرة أيضا تقدم بعض منها ضمن بيان وجه الاستدلال من الآيات التي جاءت في هذا الباب. وهناك أحاديث أخرى جاء فيها التصريح بالتشديد على أهمية التمسك والاعتصام بحبل الله. من ذلك: ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تَخْلُفُ من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل[٢].

وحديث إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)[٤].

وجاء في حديث العرباض بن سارية قوله صلى الله عليه وسلم: (عليكم

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٠٤).
(٢) رواه مسلم (١/٧٠).
(٣) رواه مالك في الموطأ بلاغا (٢/٨٩٩) ورواه الحاكم في المستدرك موصولا (١/٩٣) وأصله في صحيح مسلم (٢/٨٩٠) عن جابر.
(٤) تقدم تخريجه راجع مبحث شمول هذا الدين الفصل الأول من الباب الأول ص ١٨.

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)[1].

وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم المتمسكين بسنته من أمته بأعظم بشارة وأشرف مقصد يطلبه كل مؤمن ويسعى إلى تحقيقه من كان في قلبه أدنى مسكة من إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة. جاءت هذه البشرى في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا ومن يأبى يا رسول الله؟ قال من أطاعني دخل الجنة. ومن عصاني فقد أبى.)[2].

وأي إباء ورفض للسنة أعظم من مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم وذلك بالإحداث والابتداع في الدين.

وقد تقدم في صفة الفرقة الناجية أنهم من كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وجاءت الآثار عن السلف الصالح تحث على لزوم السنة وتحذر من مخالفتها. قال أبو العالية: (تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام ولا تحرفوا الصراط شمالا ولا يمينا وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء. قال فحدثت به الحسن فقال صدق ونصح[3].

وقال الزهري: كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة والعلم يقبض قبضا سريعا فنعش العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله[4].

---

(١) سيأتي تخريجه في مبحث أن البدعة احداث في الدين ص ٨٩.
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٣/ ٢٤٩).
(٣) البدع والنهي عنها لابن وضاح (٣٢ - ٣٣).
(٤) سنن الدارمي (١/ ٤٥).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن. فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله)[1].

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: عليكم بالسبيل والسنة فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبداً وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة[2].

المبحث الثاني
وسطية أهل السنة

إن هذا الدين وسط عدل بين جفاء المفرِّطين وتقصيرهم وبين غلو المفْرِطين وتنطعهم وهو الطريق السوي الذي يوصل إلى رحمة الله ورضوانه. وأمة محمد صلى الله عليه وسلم أمة وسط في كل أمورها. وأهل السنة والجماعة هم المعنيون بالوسطية بين سائر الطوائف والفرق التي بعدت عن منهج الله الحق وحادت ببدعها وأهوائها وأفكارها عن صراط الله المستقيم ما بين إفراط وتفريط قال الله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[3].

قال الحافظ ابن كثير: (يقول تعالى إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم. لأن الجميع معترفون لكم بالفضل. والوسط ههنا الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسبا ودارا أي خيرها، وكان رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سنن الدارمي (١/٤٩).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٢/٢١ - ٢٢) وابن بطه في الإبانة (١/٢٧ - أ) وأبو نعيم في الحلية (١/٢٥٢ - ٢٥٣) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٥٤) والبغوي في شرح السنة (١/٥٤).

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣.

وسلم وسطا في قومه، أي أشرفهم نسبا، ومنه (الصلاة الوسطى) ـ وهي العصر على الراجح ـ ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج وأوضح المذاهب كما قال تعالى: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾(1).

هذا وسوف ألقي الضوء باختصار على بعض النماذج التي تبين وسطية هذه الأمة.

موقف اليهود والنصارى من الأنبياء والعلماء والدعاة:

لقد نظر الإسلام إلى الأنبياء والعلماء والدعاة نظرة عادلة قويمة لا إفراط فيها ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وأنزلهم منزلتهم اللائقة بهم من غير وكس ولا شطط بعكس نظرة اليهود المفرّطين والنصارى المفرطين ومن أشبههم من أهل البدع والنحل والأهواء من هذه الأمة. فاليهود قد وقفوا من الأنبياء موقفا مشينا فقصروا في حقوقهم وعاملوهم أسوأ معاملة فكذبوهم وافتروا عليهم واضطهدوهم وظلموهم وعذبوهم وقتلوهم وأهانوا الدعاة والمصلحين كلما أمروهم بالقسط. وقد فضحهم الله تبارك وتعالى في كتابه وسجل عليهم تلك المخازي فقال تعالى [ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون](2).

هكذا موقفهم الدائم، التكذيب والقتل لمن يأتي بما يخالف أهواءهم المنحرفة وآراءهم المعوجة.

ويبين سبحانه وتعالى موقف اليهود الفظيع من الأنبياء والمصلحين الذين يدعونهم إلى شريعة العدل فيقول سبحانه. [إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم.

(1) سورة الحج آية ٧٨ وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٢٧٥).
(2) سورة البقرة ٨٧.

أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين][1].

هذا هو موقف اليهود، وناقضهم النصارى فقد غلوا وأفرطوا كموقفهم من عيسى عليه السلام الذي بلغ بهم الغلو فيه إلى حد رفعه إلى درجة الألوهية فعبدوه فخرجوا بذلك عن الصراط المستقيم إلى الكفر المبين. قال تعالى. [لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم][2].

ولم يقف غلو النصارى عند هذا الحد بل وصل بهم الأمر إلى أن أعطوا علماءهم وعبادهم حق التشريع من دون الله ولو بمخالفة أمر الله ـ بتحريم ما أحل الله أو بتحليل ما حرم الله يقول تعالى. [اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون][3].

وقد جاء في تفسير هذه الآية ما رواه أحمد والترمذي وابن جرير وغيرهم أن عدي بن حاتم رضى الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية، فقال يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم فقال صلى الله عليه وسلم. أليسوا يحرمون عليكم الحلال فتحرمونه ويحلون لكم الحرام فتحلونه قال بلى. قال فتلك عبادتهم[4].

---

(١) سورة آل عمران ٢١، ٢٢.

(٢) سورة المائدة آية ٧٢، ٧٣، ٧٤.

(٣) سورة التوبة آية ٣١.

(٤) رواه الترمذي ٥/٢٧٨ (٣٠٩٥) وابن جرير (١٠/٨٠، ٨١) والبيهقي (١٠/١١٦) والمزي في تهذيب الكمال (٢/١٠٩٠) عن عدي بن حاتم بإسناد ضعيف. قال الترمذي: (حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالسلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث أهـ. قلت وضعفه الدارقطني وجزم الحافظ في التقريب بضعفه، وقد رواه ابن جرير (١٠/٨١ ـ ٨٢) والبيهقي (١٠/١١٦) من طريق حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري عن حذيفة موقوفا بمعناه. وسنده ضعيف منقطع، حبيب مدلس وقد عنعن. وأبو البختري لم يسمع من حذيفة (جامع التحصيل ص٢٢٢. والحديث حسّنه الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني في غاية المرام ص٦.

وقد وصل بهم الحال من الغلو إلى حد اعتقاد العصمة للبابا[1] ولم يقف غلوهم عند هذا الحد، فقدسوهم أمواتا كما قدسوهم أحياء فأقاموا المساجد على قبور أنبيائهم وصالحيهم وقدموا لهم القرابين. فعبدوهم من دون الله.

روى البخاري ومسلم وغيرهما

عن عائشة رضى الله عنها. قالت، لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق، يطرح خميصة[2]. له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مثل ما صنعوا)[3].

وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا النوع من الغلو، أعني اتخاذ القبور مساجد ليس من غرضنا بسط القول فيها في هذا المقام إذ أن المقصود التنبيه على بعض النماذج وليس الحصر، وما حكاه الله سبحانه وتعالى عن اليهود والنصارى من الإفراط والتفريط هو بعينه ما وقع فيه كثير من الفرق المنحرفة من هذه الأمة ممن فارق الجماعة واتبع غير سبيل المؤمنين وسلك منهجا مخالفا لمنهج أهل السنة بما أحدثوه من بدع وضلالات بعيدة كل البعد عن منهج الله الحق، بل قلدوا اليهود والنصارى في كثير من انحرافاتهم وشركياتهم، إما بتزيينها لهم من قبل اليهود والنصارى، أو من قبل الذين اندسوا في صفوف المسلمين، وليسوا بمسلمين ليكيدوا للإسلام وأهله، أو بسبب شبه عنّت لهم وأفكار شيطانية أنتجتها عقولهم فجعلوا الوساوس والخواطر علما يركن إليه مع ما صاحب ذلك من اتباع الهوى الأمر الذي أدى إلى ظهور فرق كثيرة وجماعات متعددة وصل الحال بكثير منها إلى حد المروق من الدين والخروج من حظيرة الإسلام.

موقف الإسلام من الأنبياء والعلماء والدعاة:

وأما موقف الإسلام من الأنبياء فقد أكرمهم وأنزلهم منزلة سامية لا يدانيهم فيها أحد من البشر وهي أنهم صفوة الله من خلقه ومحل اصطفائه لتبليغ رسالته

---

(١) محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهره ص١٧٧ دار الفكر العربي القاهرة.

(٢) ثوب خز أو صوف معلم. كذا في النهاية ٢/ ٨١.

(٣) رواه البخاري (١/ ٥٢٣، ٤٢٧) ومسلم (١/ ٣٧٦ - ٥٢٩ - ٥٣٢).

ومع هذا فإنهم بشر يجري عليهم ما يجري على سائر البشر من الحاجة إلى الطعام، والشراب، والنوم، والنكاح، والمرض، والموت، ونحو ذلك مما قدره الله على البشر.

ومن أعظم إكرام الإسلام للأنبياء أنه أوجب على أتباعه الإيمان بهم جميعا، فمن كفر ولو بواحد منهم فليس بمؤمن. قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾[1].

يقول الحافظ ابن كثير:
فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميعَ شرعُ محمد صلى الله عليه وسلم. خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين[2].

وقال الله تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾[3].

يقول ابن كثير:
«والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء، فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥.
(٢) تفسير ابن كثير (١/٥٠٨).
(٣) سورة النساء آية ١٥٠، ١٥١.

التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانًا شرعيا، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية[1].

وقد بلغ تعظيم الإسلام للأنبياء في النفوس، وتوقيرهم في القلوب حدا ساميا حيث إن الله سبحانه وتعالى قد جعل رحمته خاصة بأهل التقوى، المتبعين نهج الأنبياء السوي المناصرين لهم، الذين يوقرونهم وينافحون عن دينهم وشرعهم وخص هذه الفئة بالفلاح وبالفوز. فقال عز وجل: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾[2].

وقد رفع الإسلام مكانة الأنبياء في القلوب حتى جعل تقديم حب الله ورسوله على كل شيء أول سبب من أسباب تذوق حلاوة الإيمان.

عن أنس رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار[3].

أما موقف الإسلام من العلماء والدعاة، فإنه لم يؤثر عن أمة من الأمم، ولا منهج من المناهج إنصافه للعلماء والدعاة والصالحين كإنصاف منهج الإسلام وأمته. فبين ظلم اليهود وجورهم، وإفراط النصارى وغلوهم، نجد عدل الإسلام واعتداله وتوسطه واتزانه.

فقد رفع الإسلام شأن العلماء العاملين وأشاد بذكرهم فقال تعالى: ﴿يرفع

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٧/٢).
(٢) سورة الأعراف آية ١٥٦، ١٥٧.
(٣) سبق تخريجه في مبحث غربة الاسلام الفصل الأول من الباب الأول. ص ٣٤.

الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾[1].

وقد حث الله على حب أوليائه، المستقيمين على منهجه وتقديرهم و آذن من عاداهم وأبغضهم وآذاهم. آذنهم بالحرب. ففي الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)[2].

وقد أشاد الله بعمل الدعاة، الذين يرشدون الناس إلى طريق الله برفق ورحمة وصبر وتحمل. فقال الله تعالى: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾[3].

وأوجب الإسلام على أمته إيجاد جماعة تحمل دعوة الله فتعلم الجاهلين، وتنبه الغافلين وتدعو إلى الخير وتؤازره. وتنهى عن الشر وتحاربه.

وعدَّ الله هذه الطائفة من أهل الفلاح فقال سبحانه وتعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[4].

ومما يشيد بمكانة العلماء والمصلحين قول الرسول الكريم (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[5].

---

(١) سورة المجادلة آية ١١.
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١/ ٣٤٠ - ٣٤١) ٦٥٠٢.
(٣) سورة فصلت آية ٣٣، ٣٤، ٣٥.
(٤) سورة آل عمران آية ١٠٤.
(٥) رواه أبو داود (٣/٤٣٢) رقم ٣٦٤١ و(٣/٣١٧)، والترمذي (٥/٤٩)، وأخرجه ابن ماجه (١/٤٣) وصححه ابن حبان ٨٠.

وبجـانب هذه الإشـادة، والـدعوة إلى التكريم، أكد الإسلام عدة أمور تعصم من السقوط في مزالق الإفراط هي:

(١) الطاعة المطلقة لله ورسوله فقط.

(٢) العصمة للأنبياء فقط.

(٣) من عدا الأنبياء يصيبون ويخطئون ولا يقلل هذا من شأنهم ولا يمحو حسناتهم ولا يبخسهم حقهم فيطاعون فيما أصابوا فيه منهج الله ويستغفر لهم فيما جانبهم الصواب فيه.

(٤) عند الاختلاف نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله. قال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[١].

بهذه القواعد سُدّت طرق الغلو.

فأمة الإسلام لا تقبل قول أحد أو عمله إذا خالف الهدي النبوي بل ترده عليه.

(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[٢].

وهذا المثال أعني بيان وسطية الإسلام فيما يتعلق بالأنبياء والمرسلين والعلماء والـدعاة والمصلحين مقارنا مع تفريط اليهود وإفراط النصارى ومن شابههما ممن انحـرف عن الجـادة من هذه الأمة. هو أحد النماذج الحية التي تتجلى فيها هذه الوسطية، وإلا فالإسلام هو دين الوسط والاعتدال في كل شيء.

ففيما يتعلق بالربوبية والألوهية وسط بين الشيوعية الإلحادية القائلة لا إله والحياة مادة. وبـين أصحاب وحدة الوجود الذين جعلوا الخالق عين المخلوق، والرب عين المربوب، والمعبود عين العابد.

وفي باب صفات الله تعالى نجد أن أهل السنة وسط بين المعطلة كالجهمية

---

(١) سورة النساء آية ٥٩.

(٢) رواه مسلم (١٣٤٤/٣).

وما تفرع عنها وبين المشبهة كالكرّامية وما شاكلها، وهم وسط في باب الإيمان بين الخـوارج الـذين يكفـرون بالكبائر وإن كان مرتكبها من الموحدين وبين المرجئة الإباحيين القائلين لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

وفيما يتعلق بالقدر. هم وسط بين القدرية النفاة القائلين أن الله لم يخلق أفعال العباد ولم يقدرها. وبين الجبرية القائلين الإنسان مجبور على فعله وليس له اختيار في فعل الطاعة والمعصية بل هو كالغصن في مهب الرياح.

وفيما يتعلق بالصحابة وسط بين الروافض والنواصب، وفيما يتعلق بالمادة وسط بين الشيوعية الإباحية وبين الرأسمالية الاستبدادية.

وليس من غرضنا الكلام على مذاهب هذه الفرق ومعتقداتها، وإنما نشير إليها لبيان وسطية هذه الأمة عامة وأهل السنة والجماعة خاصة.
وإليك أخي القارىء بعض الأحاديث النبوية في بيان وسطية أهل الحق البعيدين عن الإفراط والتفريط. فقد روى الشيخان (عن أبي هريرة رضى الله عنه. عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُّلْجة)[1].

وروى الشيخان أيضا عن أنس رضى الله عنه قال (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم. فلما أخبروا كأنهم تقالوّها. فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

---

(١) رواه البخاري (١/٩٤، ٣٩) ومسلم (٤/٢١٧١، ٢٨١٨)
الغدوة: بالضم: البكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس (القاموس المحيط ص ١٦٩٨، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ بيروت.
الروحة: الروحة والرواح المسير آخر النهار أو هو فعل الرواح مرة واحدة ولو في أول النهار ومنه حديث التبكير إلى الجمعة من راح في الساعة الأولى - الحديث. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/١٠٩) والقاموس المحيط ص٢٨٧.
الـدلجـة: بالضم والفتح: السير من أول الليل (القاموس المحيط ص٢٤٢ مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ بيروت.

قال أحدهم. أما أنا فأصلي الليل أبدا.
وقال آخر. أنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر.
وقال آخر. أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أنتم قلتم كذا وكذا. أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له. لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1].

وروى الشيخان أيضا عن عائشة رضى الله عنها قالت (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين. أحدهما أيسر من الآخر، إلا اختار أيسرهما، مالم يكن إثما. فإن كان إثما، كان أبعد الناس منه)[2].

وروى الشيخان أيضا. (أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال. يسرا ولا تعسرا. وبشرا ولا تنفرا. وتطاوعا ولا تختلفا)[3].

ومما يؤكد وسطية هذه الأمة أن النبي صلى الله عليه وسلم أشاد بعدالة حملة العلم الشرعي الذين يذبون عن السنة ويدافعون عنها، ويقفون في وجوه المبتدعة والغلاة وأهل الباطل حتى يظل هذا الدين دينا وسطا لا إفراط فيه ولا تفريط. قال صلى الله عليه وسلم: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[4].

---

(١) رواه البخاري (٩/١٠٤) ٥٠٦٣ ومسلم (٢/١٠٢٠ - ١٤٠١).
(٢) رواه البخاري (١٠/٥٢٤، ٥٢٥) ومسلم (٤/١٨١٣ - ٢٣٢٧).
(٣) رواه البخاري (١٠/٥٢٤) ٦١٢٤ ومسلم (٣/١٣٥٨ - ١٧٣٢).
(٤) هذا الحديث حسن بكثرة طرقه رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص(٢٨ - ٢٩) وابن عدي في الكامل من عدة طرق في (١/١٥٢، ١٥٣) و(٣/٩٠٢) ونقل تصحيحه عن الامام أحمد. وأورده العلائي في بغية الملتمس وصححه ص (٣٤ - ٣٥). وقال القسطلاني في إرشاد الساري (١/٤). (وهذا الحديث رواه من الصحابة علي، وابن عمر، وابن مسعود، وابن عباس وجابر بن سمره، ومعاذ، وأبو هريرة رضى الله عنهم).
وأورده ابن عدي من طرق كثيرة كلها ضعيفة كما صرح به الدارقطني وأبو نعيم وابن عبدالبر لكن يمكن أن يتقوى بتعدد طرقه ويكون حسنا، كما جزم ابن كيلكدي العلائي.

ومن آثار السلف في لزوم الجماعة ووسطية أهل السنة ما روي عن عمر بن عبدالعزيز أن عاملا له كتب إليه يسأله عن الأهواء فكتب إليه عمر يقول: أما بعد:

فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنته وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدث المحدثون بعده مما قد جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة، واعلم أن الناس لم يحدثوا بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها. فإن السنة إنما سنها من علم بما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق. فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم. فإنهم السابقون وإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوًّا، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى وبفضل فيه لو كان أحرى. فلئن كان الهدى ما أنتم عليه فقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم حدث بعدهم حدث ما أحدث إلا من اتبع غير سبلهم ورغب بنفسه عنهم، لقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محسر، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا، وطمح عنهم آخرون فغلوا، إنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم[1].

وقال حذيفة بن اليمان: اتقوا الله يا معشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم. والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن تركتموه يمينا أو شمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا[2].

وجاء عن حذيفة أيضا: كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها. فإن الأول لم يدع للآخر مقالا، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم[3].

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص٣٠ ـ ٣١) والحلية لأبي نعيم (٥/ ٣٣٩) والاعتصام للشاطبي (١/ ٤٩).

(٢) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص١٠.

(٣) روى البخاري طرفا منه بالمعنى. انظر البخاري مع الفتح (١٣/ ٢٥٠) وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص١٠ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة. (١/ ٩٠) وعبدالله بن الامام أحمد في السنة (١/ ١٣٩).

ومما تقدم يتضح جليا أن الإسلام لم يكتف بتقديمه المنهج الوسط لأبنائه وأتباعه فحسب، بل حذرهم من الإفراط والتفريط، والغلو والتقصير، ونهاهم عن ذلك، ونفّرهم منه، وبين العواقب الوخيمة، والنهاية الأليمة لكل منهج يخالف المنهج الرباني القويم والهدي النبوي الكريم.

المبحث الثالث
حرص الصحابة على لزوم الكتاب والسنة والبعد عن البدع:

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أشد حرصا على العمل بالكتاب والسنة وأشدهم عداوة وبغضا للبدع وأهلها. كذلك التابعون ومن جاء بعدهم ممن تبعهم بإحسان وسأورد نماذج من أقوال الصحابة والسلف الصالح في ذم البدعة والمبتدعين والحث على لزوم السنة.

من أقوال الصحابة في ذلك:
«فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول إنما أنا مثلكم وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيقه. إن الله اصطفى محمدا على العالمين وعصمه من الآفات. وإنما أنا متبع ولست بمبتدع. فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فقوموني»[1].

وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم[2]).

وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة)[3].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢١١).
(٢) أخرجه الطبراني. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٨١) الطبعة الثانية ورجاله رجال الصحيح، ورواه الدارمي وإسناده صحيح (١/٦٩).
(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/٩٢).

وعن عمرو بن سلمة قال: كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود قبل صلاة الغـداة. فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج إليكم أبو عبدالرحمن بعد؟ قلنا: لا فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعا، فقال له أبو موسى: ياأبا عبدالرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرا قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم، فقـال: ماهـذا الـذي أراكم تصنعـون؟ قالـوا ياأبا عبدالرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لم يصبه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا: إن قوما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج[1].

فإذا كان ابن مسعود رضى الله عنه قد أنكر هذه الهيئة التي يذكرون الله بها رغم أن الـذكـر الـوارد فيهـا مشروع، بيد أنه أنكر عليهم الشكل والصفة وتخصيص هذا الوقت بالذات للذكر، فكيف لو اطلع ابن مسعود على هذه الأذكار التي يذكر بها بعض المسلمين اليوم، وهي لا تمت إلى ذكر الله بصلة، مما ابتدعه أصحاب الطرق الصوفية، وغيرهم من الأذكار التي زينها لهم الشيطان، منها ما

---

(١) رواه الامام أحمد ٣٥٨ في الزهد، والدارمي في سننه (١/ ٦٨) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٨٠).

يرددونه بصوت واحد من قولهم (هو هو) أو (حي حي) وغير ذلك من ألوان الهذيان، الذي يرددونه ويزعمون أنه ذكر لله، في الوقت الذي لو سمعتهم وهم يترنمون بهذه الأذكار التي لا يفهم منها شيء في كثير من الأحيان. لخيل إليك أن أمامك سباعا تتعاوى أو كلابا تتهارش على فريسة، بل تحولت أذكار كثير ممن ينتسب إلى الإسلام اليوم إلى أنواع من الرقصات المختلفة، فضلا عما يصخب ذلك من آلات الطرب والمعازف، واختلاط الرجال بالنساء وشرب للمسكرات، وغير ذلك من أنواع الفساد التي يمليها عليهم الشيطان، فياليت شعري ماذا سيقول هذا الصحابي الجليل لو اطلع على هذه المناظر، أو سمع تلك الأصوات المنكرة. ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[1].

وروى الدارمي في سننه عن ابن مسعود قال تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله ألا وإياكم والتنطع والتعمق والتبدع وعليكم بالعتيق[2].

وعنه رضى الله عنه قال: الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة[3].

وعن عثمان الأزدي قال: دخلت على ابن عباس رضى الله عنهما فقلت له: أوصني فقال: عليك بتقوى الله تعالى والاستقامة اتبع ولا تبتدع[4].

وروى البيهقي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: إن أبغض الأمور إلى الله تعالى البدع وإن من البدع الاعتكاف في المساجد التي في الدور[5].

---

(١) سورة لقمان آية ١٩.

(٢) سنن الدارمي (١/٥٤). شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/٨٧).

(٣) أخرجه الحاكم وقال على شرطهما ووافقه الذهبي (١/١٠٣) وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٣٠).

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (١/٥٠) وابن بطه في الإبانة الصغرى (٢/٢٣٠).

(٥) انظر السنن الكبرى للبيهقي (٤/٣١٦).

المبحث الرابع
حرص السلف بعد الصحابة على لزوم هذا المنهج

وسنشرع الآن في ذكر نماذج من أقوال التابعين وغيرهم من السلف في الحث على اتباع السنة والتحذير من البدع وتشديدهم في ذلك حتى تبرأوا منهم وهجروهم. وأمروا بهجرانهم ومقاطعتهم، ونهوا عن مجالستهم وكلامهم. وإليك أخي القاريء بعضا من هذه النماذج:

فعن الحسن قال: لو أن رجلا أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئا، قال ووضع يده على خده ثم قال: إلا هذه الصلاة، ثم قال: أما والله على ذلك لمن عاش في النكر ولم يدرك ذلك السلف الصالح فرأى مبتدعا يدعو إلى بدعته، ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه. فعصمه الله من ذلك. وجعل قلبه يحنّ إلى ذلك السلف الصالح، يسأل عن سبلهم، ويقتص آثارهم، ويتبع سبيلهم ليعوض أجرا عظيما، وكذلك فكونوا إن شاء الله[1].

وعن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى قال: (أوصيكم بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدثه المحدثون بعده)[2].

وقال ابن سيرين رحمه الله: (ما أحدث رجل بدعة فراجع سنة)[3].

(وقال محمد بن أسلم: من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام[4].

وقال مالك بن أنس: (إياكم والبدع قيل يا أبا عبدالله وما البدع قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص ٦٧.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة (١٨/٥) باب لزوم السنة.

(٣) رواه الدارمي (١/٦١) وابن بطه في الإبانة الصغرى (١/١٣١).

(٤) أخرجه ابن بطه عن الفضيل ص١٥٩ وأخرجه مرفوعا ص١١٣ وأبو نعيم في الحلية (٥/٢١٨) وللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/١٣٩).

يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وقال: لو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام ولكنه باطل يدل على باطل)[1].

وسئل سفيان الثوري عن الكلام فقال: (دع الباطل أين أنت عن الحق اتبع السنة ودع البدعة وقال: وجدت الأمر الاتباع. وقال عليكم بما عليه الحمالون والنساء في البيوت والصبيان في المكاتب من الإقرار والعمل)[2].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام[3].

وقال الليث بن سعد لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء ما قبلته[4].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: (أما إنه قد قصر لو رأيته يمشي في الهواء ما قبلته)[5].

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة. لأن الله يقول ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا[6].

وقال الإمام أحمد رحمه الله (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء وترك البدع، وكل بدعة ضلالة)[7].

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/٢١٧).

(٢) شرح السنة للبغوي (١/٢١٧) وتلبيس إبليس ص٨٩ لابن الجوزي.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/١١٦) وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص٨٢.

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٤٥).

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/١٤٥)، وابن أبي حاتم في مناقب الشافعي ص١٨٤، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص١٤.

(٦) الاعتصام للشاطبي (١/٤٩).

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/١٥٦) وطبقات الحنابلة (١/٣١١) ذم التأويل لابن قدامه المقدسي ص٣٤.

فانظر أخي القاريء رحمك الله إلى هذه الآثار الواردة عن السلف الصالح رحمهم الله كلهـا تنـطق بالحق وتدعو إلى التبصر في دين الله وتحذر من البدع والمحـدثات صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها. إذ التهاون بالقليل منها يؤدي إلى الاستكثار حتى تعمي صاحبها عن الحق وتصده عن النظر في السنة. (ومعظم النار من مستصغر الشرر).

يقول الإمام أبو محمد البربهاري وهو من أصحاب تلاميذ الإمام أحمد في كتابه شرح السنة:

(واحذر صغار المحدثات، فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارا، وكذلك كلّ بدعة أحدثت في الأمة كان أولها صغيرا يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع المخرج منها فعظمت، وصارت دينا يدان به فخالف الصراط المستقيم.

فانظر رحمك الله: كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة. فلا تعجلن. ولا تدخلن في شيء منـه حتى تسـأل وتنظر. هل تكلم فيه أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. أو أحد من العلماء؟ فإن أصبت فيه أثرا عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئا، فتسقط في النار.

واعلم رحمك الله ـ أنه ليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الامثال، ولا تتبـع فيهـا الأهواء، وهو التصديق بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم. بلا كيف، ولا شرح، ولا يقال: لم؟ ولا وكيف؟ فالكلام والجدال والمراء محدث يقدح الشك في القلب، وإن أصاب صاحبه الحق والسنة)[1].

وقال شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبدالرحمن الصابوني المتوفي سنة (٤٤٩) في كتابه اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة، آداب أصحاب الحديث

(ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات المكتوبات، واقامتها في أوائل الأوقات.

---

(١) شرح السنة للبربهاري ص٢٣ ـ ٢٤، وطبقات الحنابلة (٢/ ١٨ ـ ١٩).

ثم ذكر أشياء من صفاتهم الجميلة ـ ومنها: ويتواصون بقيام الليل. وبصلة الأرحام على اختلاف الحالات وإفشاء السلام وإطعام الطعام إلى أن يقول: والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبدار إلى فعل الخيرات أجمع. واتقاء شر عاقبة الطمع ويتواصون بالصبر ويتحابون في الدين ويتباغضون فيه ويتقون الجدال والخصومات فيه، ويتجنبون أهل البدع والضلالات وأصحاب الأهواء والجهالات. ويقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ماليس منه ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت، وفيها أنزل الله عز وجل قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

قول بعض الناس. الثواب على قدر المشقة ليس بمستقيم على إطلاقه. كما قد يستدل به طوائف على أنواع من الرهبانيات والعبادات المبتدعة. التي لم يشرعها الله ورسوله من جنس تحريمات المشركين وغيرهم ما أحل الله من الطيبات، ومثل التعمق والتنطع الذي ذمه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال (هلك المتنطعون)[2].

وقال: (لو مد لي الشهر لواصلت وصالا، يدع المتعمقون تعمقهم)[3]. مثل الجوع أو العطش المفرط الذي يضر العقل والجسم. ويمنع أداء واجبات أو مستحبات أنفع منه، وكذلك الاحتفاء والتعري والمشي الذي يضر الإنسان بلا

(١) سورة الأنعام آية ٦٨، وانظر عقيدة أصحاب الحديث للصابوني المطبوعة ضمن الرسائل الكمالية (١١٤/٣ ـ ١١٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٥٥/٤).

(٣) صحيح مسلم (٧٧٥/٢ ـ ٧٧٦).

فائدة مثل حديث أبي إسرائيل الذي نذر أن يصوم وأن يقوم قائما ولا يجلس ولا يستظل ولا يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه).[1].

وهكذا نجد مما تقدم من النصوص أن الكتاب والسنة والآثار والأخبار التي نقلت عن السلف الصالح تفيد من نظر فيها بتبصر وتدبر أن كل بدعة في الدين صغيرة أو كبيرة في الأصول أو الفروع، في العقائد أو العبادات أو المعاملات فعلية أو تركية - فهي ضلالة. صاحبها مؤاخذ معاقب عليها. وبدعته مردودة عليه غير مقبولة منه. كيف؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم: (إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي[2].

وقال ايضا: (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)[3].

المبحث الخامس
حكم مجالسة أهل البدع والأهواء

لقد جاء الإسلام بحماية الفرد والمجتمع من كل ما يضر به في دنياه وآخرته، وسدّ كل طريق يؤدي بأتباعه إلى الشر، أو يوقعهم في حبائل الشيطان، يتجلى ذلك فيما ورد من النصوص في الكتاب والسنة التي تحذر المسلمين من مخالطة أهل الشر ومجالستهم والاستماع إليهم، حرصا على تحصين المسلمين وحفظ دينهم من التحريف والتغيير والتبديل، فلا يؤمن أن تنتقل العدوى وتسري بين أفراد المجتمع المسلم إذا تساهلوا في مخالطة ومعاشرة أهل الزيغ والضلال. قال الله تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١١/٥٨٦) وسنن أبي داود (٣/٣١٨) وسنن ابن ماجه (١/٦٩٠) ومسند أحمد (٤/١٦٨) وانظر مجموع الفتاوى (١٠/٦٢٠).

(٢) تقدم تخريجه في مبحث الاعتصام بالكتاب والسنة الفصل الثاني من الباب الأول ص٥٣.

(٣) تقدم تخريجه في مبحث شمول هذا الدين الفصل الأول من الباب الأول ص١٨.

ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير: يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول وما جاء به من عند الله من الحق المبين، الذي لا مرية فيه، وسلك طريقا أخرى غير سبيل الرسول، فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم، وعض على يديه حسرة وأسفا. وقال في قوله تعالى: ﴿يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا﴾ يعني من صرفه عن الهدى، وعدل به إلى طريق الضلالة. وقوله: ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾. وهو القرآن ﴿بعد إذ جاءني﴾، أي بعد بلوغه إليّ. قال الله تعالى: ﴿وكان الشيطان للانسان خذولا﴾. أي يخذله عن الحق ويصرفه عنه، ويستعمله في الباطل ويدعوه إليه[2].

وقال تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾[3]

قال الحافظ ابن كثير في معنى هذه الآية: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾، أي بالتكذيب والاستهزاء (فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره)، أي حتى يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب، ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾. والمراد بهذا كل فرد من آحاد الأمة. أن لا يجلسوا مع المكذبين الذين يحرّفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها فإن جلس أحد معهم ناسيا (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد التذكر (مع القوم الظالمين)[4].

وقال تعالى: ﴿وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر

---

(١) سورة الفرقان آية ٢٧، ٢٨، ٢٩.
(٢) تفسير ابن كثير (٦/١٤٤) كتاب الشعب.
(٣) سورة الأنعام آية ٦٨.
(٤) تفسير ابن كثير (٣/٢٧٢) كتاب الشعب.

بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾[1].

وقال الحافظ ابن كثير أيضا: في معنى هذه الآية: أي إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ بها وينتقص منها، وأقررتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه. فلهذا قال تعالى: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ في المأثم. كما جاء في الحديث (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر)[2].

قال العلامة محمد رشيد رضا في تفسيره لآية النساء: (وقد نزل عليكم.. الآية. قال: الخطاب عام لجميع من كان يظهر الإيمان من صادق ومنافق. والذي نزله عليهم في الكتاب هو قوله تعالى في سورة الأنعام التي نزلت قبل هذه السورة لأنها مكية وهـذه السورة مدنية. ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾. نزلت هذه الآية في مشركي مكة إذ كانوا يخوضون في الكفر وذم الإسلام والاستهزاء بالقرآن، وكان بعض المسلمين يجلسون معهم في هذه الحال ولا يستطيعون الإنكار عليهم لضعفهم وقوة المشركين، فأمروا بالإعراض عنهم، وعدم الجلوس إليهم في هذه الحال. ثم إن يهود المدينة كانوا يفعلون فعل مشركي مكة، وكان المنافقون يجلسون معهم ويستمعون لهم فنهى الله المؤمنين على الإطلاق عن ذلك. ومجموع الآيتين يدل على أن بعض ما كان يخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم. يراد به أمته ومعنى (سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) سمعتم الكلام الذي موضوعه جعل الآيات في موضع السخرية والاستهزاء الذي يراد به التحقير والتنفير بمجرد السفه وقول الزور. ويدخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع.

---

(١) سورة النساء آية ١٤٠.

(٢) رواه الترمذي (١١٣/٥) في الأدب عن جابر، ورواه أحمد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٢٠/١)، وعن جابر بن عبدالله (٣٣٩/٣) وانظر تفسير ابن كثير (٣٨٧/٢) كتاب الشعب.

ثم قال رحمه الله: قال في فتح البيان في مقاصد القرآن:

وفي هذه الآية باعتبار عموم لفظها دون خصوص السبب دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية كما يقع كثيرا من أسراء التقليد الذين استبدلوا آراء الرجال بالكتاب والسنة، ولم يبق في أيديهم سوى: قال إمام مذهبنا كذا. وقال فلان من أتباعه بكذا. وإذا سمعوا من يستدل على تلك المسألة بآية قرآنية أو بحديث نبوي سخروا منه ولم يرفعوا بما قاله رأسا، وظنوا أنه قد جاء بأمر فظيع، وخطب شنيع، وخالف مذهب إمامه الذي نزلوه منزلة معلم الشرائع، بالغوا في ذلك حتى جعلوا رأيه الفائل، واجتهاده الذي هو عن منهج الحق مائل، مقدما على الله وعلى كتابه وعلى رسوله، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما صنعت هذه المذاهب بأهلها. والأئمة الذين انتسب هؤلاء المقلدة إليهم براء من فعلهم فإنهم قد صرحوا في مؤلفاتهم بالنهي عن تقليدهم. ثم قال رحمه الله ويا ليت هؤلاء الذين جعلوا كلام شيوخهم أصلا للدين. والكتاب والسنة فرعين أو مهملين. يتبعون الأئمة الذين يدّعون الانتساب إليهم وهم لا يعرفون هديهم ولا يتبعونهم، وإنما يتبع كل أهل عصر شيوخهم على جهلهم.

﴿إنكم إذا مثلهم﴾ هذا تعليل للنهي أي إنكم إن قعدتم معهم تكونون مثلهم وشركاء لهم في كفرهم، لأنكم أقررتموهم عليه ورضيتموه لهم، ولا يجتمع الإيمان بالشيء، وإقرار الكفر والاستهزاء به. ويؤخذ من الآية أن إقرار الكفر بالاختيار كفر، ويؤخذ منه أن إقرار المنكر والسكوت عليه منكر، وهذا منصوص عليه أيضا. وإن إنكار الشيء يمنع فشوه بين من ينكرونه حتما. فليعتبر بهذا أهل هذا الزمان. ويتأملوا كيف يمكن الجمع بين الكفر والإيمان أو بين الطاعة والعصيان، فإن كثيرا من الملحدين في البلاد المتفرنجة يخوضون في آيات الله ويستهزؤون بالدين، ويقرهم على ذلك ويسكت لهم من لم يصل إلى درجة كفرهم لضعف الإيمان والعياذ بالله تعالى[1].

(١) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٥/٤٦٣ ـ ٤٦٤).

وما ذكره الشيخ محمد رشيد رضا من التقليد الأعمى للشيوخ والاستهزاء والسخرية بمن يعظمون السنة ويجتنبون البدعة هو الواقع الأليم الذي تعيشه كثير من المجتمعات الإسلامية في هذا الزمان فينتقصون أهل الإيمان ويعظمون عباد الصلبان، ويعبدون مشايخ الطرق الذين نصبوا أنفسهم مشرعين ويتبعهم الخاصة والعامة دونما حياء أو خجل. ولو أمروهم بمخالفة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وما أكثرهم لا كثرهم الله، ولكننا على يقين بإذن الله بأن العاقبة للمتقين (فالحق يعلو ولا يعلى) كما قال تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾(١).

وأما الأحاديث الواردة في التحذير من مجالسة المبتدعة ومخالطتهم فكثيرة نذكر منها:

ما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة(٢).

قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما(٣).

وقال النووي: (فيه تمثيله صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وباطله ونحو ذلك من الأنواع المذمومة(٤).

---

(١) سورة الصافات آية ١٧١ ـ ١٧٢، ١٧٣.
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٩/ ٦٦٠) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٦).
(٣) فتح الباري (٤/ ٣٢٤).
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١٧٨).

وعن حذيفة رضى الله عنه قال:
كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير. وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. فقلت يا رسول الله. إنا كنا في جاهلية وشر. فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير قال: نعم، وفيه دخن[1]. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت يا رسول الله صفهم لنا، قال هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك[2].

قال الحافظ ابن حجر في معرض شرحه لهذا الحديث (ويؤخذ منه ذم من جعل للدين أصلا خلاف الكتاب والسنة وجعلها فرعا لذلك الأصل الذي ابتدعوه، وفيه وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدي النبوي ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع)[3]

فتأمل رحمك الله كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم شدد في التحذير من مجالسة أهل الشر، ولا شك أن أخطرهم وأكثرهم شرا هم أهل البدع والأهواء من تلك الفرق الضالة المنحرفة عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم. ولذا أمر بمفارقتهم والبعد عنهم ولو أن يعض المسلم على أصل شجرة حتى يلقى الله سبحانه وتعالى.

وهذه آثار السلف الصالح تحذر من مجالسة أهل البدع والأهواء وتشدد في ذلك حتى إنهم إذا سمعوا مبتدعا يتكلم وضعوا أصابعهم في آذانهم خشية الافتتان بقوله.

---

(١) الدخن: هو الحقد أو الدغل أو فساد في القلب انظر فتح الباري (١٣/٣٦) وجاء في القاموس - مادة دخن - ص(١٥٤٣) الدخن محركة الحقد وسوء الخلق وتغير العقل والدين والحسب.
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٣/٣٥).
(٣) انظر فتح الباري (١٣/٣٧).

وإليك أخي القاريء نماذج توضح مواقفهم من أهل البدع والأهواء:

قال أبو قلابة: (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون)[1].

وعن أسماء بن عبيد قال: دخل رجلان من أصحاب الأهواء على ابن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث قال لا. قالا فنقرأ عليك آية من كتاب الله قال لا. لتقومان عني أو لأقومن قال: فخرجا فقال بعض القوم. يا أبا بكر وما كان عليك أن يقرءا عليك آية من كتاب الله تعالى قال إني خشيت أن يقرءا عليّ آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي[2].

وعن الحسن وابن سيرين: أنهما قالا لا تجالسوا أهل البدع ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم[3].

وقال سفيان الثوري: من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه لئلا يلقيها في قلوبهم[4].

وقال ابن المبارك: أنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية[5].

وقال أيضا: ليكن مجلسك مع المساكين واحذر أن تجلس مع صاحب بدعة[6].

قال البغوي في كتابه شرح السنة:

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن افتراق هذه الأمة وظهور الأهواء

---

(١) سنن الدارمي (١/١٠٨) والبدع والنهي عنها لابن وضاح ص٤٨، وشرح السنة للبغوي (١/٢٢٧).

(٢) سنن الدارمي (١/١٠٩).

(٣) سنن الدارمي (١/١١٠).

(٤) شرح السنة للبغوي (١/٢٢٧).

(٥) سير أعلام النبلاء (٨/٣٥٥).

(٦) المصدر السابق (٨/٣٦٨).

والبدع فيهم وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه رضى الله عنهم. فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلا يتعاطى شيئا من الأهواء والبدع معتقدا، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره ويتبرأ منه. ويتركه حيا أو ميتا، فلا يسلم عليه إذا لقيه ولا يجيبه إذا ابتدأ إلى أن يترك بدعته ويراجع الحق.

والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة، دونما إذا كان ذلك في حق الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا.

ثم ساق البغوي رحمه الله قصة كعب بن مالك في تخلفه عن غزوة تبوك. وقال عقبها . . . وفي (الحديث) دليل على هجران أهل البدع على التأبيد. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل الله تعالى توبتهم وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم براءتهم.

وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم[1].

ثم حكى مواقف جماعة من الصحابة وأئمة السلف من المبتدعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه السياسة الشرعية:
(وجوز طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما قتل الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة. وكذلك كثير من أصحاب مالك، وقالوا إنما جوز مالك وغيره قتل القدرية لأجل الإفساد في الأرض لا لأجل الردة[2].

وقال ابن القيم رحمه الله في الفوائد:
اجتنب من يعادي أهل الكتاب والسنة لئلا يعديك خسرانه، احترس من

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/٢٢٤ - ٢٢٧).
(٢) كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية ص١٢٣.

عدوين هلك بهما أكثر الخلق صاد عن سبيل الله بشبهاته وزخرف قوله ومفتون بدنياه ورئاسته(١).

قال القـرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم. . .﴾ الآية.

استدل مالك رحمه الله بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم.

قال أشهب عن مالك. لا تجالسوا القدرية وعادوهم في الله تعالى لقوله تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾.

قال القرطبي: قلت وفي معنى أهل القدر جميع أهل الظلم والعدوان(٢).

وقـال القرطبي أيضا في تفسيره عند قوله تعالى: [يا أيها الذين آمنوا لا تتخـذوا بطانة من دونكم](٣). الآية. نهى الله عز وجل المؤمنين بهذه الآية أن يتخـذوا من الكفـار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء. يفاوضونهم في الآراء ويسندون إليهم أمورهم ويقال كل من كان على خلاف مذهبك ودينك فلا ينبغي لك أن تحادثه. قال الشاعر:

عن المـرء لا تسـأل وسـل عن قرينـه فكـل قرين بالمـقـارن يقتـدي

وفي سنن أبي داود والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل(٤).

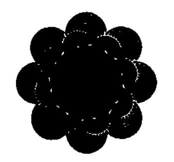
وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: (اعتبروا الناس بإخوانهم)(٥).

---

(١) كتاب الفوائد لابن القيم ص٧٤.
(٢) تفسير القرطبي (٣٠٨/٧).
(٣) سورة آل عمران آية ١١٨.
(٤) رواه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة. انظر سنن أبي داود (٢٥٩/٤) والترمذي (٥٨٩/٤) وأحمد (٣٠٣/٢، ٣٣٤).
(٥) تفسير القرطبي (١٧٨/٤).

قلت وقد صدق الإمام القرطبي في استدلاله بهذه النصوص على أن القرين يقتدي بقرينه، والخليل يقتدي بخليله، والمرء مع من أحب فأهل الإيمان والتقى بعضهم أولياء بعض وأهل الزيغ والبدع والضلال بعضهم أولياء بعض. يتضح ذلك جليا من قول النبي صلى الله عليه وسلم. الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.(١).

فانظر رحمك الله إلى أهل التوحيد والإيمان في تمسكهم بحبل الله واجتماع كلمتهم على ذلك تحت راية الإسلام يشارك بعضهم بعضا في الأفراح والأتراح وينصر بعضهم بعضا أينما كانوا وحيثما وجدوا. لأن هدفهم الأسمى وغرضهم الأوحد هو تحقيق كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتخليصها مما شابها من بدع المبتدعين وانتحال المبطلين وزيغ الملحدين. وبالمقابل نجد أن الفرق الضالة وأصحاب النحل المنحرفة عن الجادة وإن كانوا أعداء فيما بينهم متفرقين في نحلهم كما قال تعالى في وصف إخوانهم اليهود [تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى](٢). إلا أن بينهم قاسما مشتركا يجتمعون عليه ألا وهو عداوة أهل السنة. لأن منطلقهم واحد وهو تحكيم العقول واتباع الهوى وتلمس الشبهات، فهم متشابهون في هذا المنطلق وإن تسموا بأسماء مختلفة والمثل السائر يقول إن الطيور على أشكالها تقع.



---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٦/ ٣٧٩) مسند أحمد (٢/ ٢٩٥).
(٢) سورة الحشر آية ١٤.

الباب الثاني

في البدعة وأسبابها وخطورتها وأحكامها

وفيه سبعة فصول

الفصل الأول: تعريف البدعة وأنها إحداث في الدين

الفصل الثاني: في أنواع البدع

الفصل الثالث: في أسباب البدعة

الفصل الرابع: في خطورة البدعة

الفصل الخامس: في الرد على شبه المبتدعة

الفصل السادس: في حكم البدعة

الفصل السابع: في نماذج من البدع الشائعة

الفصل الأول: في تعريف البدعة وأنها إحداث في الدين وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في تعريفها لغة وشرعا.

المبحث الثاني: في أن البدعة إحداث في الدين.

المبحث الأول
في تعريف البدعة لغة وشرعا

البدعة لغة تطلق على معنيين: أحدهما الشيء المخترع على غير مثال سابق ومما جاء في هذا المعنى قول العزيز الحميد: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾[1]. أي ما كنت أول المرسلين فقد أرسل قبلي رسل كثير، وجئت على فترة منهم. ويقال لمن أتى بأمر لم يسبقه إليه أحد، أبدع وابتدع وتبدع أي أتى ببدعة، ومنه قول الله تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾[2]. وبديع السموات والأرض صفة من صفات الله تبارك وتعالى لابداعه إياها وإحداثه لها لا عن مثال سابق لقوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾[3].

الثاني: التعب والكلال، يقال أبدعت الإبل إذا بركت في الطريق من هزال أو داء أو كلال[4].

إلا أن المعنى الثاني يعود إلى الأول لأن معنى أبدعت الراحلة بدأ بها التعب بعد أن لم يكن بها كما نص على ذلك ابن منظور. وابن الأثير[5].

ومما تقدم يتضح لنا أن البدعة تطلق على كل أمر أحدث على غير مثال سابق، وهي مستعملة في الخير والشر ولكن استعمالها في مجال الذم أكثر.

---

(١) سورة الأحقاف آية ٩.
(٢) سورة الحديد آية ٢٧.
(٣) سورة البقرة آية ١١٧.
(٤) انظر لسان العرب لابن منظور (٧/٨) والقاموس المحيط للفيروز آبادي (٣/٣، ٤).
(٥) لسان العرب لابن منظور (٧/٨)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٠٧/١).

ثانيا: تعريف البدعة شرعا

لقد عرف علماء الإسلام رحمهم الله البدعة بتعريفات كثيرة تدور كلها على الإحداث في الدين بما يخالف الكتاب والسنة واختراع عمل لم يدل عليه دليل بنية التقرب والتعبد لله تعالى. وجل التعريفات التي نص عليها العلماء لا تخرج عن هذا المعنى، وإن كانت تختلف لفظا بإضافة قيد أو احتراز لتمييز البدعة من غيرها. وسأورد نماذج من هذه التعريفات ثم أخلص بعد ذلك إلى اختيار التعريف الذي أرى أنه جامع مانع إن شاء الله تعالى.

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(والبدعة ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات. كأقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية، وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء في المساجد، والذين يتعبدون بحلق اللحى وأكل الحشيشة. وأنواع ذلك من البدع التي يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة والله أعلم)[1].

٢ ـ وجاء في الاتباع للسيوطي:

(البدعة عبارة عن فعلة تصادم الشريعة بالمخالفة أو توجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان)[2].

٣ ـ تعريف الشاطبي:

مهد الإمام الشاطبي بتمهيد ما عليه من مزيد حتى توصل بعد هذا التمهيد إلى التعريف الشرعي للبدعة وإليك خلاصة كلامه رحمه الله بتصرف.

وأصل مادة «بدع» للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: (بديع السموات والأرض) أي مخترعهما من غير مثال سابق متقدم، ويقال ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق. ويربط الإمام الشاطبي بين المعنى اللغوي والشرعي فيقول: ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة، وقد يسمى

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/٣٤٦).

(٢) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص٣٤ للسيوطي تحقيق مصطفى عاشور.

العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة، فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة. ثم يستمر بالتمهيد للتعريف. ويذكر أقسام الحكم التكليفي الخمسة حتى يتوصل إلى أن من المنهيات ما يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفا لظاهر التشريع من جهة ضرب الحدود وتعيين الكيفيات، والتزام الهيئات المعينة أو الأزمنة المعينة مع الدوام ونحو ذلك. وهذا هو الابتداع والبدعة. ويسمى فاعله مبتدعا.

ومما تقدم يستنتج الشاطبي تعريف البدعة في الدين فيقول: (فالبدعة إذاً عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه)[1]. ومعنى هذا التعريف ـ وهو جامع مانع كما ترى ـ فالطريقة والسبيل والسنن ألفاظ مترادفة وهو ما رسم للسلوك عليه، وإنما قيدت بالدين لأن صاحبها يضيفها إليه. خرج بذلك الطريقة المخترعة في الدنيا كالصناعات مثلا، فإنها لا تسمى بدعة في الدين بهذا القيد وإن كانت مخترعة.

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم إلى قسمين فمنها ما له أصل في الشريعة ومنها ما ليس له أصل فيها، خص منها ما هو المقصود بالحد وهو القسم المخترع في الدين، أي طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع، وقوله في التعريف تضاهي الشرعية يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك. بل هي مضادة لها من أوجه متعددة على رأس تلك الأوجه اتهام الشريعة بالنقص وعدم الكمال. وهذا معلوم البطلان من الدين بالضرورة كما تقدم. وقوله (يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى). هو تمام معنى البدعة إذ هو المقصود بتشريعها. وذلك أن أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك، لأن الله تعالى يقول: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[2]. فكأن المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى فأراد أن يسلكه بأي وجه ولم يتبين له أن الشارع قد وضع لذلك حدودا وضوابط وقوانين لا يجوز أن يزاد فيها أو ينقص[3].

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/٣٦).

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦.

(٣) انتهى ملخصا من الاعتصام (١/٣٦ ـ ٤٠).

المبحث الثاني
البدعة إحداث في الدين

تقدم لنا تعريف البدعة وقلنا إنها عبارة عن الإحداث في الدين مما لم يشرعه الله. وبناء عليه فإن كل من أحدث أمرا يكون له نصيب وافر. وجزء كبير من الوعيد المذكور في النصوص التي تحذر من الإحداث في الدين، والتي جاء التحذير فيها عاما، ولم يخصص بدعة دون أخرى.

فإن من استحسن بعقله القاصر المحدود. وحث الناس على التعبد بما استحسنه مبتدع مشاق ومصادم لهذه النصوص، وعليه تبعة ذلك إلى يوم القيامة. إذ أن من عمل خيرا وتبعه الناس عليه كان له من الأجر بقدر أجر من يتبعه في هذا الخير، وعلى النقيض من ذلك فإن من عمل سوءا كالابتداع مثلا والإحداث في الدين فإنه لا يعاقب بوزر ارتكابه تلك البدعة فحسب بل يتحمل مثل وزر من تبعه في هذا الأمر. يدل لذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)[1].

وأي إحداث في الدين مردود على من أحدثه، وغير مقبول، لما روى الشيخان وغيرهما. من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[2]. وفي رواية لمسلم: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[3].

وإنما كانت البدع مردودة على فاعلها، لأن إحداث هذه البدعة يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة. وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٦٠)، وأحمد (٢/٣٩٧).
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٥/٣٠١) و(١٣/٣١٧) وصحيح مسلم (٣/١٣٤٣).
(٣) صحيح مسلم (٣/١٣٤٤).

يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون المبتدعون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله. وهذا ولاشك فيه خطر عظيم واعتراض على رب العالمين. واستدراك عليه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم واتهام لرسول الله بالخيانة والكتمان. وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك. كيف يكون هذا وهو القائل: (من سئل عن علم يعلمه فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار)[1]. فهذا محال بالنسبة لسائر المؤمنين. فكيف بقدوتهم وأسوتهم صلوات الله عليه وسلامه.

ومعلوم أن الله سبحانه قد أكمل لعباده الدين، وأتم عليهم النعمة، والرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ البلاغ المبين ولم يترك طريقا يوصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بينه للأمة كما ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم)[2].

ومعلوم أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء وخاتمهم. وأكملهم بلاغا ونصحا. فلو كانت هذه البدع التي أحدثها المخالفون من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لبيّنه الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة. أو فعله في حياته، أو فعله أصحابه رضى الله عنهم. فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء بل هي من المحدثات التي حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها أمته[3].

كما جاء في أحاديث كثيرة منها ما رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي والحاكم وغيرهم بسند صحيح. عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم. ثم أقبل علينا بوجهه

---

(١) رواه ابن ماجه (١/٩٦، ٩٧، ٩٨).

(٢) تقدم تخريجه في مبحث شمول هذا الدين ص ١٨.

(٣) التحذير من البدع للشيخ عبدالعزيز بن باز ص٤ بتصرف.

فوعظنا موعظة بليغة. ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فأوصنا، فقال: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور. فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما: كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس على المنبر ويقول: أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم. وشر الأمور محدثاتها. وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، زاد النسائي: (وكل ضلالة في النار)(٢).

وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رهط إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم. فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم. وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم ـ أما أنا فأصلي الليل أبدا. وقال الآخر: أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر. وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)(٣).

---

(١) سنن أبي داود (٥/١٣)، والترمذي مع تحفة الأحوذي (٧/٤٣٨) وابن ماجه (١/١٥) في المقدمة، وأحمد (٤/١٢٦ ـ ١٢٧) والحاكم في كتاب العلم (١/٩٥ ـ ٩٧) والحديث صحيح بمجموع طرقه. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني (٢/٦٤٧) وقد أفرده الشيخ فالح بن نافع الحربي ببحث خاص استقصى فيه جميع طرقه وأصح تلك الطرق ما رواه ابن ماجه عن طريق يحيى بن أبي المطاع.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٣/٢٤٩)، صحيح مسلم (٢/٥٩٢ ـ ٥٩٣)، سنن النسائي (٣/١٨٨ ـ ١٨٩).

(٣) تقدم تخريجه في مبحث وسطية أهل السنة الفصل الثاني من الباب الأول ص ٦٤.

قال الحافظ ابن حجر: (فيه إشارة إلى رد ما بنوا عليه أمرهم من أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد في العبادة. بخلاف غيره، فأعلمهم أنه مع كونه لا يبالغ في التشديد في العبادة أخشى لله وأتقى من الذين يشددون، وإنما كان كذلك لأن المشدد لا يأمن من الملل بخلاف المقتصد فإنه أمكن لاستمراره، وخير العمل ما داوم عليه صاحبه. وقد أرشد إلى ذلك في قوله في الحديث الآخر: (المُنْبَتُّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى)[1].

ولا ريب أن من أحدث عبادة من عند نفسه لم يشرعها الله قد رغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أعظم ما جاء من الوعيد في ذلك أن صاحب البدعة قد يحال بينه وبين التوبة لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته)[2].

وأهل البدع والأهواء ممن يحال بينهم وبين الشرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة. فقد جاء في الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا فرطكم على الحوض وليختلجن رجال دوني فأقول يارب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. إنهم غيَّروا وبدلوا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم سُحقا سُحقا لمن غيَّر وبدل)[3]. أي بعداً له.. فهذه براءة من النبي صلى الله عليه وسلم ممن أحدث في الدين وغيَّر وبدَّل.

ومما لا شك فيه أن هؤلاء الذين يذادون عن الحوض من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. أي من أمة الإجابة. يدل لذلك أنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث بأن عليهم آثار الوضوء. وإنما حيل بينهم وبين الحوض لما أحدثوه في

---

(١) فتح الباري (١٠٥/٩).
(٢) سيأتي تخريجه وتوجيه معناه في حكم توبة المبتدع ص ١٦٨.
(٣) أخرجه البخاري (١٠٨/٨) في كتاب الرقاق باب الحوض، وفي كتاب الفتن (٣٩/٩) ورواه مسلم في عدة أماكن من كتابه عن كثير من الصحابة، صحيح مسلم مع شرح النووي (٥٩/٩) كتاب الفضائل (باب الحوض).

الدين من عند أنفسهم. ولم ينزل الله به من سلطان[1]. من تلك البدع والمنكرات والخرافات التي لا تعدو أن تكون من نسج خيالهم وبنيات أفكارهم الضالة. التي ظنوها حسنة وهي في الواقع من أقبح القبيح. وأي قبح أعظم من أن ينصب المرء نفسه مستدركا على الله ورسوله. ومشرعا في دين الله بعد القرون المفضلة الأولى الذين هم خير الناس بعد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما قال صلى الله عليه وسلم (خير الناس قرني) ثم الذ ين يلونهم ثم الذين يلونهم)[2]. وقد مضت تلك القرون المفضلة وليس لهذه البدع وجود أو رواج وإن وجد شيء منها فهو محدود وعلى نطاق ضيق. يختفي أصحابها ولا يستطيعون الظهور. لأنهم يشكلون أقلية بخلاف ما وصل إليه حال كثير من المسلمين اليوم. فقد طغت البدعة ودرست السنة، وتغيرت مفاهيم المسلمين وأصبح تصورهم للإسلام خاطئا وجعلوه في إطار ضيق. فقد وصل في بعض البلاد مثلا إلى حد كونه لا يعدو أن يكون مجموعة من الطقوس والاحتفالات التي قلدوا فيها أعداء المسلمين والإسلام، الذين يوجهون سهامهم المسمومة إلى الإسلام بسبب ضلال من ضل من المسلمين عن الطريق السوي وانحرف عن الجادة الصحيحة التي رسمها لهم الإسلام وأمرهم أن يسيروا عليها ولا يحيدوا عنها يمينا أو شمالا كما قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[3]. إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي توضح هذا المنهج القويم.

---

(١) زعمت الرافضة أن الذين يذادون عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم هم الصحابة الذين ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بزعمهم فلم يبق على الاسلام إلا عدد قليل أوصله بعضهم إلى بضعة عشر صحابيا، وبعضهم يرى أقل من ذلك. وأقول إن هذا باطل صدر عن أهل الباطل، بل هذا القول جناية على الاسلام كله. إذ أن الصحابة هم الذين نقلوا إلينا الدين وبلغوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا كانوا قد ارتدوا كما زعم هؤلاء الأوغاد فلا إسلام، ولعل الرافضة أحرى وأولى بالذود عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم هم الذين غيروا وبدلوا فسحقا لهم وبعدا ولمن ماثلهم من الفرق الضالة.

(٢) البخاري (٧/٣) رقم ٣٦٥٠، مسلم (١٩٦٢/٤ - ١٩٦٥، ٢٥٣٣ - ٢٥٣٦).

(٣) سورة يوسف آية ١٠٨.

الفصل الثاني
أنواع البدع

تمهيد:

للبـدع أنواع مختلفة باعتبارات مختلفة فليست في درجة واحدة بل تختلف اختلافا كثيرا، شأنها شأن الكبائر والمعاصي التي منها ما يصل إلى حد الكفر ومنها ما هو دون ذلـك، فلها تقسيمات باعتبار عمومها وخصوصها وتقسيمات باعتبار منشإها، وتقسيم باعتبار مضاهاتها للشرع أو عدم ذلك وتقسيم من ناحية مرتبتها أو كيفيتها ونحو ذلك من التقسيمات. وبناء عليه فإن هذا الفصل يشتمل على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: في تقسيمها إلى حقيقية وإضافية.

المبحث الثاني: في تقسيمها إلى فعلية وتركية.

المبحث الثالث: في تقسيمها إلى اعتقادية وعملية.

المبحث الرابع: في تقسيمها إلى كلية وجزئية.

المبحث الخامس: في تقسيمها إلى بسيطة ومركبة.

المبحث السادس: في تقسيمها إلى صغيرة وكبيرة.

المبحث السابع: في تقسيمها إلى عبادية وعادية.

المبحث الثامن: هل البدعة تعتريها أقسام الحكم التكليفي الخمسة.

المبحث الأول
تقسيم البدعة إلى حقيقية وإضافية

قسم الشاطبي البدعة إلى قسمين حقيقية وإضافية. وعرف الحقيقية بأنها مالم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع ولا استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل(١). وإن ادعى مبتدعها ومن تابعه أنها داخلة فيما استنبط من الأدلة، لأن ما استند إليه شبه واهية لا قيمة لها. فكأنها هي البدعة حقيقة وما عداها على المجاز(٢).

ومن أمثلتها:

أولا: تحريم الحلال أو تحليل الحرام استنادا إلى شبه واهية وبدون عذر شرعي أو قصد صحيح، روى الترمذي بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي. فحرمت علي اللحم فأنزل الله... ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا﴾(٣).

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبدالله رضى الله عنه قال: كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا نساء فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب ثم قرأ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾(٤).

---

(١) الاعتصام (٢٨٦/١).

(٢) انظر المصدر السابق ص٢٨٦.

(٣) رواه الترمذي (٣١٩/٣) وقال حسن غريب والآيتان من سورة المائدة ٨٧، ٨٨.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح (٢٧٦/٨)، وقول البخاري عن عبدالله يعني ابن مسعود. ومسلم (١٨٢/٩).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:
(بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه: (فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه)[1].

وقد تبين من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قد لفت نظره هذا المنظر أثناء خطبته والناس قعود. رجل قائم في الشمس فتعجب النبي صلى الله عليه وسلم من هذا المسلك المنافي لرفق ويسر الشريعة السمحة، فأمر بتقويمه وقال: مروه فليتكلم، وليستظل وليقعد وليتم صومه.
فالله غني عن مشقة هذا التي لا فائدة وراءها، وأقره على ما فيه فائدة ولا مشقة معه وهو الصوم.

يقول ابن حجر في الحديث من الفوائد:
(إن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو مآلا مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة كالمشي حافيا والجلوس في الشمس. ليس هو من طاعة الله. فلا ينعقد به النذر. فإنه صلى الله عليه وسلم أمر أبا اسرائيل بإتمام الصوم دون غيره وهو محمول على أنه لا يشق عليه وأمره أن يقعد ويتكلم ويستظل)[2].

وروى البخاري بسنده: عن قيس بن أبي حازم قال: دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب، فرآها لا تتكلم. فقال: مالها لا تتكلم؟ قالوا حجت مصمتة، فقال لها: تكلمي فإن هذا لا يحل. هذا من عمل الجاهلية. فتكلمت فقالت: من أنت؟ قال: امرؤ من المهاجرين)[3]. وفي ذلك ما يفيد أن تحريم الحلال مخالف للشرع بل من عمل الجاهلية فإحداثه على أنه مما يقرب إلى الله من البدع. وسواء في ذلك أكان التحريم مؤكداً بيمين أم لا.

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٥٨٦/١١) سنن أبي داود (٣١٨/٣) سنن ابن ماجه (٦٩٠/١) مسند الامام أحمد (١٦٨/٤).
(٢) فتح الباري (٥٩٠/١١).
(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١٤٧/٧) في مناقب الانصار، وسنن الدارمي (٩٢/١) في المقدمة.

ومما تقدم من الأحاديث نستنتج الأمور الآتية:

(١) إن البدع قد بدأت بوادرها في عهد النبوة كما تبين من تحريم أناس بعض ما أحل الله. فحذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك.

(٢) إن هذه البدع قد فعلها أصحابها بدافع التقرب إلى الله فلم يقرهم النبي صلى الله عليه وسلم لأنها بدعة محدثة.

(٣) إن ذلك كان في مجال العبادة فعلوها للتزود من الخير ولكن ليس كل مريد للخير يسلك الطريق الصحيح الموصل إليه.

(٤) إن الرسول صلى الله عليه وسلم قاوم هذا الاتجاه وقوّم هذه المغالاة.

(٥) إن ذلك الإحداث والغلو كان منحصرا في أفراد لا جماعات بخلاف ما وصل إليه حال المسلمين في هذا الزمان، فإن البدع أصبحت تشكل جماعات وأحزاباً مختلفة (كل حزب بما لديهم فرحون).

أما تحليل الحرام فيتمثل في تلك الآراء الفاسدة التي تحلل الربا بشبه واهية، أو تفتي بعدم جواز قتل المرتد، مع ورود الأحاديث الصحيحة في ذلك، استنادا إلى ما لا يجوز الاستناد إليه كما فعل صاحب كتاب الحرية الدينية في الإسلام.

ثانيا: ومن البدع الحقيقية اختراع عبادة ما أنزل الله بها من سلطان كصلاة سادسة مثلا بركوعين في كل ركعة أو بغير طهارة.

ثالثا: ومنها إنكار الاحتجاج بالسنة، أو تقديم العقل على النقل وجعله أصلا والشرع تابع له.

رابعا: ومنها القول بارتفاع التكاليف عند الوصول إلى مرحلة معينة مع بقاء العقل وشروط التكليف، فلا تجب عند ذلك طاعات ولا تحرم محرمات بل يصير الأمر على حسب الهوى والرغبات.

خامسا: ومن هذه البدع تخصيص مكان كبئر أو شجرة أو نحوها بخصوصية معينة من اعتقاد جلب خير أو دفع ضر بلا استناد إلى خبر صحيح.

أما البدعة الإضافية فقد عرفها الشاطبي بأنها ما لها شائبتان:
إحداهما: لها من الأدلة متعلق، فلا تكون من تلك الجهة بدعة.
والأخرى: ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية، أي أنها بالنسبة لاحدى الجهتين سنة لاستنادها إلى دليل، وبالنسبة للجهة الأخرى بدعة، لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل، أو لأنها غير مستندة إلى شيء.

وسميت إضافية لأنها لم تخلص لأحد الطرفين، لا بالمخالفة الصريحة ولا بالموافقة الصريحة.

والفرق بين البدعة الحقيقية والإضافية من جهة المعنى أن الدليل على الإضافية من جهة الأصل قائم ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل لم يقم عليها. مع أنها محتاجة إليه لأن الغالب وقوعها في التعبديات لا في العاديات المحضة[1]. ومن أمثلتها ذكر الله تبارك وتعالى على هيئة الاجتماع بصوت واحد. فالذكر مشروع بل واجب لكن أداؤه على هذه الكيفية غير مشروع بل هو بدعة مخالفة للسنة وعليه يحمل قول ابن مسعود للجماعة الذين كانوا يجتمعون في المسجد وفي أيديهم حصى فيسبحون ويكبرون بأعداد معينة حيث قال لهم: والله لقد جئتم ببدعة ظلما أو فضلتم أصحاب نبيكم علما[2]. ومن أمثلته أيضا تخصيص يوم النصف من شعبان بصيام وليلته بقيام، وإفراد شهر رجب بالصوم أو أي عبادة أخرى.

فالعبادات مشروعة ومنها الصوم لكن يأتي الابتداع من تخصيص الزمان أو المكان إذا لم يأت تخصيص ذلك في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

والبدعة الإضافية أشد خطورة من الحقيقية من حيث الشبه التي يستند إليها المبتدع في فعلها، فإنك إذا سألته عن دليل ذلك قال إنه يذكر الله ويصوم لله

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/٢٨٦ - ٢٨٧).
(٢) تقدم تفصيل القصة عند أقوال الصحابة في ذم البدع والأهواء فليراجع ص٦٧.

فهل الذكر والصيام محرمان؟ ومن ثم يستمرئها ويداوم عليها وقد لا يتوب منها في الغالب، ذلك أن الشبهات أخطر الأمور على الدين فهي أخطر من الشهوات وإن كان الجميع خطيراً، لأن إبليس اللعـين لما يئس من تضليل المسلمين بالمعاصي دخل عليهم من باب العبادة فزين لهم البدع بحجة التقرب إلى الله. وهنا مكمن الخطر. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذه المداخل الشيطانية قد جلاها ووضحها ابن الجوزي رحمه الله في كتابه تلبيس إبليس فليراجع.

المبحث الثاني
انقسام البدعة إلى فعلية وتركية

تنقسم باعتبار فعلها إلى فعلية وتركية، فقد يقع الابتداع بنفس الترك تحريما للمتروك أو غير تحريم. فإن الفعل مثلا قد يكون حلالا بالشرع فيحرمه الإنسان على نفسه بالحلف أو يتركه قصدا بغير حلف، فهذا الترك إما أن يكون لأمر يعتبر مثله شرعا أو لا، فإن كان لأمرٍ يعتبر فلا حرج فيه كالذي يمنع نفسه من الطعام الفلاني من أجل أنه يضره في جسمه أو عقله أو دينه وما أشبه ذلك. وكالذي يمنع نفسه من تناول اللحم لكونه مصابا بمرض الكلى فإنه يهيجه عليه. فلا مانع من الترك. بل إن قلنا يطلب التداوي للمريض كان الترك هنا مطلوبا، فهذا راجع إلى العزم على الحمية من المضرات وأصله قوله عليه الصلاة والسلام: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[1].

ذلك أنه يكسر من شهوة الشباب حتى لا تطغى عليه الشهوة فيصير إلى العنت، وكذلك إذا ترك ما لا بأس به حذراً مما به البأس كترك الاستمتاع بما فوق

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١١٢/٩) وصحيح مسلم (١٠١٨/٢ ـ ١٠١٩).

الإزار من الحائض خشية الإتيان. فذلك من أوصاف المتقين، وكترك المتشابه حذراً من الوقوع في الحرام واستبراء للدين والعرض، كما إذا وجد في بيته طعاما لا يدري أهو له أو لغيره، وكمن أراد أن يتزوج امرأة فأخبرته امرأة أنها أرضعتها ولا يعلم صدقها من كذبها، فإن ترك أزال عن نفسه الشك وإن تزوجها فإن نفسه لا تطمئن إلى حلها. وإن كان الترك لغير ذلك فإما أن يكون تدينا أو لا، فإن لم يكن تدينا، فالتارك عابث بتحريمه الفعل أو بعزيمته على الترك، ولا يسمى هذا الترك بدعة إلا على الرأي القائل: إن البدعة تدخل في العادات. أما على الآخر فلا. لكن التارك يصير عاصيا بتركه أو اعتقاده التحريم فيما أحل الله، وأما إن كان الترك تدينا فهو الابتداع في الدين على كلا الرأيين، إذ قد فرضنا الفعل جائزا شرعا فصار الترك المقصود معارضة للشارع في شرع التحليل. كترك كثير من العبّاد والمتصوفة، تناول الطيبات تنسكا وتعبدا لله بتعذيب النفس وحرمانها. اتبعوا في هذا سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع كعباد بني إسرائيل، ورهبان النصارى، وهؤلاء أخذوها عن بعض الوثنيين من البراهمة الذين يحرمون جميع اللحوم ويزعمون أن النفس لا تزكو ولا تكمل إلا بحرمان الجسد من اللذات وقهر الإرادة بمشاق الرياضات، وكترك أهل الأستانة أكل لحم الحمام فهو يفرخ في مساجدهم وبيوتهم ولا يأكل أحد منه شيئا بل يتحرجون من أكله وينكرونه، فإن كان تركهم له تدينا لاعتقادهم حرمته فهو بدعة تركية وإلا فلا، مع عصيانهم باعتقاد التحريم فيما أحل لهم وفي نحوهم نزل قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[1].
فنهى أولا عن تحريم الحلال وأشعر ثانيا بأن ذلك اعتداء وأن من اعتدى لا يحبه الله. لأن بعض الصحابة أراد أن يحرم على نفسه النوم بالليل، وآخر الأكل بالنهار. وآخر أكل اللحم وآخر إتيان النساء، وبعضهم همّ بالاختصاء مبالغة في قطع الميل إلى النساء فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: (ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا؟ لكني أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتزوج

---

(١) سورة المائدة آية ٨٧.

النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1]. متفق عليه من حديث أنس فإذًا كل من منع نفسه من تناول ما أحل الله من غير عذر شرعي فهو خارج عن سنة النبي صلوات الله وسلامه عليه. والعامل بغير السنة تدينا هو المبتدع بعينه وكذلك ترك المطلوبات الشرعية وجوبا أو ندبا يسمى بدعة إن كان الترك تدينا. لأنه تدين بضد ما شرع الله. أما تركها كسلا أو تضييعا أو ما أشبه ذلك من الدواعي النفسية فهو راجع إلى المخالفة للأمر فإن كان في واجب فمعصية وإلا فلا.

مثال الترك تدينا أهل الإباحة القائلون بإسقاط التكليف إذا بلغ السالك عندهم المبلغ الذي حددوه وذلك هو الضلال البعيد. فإن الله جلت حكمته كلف عباده كافةً بما شاء، ولا يسقط التكليف إلا بزوال العقل، فلو بلغ المكلف من مراتب الكمال ما بلغ بقي التكليف عليه إلى الموت، ولم يبلغ أحد في الكمال مرتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مرتبة أصحابه الأطهار الأخيار، ولم يسقط عنهم من التكليف مثقال ذرة، إلا ما لا طاقة له به كالزَّمِن لا يطالب بالجهاد، والمقعد لا يطالب بالصلاة قائما، والحائض لا تطالب بالصلاة حال الحيض وما إلى ذلك من الأعذار، فمن زعم أن التكليف قد يرفعه البلوغ إلى مرتبة ما من مراتب الكمال كما يزعمه أهل الإباحة كان اعتقاده هذا بدعة مخرجة من الدين نعوذ بالله من الضلال. وبعض الروافض الذين يدينون بشهادة الزور لموافقيهم في العقيدة إذا حلف على صدق دعواه[2].

أما عن البدعة الفعلية فهي كثيرة، ومنها اختراع أحاديث مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والزيادة في شرع الله ما ليس منه، كمن يزيد في الصلاة ركعة، أو يزيد في وقت الصيام المحدد من اليوم، أو يصلي في أوقات النهي عن الصلاة، أو يصوم في أوقات النهي عن الصيام، أو يدخل في الدين ما ليس منه من الآراء أو الأفعال.[3]

---

(١) تقدم تخريجه في المبحث الثاني وسطية أهل السنة الفصل الثاني من الباب الأول ص٦٤.
(٢) الابداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص٥١ ـ ٥٣.
(٣) البدعة لعزت عطيه ص٣٥٧ ـ ٣٥٨.

المبحث الثالث
انقسام البدعة إلى اعتقادية وعملية

فالاعتقادية كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم. ومثلها من الفرق التي ظهرت في هذا العصر القاديانية والبهائية وكذا جميع فرق الباطنية المتقدمة كالإسماعلية والنصيرية والدروز وغلاة الرافضة وغيرهم من فرق الكفر والبدع والضلال.

أما العملية فتحتها أنواع:

النوع الأول: بدعة في أصل العبادة بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع كأن يحدث صلاة غير مشروعة أو صياما غير مشروع أو أعيادا غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها.

النوع الثاني: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلا.

النوع الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل[1].

---

(١) انظر مجلة الدعوة العدد ١١٣٩ ـ ٩ رمضان ١٤٠٨هـ ـ مقال الدكتور صالح الفوزان في أنواع البدع.

المبحث الرابع
تقسيم البدعة إلى كلية وجزئية

تتفاوت البدع فيما بينها من ناحية آثارها، ومن ناحية الخلل الواقع بسببها في الشريعة.

فإذا كانت البدعة لا يقتصر أثرها على المبتدع بل يتعداه إلى غيره كانت كلية لسريانها في كثير من الأمور أو بين كثير من الأفراد. كبدعة التحسين والتقبيح بالعقل بدلا من الشرع وبدع إنكار حجية خبر الآحاد أو إنكار وجوب العمل بما يقتضيه ونحو ذلك.

أما إذا كانت قاصرة على المبتدع لا تتعداه إلى غيره فهي بدعة جزئية، كرجل التزم مخالفة للسنة على أنها من الأمور الحسنة في نظر الشرع، ولا يمتد أثر هذه المخالفة إلى غيره لكونه لا يؤبه له، وليس ممن يقتدى بهم فيما يرون من آراء أو يؤدون من أعمال[1].

المبحث الخامس
تقسيم البدعة إلى بسيطة ومركبة

تكون البدعة بسيطة إذا كانت مجرد مخالفة يسيرة، لا تستتبع مخالفات أخر، كمن يتبع النفل الفرض بلا فاصل من تسبيح ونحوه أو يفعل ما يماثل ذلك.

وتكون مركبة إذا اشتملت على عدة بدع تداخلت وصارت كأنها وحدة واحدة، كاعتقاد الشيعة عصمة الإمام وانتشار كثير من البدع بينهم على أساس هذا الاعتقاد، وما شابه ذلك من البدع[2].

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/٥٩). البدعة لعزت عطيه ص٣٥٩.

(٢) البدعة لعزت عطية ص٣٥٩.

المبحث السادس
تقسيم البدعة إلى صغيرة وكبيرة

تنقسم البدعة إلى صغيرة وكبيرة اعتبارا بتفاوت درجاتها. وهذا مبني على القول بأن المعاصي تنقسم إلى صغيرة وكبيرة وهو الصحيح إن شاء الله.

وقد اختلف العلماء في تمييز الصغيرة من الكبيرة بالنسبة للمعاصي، ولا يتسع المقام لذكر هذا الخلاف، وأقرب وجه يلتمس لهذا ما تقرر عند أهل العلم من أن الكبائر منحصرة في الإخلال بالضروريات المعتبرة في كل ملة. وهي الدين والنفس، والنسل، والعقل، والمال، وكل ما نص عليه راجع إليها، وما لم ينص عليه جرت في الاعتبار والنظر مجراها، وهو الذي يجمع أشتات ما ذكره العلماء وما لم يذكروه مما هو في معناه. فلذلك نقول في كبائر البدع. ما أخل منها بأصل من هذه الضروريات فهو كبيرة، وما لا فهي صغيرة.

وإن كان قياس البدع على العبادات في انقسامها إلى صغيرة وكبيرة قد يرد عليه اعتراض خلاصته أنه قد يقال إن جميع البدع راجعة إلى الإخلال بالدين إما أصلا وإما فرعا، لأنها إنما أحدثت لتلحق بالمشروع زيادة فيه أو نقصانا منه أو تغييرا لقول فيه، أو ما يرجع إلى ذلك، وليس ذلك مختصاً بالعبادات دون العادات، إن قلنا بدخولها في العادات بل تمنع الجميع. وإذا كانت بكليتها إخلالا بالدين فهي إذاً إخلال بأول الضروريات وهو الدين، وقد أثبت الحديث الصحيح أن كل بدعة ضلالة، وقال في الفرق (كلها في النار إلا واحدة) وهذا وعيد أيضا للجميع على التفصيل. هذا وإن تفاوتت مراتبها في الإخلال بالدين فليس ذلك بمخرج لها عن أن تكون كبائر، كما أن القواعد الخمس أركان الدين وهي متفاوتة في الترتيب، فليس الإخلال بالشهادتين كالإخلال بالصلاة، ولا الإخلال بالصلاة كالإخلال بالزكاة، ولا الإخلال بالزكاة كالإخلال برمضان وكذلك سائرها مع الإخلال فكل منها كبيرة، فقد آل النظر إلى أن كل بدعة كبيرة.

ويجاب عن هذا الاعتراض بأنه يمكن إثبات البدعة الصغيرة من أوجه أحدها: أنا نقول: الإخلال بضرورة النفس كبيرة بلا إشكال ولكنها على مراتب أدناها لا يسمى كبيرة، فالقتل كبيرة، وقطع الأعضاء من غير إجهاز كبيرة دونها، وقطع عضو واحد كبيرة دونها، وهلم جرا إلى أن تنتهي إلى اللطمة. ثم إلى أقل خدش يتصور، فلا يصح أن يقال في مثله كبيرة كما قال العلماء في السرقة، إنها كبيرة لأنها إخلال بضرورة المال. فإن كانت السرقة في لقمة أو تطفيف بحبة فقد عدوه من الصغائر. وهذا في ضرورة الدين أيضا.

واستطرد الشاطبي رحمه الله في بيان هذا الوجه إلى أن قال:

(قال ابن رشد: جائز عند مالك أن يروّح الرجل قدميه في الصلاة، قاله في المدونة، وإنما كره أن يقرنهما حتى لا يعتمد على إحداهما دون الأخرى، لأن ذلك ليس من حدود الصلاة إذ لم يأت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من السلف، والصحابة المرضيين، وهو من محدثات الأمور. انتهى). فمثل هذا إن كان يعده فاعله من محاسن الصلاة وإن لم يأت به أثر فيقال في مثله: إنه من كبار البدع. كما يقال ذلك في الركعة الخامسة في الظهر ونحوها، بل إنما يعد مثله من صغائر البدع إن سلمنا أن لفظ الكراهية فيه ما يراد به التنزيه، وإذا ثبت ذلك في بعض الأمثلة في قاعدة الدين، فمثله يتصور في سائر البدع المختلفة المراتب، فالصغائر في البدع ثابتة كما أنها في المعاصي ثابتة.

والثاني: أن البدع تنقسم إلى ما هي كلية في الشريعة، وإلى جزئية، ومعنى ذلك أن يكون الخلل الواقع بسبب البدعة كليا في الشريعة، كبدعة التحسين والتقبيح العقليين، وما أشبه ذلك من البدع التي لا تختص فرعا من فروع الشريعة دون فرع، بل نجدها تنتظم مالا ينحصر من الفروع الجزئية، أو يكون الخلل الواقع جزئيا، وإنما يأتي في بعض الفروع دون بعض، كبدعة التثويب بالصلاة الذي قال فيه مالك التثويب ضلال، وبدعة الأذان والإقامة في العيدين، وبدعة الاعتماد في الصلاة على إحدى الرجلين، وما أشبه ذلك. فهذا القسم لا تتعدى فيه البدعة محلها، ولا تنتظم تحتها غيرها حتى تكون أصلا لها[1].

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٦٠).

فالقسم الأول أعني البدعة الكلية، لاشك أنها من الكبائر ويكون ما عدا ذلك (أي الجزئية) من قبيل اللمم[1] أي الصغائر التي يُرجى فيها العفو وهذا كله مع عدم الإصرار.

والثالث: أن المعاصي قد ثبت انقسامها إلى الصغائر والكبائر، ولا شك أن البدع من جملة المعاصي ـ على مقتضى الأدلة المتقدمة ـ ونوع من أنواعها، فاقتضى إطلاق التقسيم أن البدع تنقسم أيضا، ولا نخصص وجوها بتعميم الدخول في الكبائر، لأن ذلك تخصيص من غير مخصص، ولو كان ذلك معتبراً لاستثنى من تقدم من العلماء القائلين بالتقسيم قسم البدع، فكانوا ينصون على أن المعاصي ماعدا البدع تنقسم إلى الصغائر والكبائر، إلا أنهم لم يلتفتوا إلى الاستثناء وأطلقوا القول بالانقسام، فظهر أنه شامل لجميع أنواعها.

وإذا قلنا إن من البدع ما يكون صغيرة فذلك بشروط:

أحدها: أن لا يداوم عليها، فإن الصغيرة من المعاصي لمن داوم عليها تكبر بالنسبة إليه، لأن ذلك ناشيء عن الإصرار عليها، والإصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة، ولذلك قالوا: لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار. فكذلك البدعة من غير فرق، إلا أن المعاصي من شأنها في الواقع أنها قد يصر عليها، وقد لا يصر عليها، وعلى ذلك ينبني طرح الشهادة وسخطة الشاهد بها أو عدمه، بخلاف البدعة فإن شأنها المداومة والحرص على أن لا تزال من موضعها، وأن تقوم على تاركها القيامة، وتنطلق عليه ألسنة الملامة. ويرمى بالتسفيه والتجهيل، وينبز بالتبديع والتضليل، ضد ما كان عليه سلف هذه الأمة، والمقتدى بهم من الأئمة.
والدليل على ذلك: الاعتبار والنقل فإن أهل البدع كان من شأنهم القيام بالنكير على أهل السنة إن كان لهم عصبة، أو لصقوا بسلطان تجري أحكامه في الناس وتنفذ أوامره في الأقطار، ومن طالع سير المتقدمين وجد من ذلك مالا يخفى.

---

(١) قول الشاطبي إن صغائر البدع من قبيل اللمم فيه تساهل، فإن البدع مهما صغرت فإنها أعظم من صغائر الذنوب لعموم الحديث (كل بدعة ضلالة).

وأما النقل فما ذكره السلف من أن البدعة، إذا أحدثت لا تزيد إلا مضيا، وليست كذلك المعاصي. فقد يتوب صاحبها وينيب إلى الله، بل قد جاء ما يؤيد ذلك في حديث الفرق حيث جاء في بعض الروايات (تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الْكَلَبُ بصاحبه) ومن هنا جزم السلف بأن المبتدع لا توبه له[1]. وسيأتي لذلك مزيد بيان عند الكلام في خطورة البدع.

والشرط الثاني: أن لا يدعو إليها. فإن البدعة قد تكون صغيرة بالإضافة، ثم يدعو مبتدعها إلى القول والعمل على مقتضاها فيكون إثم ذلك كله عليه، فإنه الذي أثارها، وسبب كثرة وقوعها والعمل بها، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن كل من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا[2].

والشرط الثالث: أن لا تفعل في المواضع التي هي مجتمعات الناس، أو المواضع التي تقام فيها السنن. وتظهر فيها أعلام الشريعة، فأما إظهارها في المجتمعات ممن يقتدى به أو ممن يحسن به الظن، فذلك من أضر الأشياء على سنن الإسلام فإنها لا تعدو أمرين:

إما أن يقتدى بصاحبها فيها، فإن العوام أتباع كل ناعق، لا سيما البدع التي وكل الشيطان بتحسينها للناس، والتي للنفوس في تحسينها هوى، وإذا اقتدى بصاحب البدعة الصغيرة كبرت بالنسبة إليه لأن كل من دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها، فعلى حسب كثرة الأتباع يعظم الوزر.

وأما اتخاذها في المواضع التي تقام فيها السنن فهو كالدعاء إليها بالتصريح. لأن إظهار البدع في أماكن إقامة الشعائر الإسلامية يوهم أن كل ما أظهر فيها فهو من الشعائر فكأن المظهر لها يقول هذه سنة فاتبعوها.

(١) قول الشاطبي جزم السلف بأن المبتدع لا توبة له ينبغي أن يقيد بما إذا كان مقيما على بدعته، فإن المبتدع لا يتوب في الغالب، كما سأبينه في الكلام على خطورة البدعة إن شاء الله. وحديث التجاري سيأتي تخريجه في حكم توبة المبتدع ص ١٦٧.

(٢) سيأتي تخريجه في الشبه التي يتعلق بها المبتدعة ص ٢٠٤.

والشرط الرابع: أن لا يستصغرها ولا يستحقرها وإن فرضناها صغيرة فإن ذلك استهانة بها، والاستهانة بالذنب أعظم من الذنب، فكان ذلك سببا لعظم ما هو صغير.

فاذا توافرت هذه الشروط فإن هذه البدع تكون صغيرتها صغيرة فإن تخلف شرط منها أو أكثر صارت كبيرة، أو خيف أن تصير كبيرة كما أن المعاصي كذلك[1]. ا. هـ.

المبحث السابع
انقسام البدعة إلى عبادية وعادية

والعبادة هي التي يقصد بها فاعلها التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وقد عرفها السلف بأنها اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة[2]. وهي مبنية على أصلين:

أحدهما: إخلاص العبادة لله وحده.

ثانيهما: تجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما العادية: فهي مالا يقصد منه التقرب إلى الله تعالى، أي إنها بحسب أصلها الموضوعة له، لم يقصد بها ذلك وإن صح فيها التقرب باعتبار أمر غير لازم لها وهي الأمور الجارية بين الخلق في الاكتساب وسائر المعاملات الدنيوية التي هي طرق لنيل الحظوظ العاجلة، مثل العقود على اختلافها والتصاريف المالية على تنوعها. ولا خلاف بين العلماء في حدوث الابتداع في العباديات ووقوعه سواء أكانت العباديات أعمالا قلبية وأموراً اعتقادية، أم كانت من أعمال الجوارح قولا أو فعلا. كمذهب القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة وكذلك مذهب الإباحية[3].

---

(١) انظر الاعتصام (٢/٥٧ - ٧١).

(٢) العبودية لابن تيمية ص٣٨.

(٣) الاعتصام للشاطبي (٢/٧٣) بتصرف.

وإنما اختلف الناس في وقوع الابتداع في العاديات والذي عليه التحقيق أن البدعة ترجع إلى اختراع عبادة لم تكن معروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولم يرد بها نقل صحيح، ولا تدل عليها أدلة شرعية معتبرة، فهي أولا خاصة بما يتعبد به. وإذن فلا ابتداع في العادات ولا في الصناعات ولا في وسائل الحياة العامة.

والقائلون بإمكان وقوع البدع في العاديات بنوا قولهم على أن الشريعة جاءت وافية ببيان القوانين التي بها صلاح الناس في أمور المعاش والمعاد، فالعادات كالعبادات كلاهما مشروع، فكما أنّا مأمورون في العبادات بأن لا نحدث فيها فكذلك العادات. فإذا جاز إمكان الابتداع فيما هو عبادة جاز فيما هو عادي من الأمور التي يقصد بها صلاح الدنيا. وهذا القول مردود، فإنه لو جاز ذلك لجاز أن تعد كل العادات التي حدثت بعد الصدر الأول من المآكل والمشارب، والملابس والمسائل النازلة بدعا والتالي باطل.

أما الملازمة فلأن مناط الابتداع حينئذ على إحداث الطرائق الدينية عبادة كانت أو عادة، وهذه المذكورات كذلك. وأما بطلان التالي فلوجهين:

الأول: أنه لو عدت هذه المذكورات من البدع لكان كل من تلبّس بشيء منها مخالفا لما كان عليه الصدر الأول وهو موجب للذم، وهذا من الشناعة بمكان. فإن العادات من الأمور التي تدور مع الأزمنة والأمكنة فللناس في كل زمان وفي كل مكان عادات مختلفة، وهم مع كل هذه العادات ـ حيث حوفظ فيها على القوانين الشرعية الجارية على مقتضى الكتاب والسنة ـ على تمام الموافقة للصدر الفاضل.

الثاني: إن عدّ هذه بدعا يؤدي إلى نسبة الحرج والتضييق إلى الشريعة، فإن في التزام الزي الواحد والحالة الواحدة، والعادة الواحدة تعبا ومشقة قضت به الشريعة، وإنما كان الالتزام كذلك لاختلاف الأخلاق والأزمنة والبقاع والأحوال[1].

---

(١) الابداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص٦٤.

فإن قال قائل إنه قد جدّت بدع في العاديات، نحو المكوس والمظالم المحدثة، وتقديم الجهال على العلماء في الولايات العلمية، وتولية المناصب الشريفة من ليس لها بأهل بطريق الوراثة، واتخاذ المناخل وغسل الأيدي بالصابون ولبس الطيالس وتوسيع الأكمام وأشباه ذلك من الأمور التي لم تكن في الزمن الفاضل ولم يفعلها السلف الصالح فإنها أمور جرت في الناس وكثر العمل بها وشاعت وذاعت فلحقت بالبدع وصارت كالعبادات المخترعة الجارية في الأمة فقد رده أرباب الطريقة الأولى[1]. قالوا لا نسلم أن هذه المذكورات مما وقع فيه الابتداع لأنها مخالفات للشرع ومعاصي في الجملة وليس كل معصية بدعة، سلمنا وقوع الابتداع فيها، لكن لا من حيث كونها عادية، بل من حيث كونها تعبدية. قال في الاعتصام ما محصله (ثبت في الأصول الشرعية أنه لا بد في كل عادي من شائبة التعبد، لأن مالا يعقل معناه على التفصيل من المأمور به أو المنهي عنه فهو المراد بالتعبدي، وما عقل معناه وعرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادي، فالطهارات، والصلوات، والصيام والحج كلها تعبديات، والبيع والنكاح والشراء والطلاق والإجارات والجنايات كلها عاديات لأن أحكامها معقولة المعنى، ولابد فيها من التعبد، إذ هي مقيدة بأمور شرعية لا خيرة للمكلف فيها. فالقسمان مشتركان في معنى التعبد والابتداع إنما يتصور دخوله في القسم الثاني من جهة التعبد فيه لا من جهة كونه عادة.

فمثل المكوس اذا نظر إليها من جهة كونها عادة، أي أنها ظلم كسائر المظالم. مثل الغصب والسرقة، وقطع الطريق فلا يدخلها الابتداع إذ هي من هذه الجهة مما يتناولها نهي الشارع عن أكل أموال الناس بالباطل، وليس فيها جهة تشريع، وإنما يتصور دخول الابتداع في المكوس إذا لوحظت من جهة أنها وضعت على الناس كالدين الموضوع والأمر المحتوم عليهم دائما، أو في أوقات محدودة على كيفيات مضروبة بحيث تضاهي المشروع الدائم الذي تحمل عليه العامة ويؤخذون به وتوجب على الممتنع منه العقوبة، كما في أخذ زكاة المواشي والحرث

(١) أعني القائلين بأن البدع تقع في العباديات دون العاديات.

وما أشبه ذلك. فإنها من هذه الجهة تكون شرعا مستدركا إذ هي حينئذ تشريع زائد وإلزام للمكلفين يضاهي إلزامهم الزكاة المفروضة، والديات المضروبة والغرامات المحكوم بها في الأموال.

ففي المكوس على هذا الفرض جهتان كونها محرمة كسائر أنواع الظلم وجهة كونها اختراعا لتشريع يؤخذ به الناس إلى الموت كما يؤخذون بسائر التكاليف، فاجتمع فيها نهيان نهي عن المعصية، ونهي عن البدعة، وليس ذلك موجودا في البدع العبادية. وإنما يوجد فيها النهي من جهة كونها تشريعا موضوعا على الناس، أمر وجوب أو ندب. إذ ليس فيها جهة أخرى تكون بها معصية بل التشريع نفسه هو الممنوع نفسه، فالعاديات من حيث هي عاديات لا بدعة فيها، ومن حيث يتعبد بها أو توضع وضع التعبد تدخلها البدعة وكذا تقديم الجهال على العلماء، وتولية المناصب الشريفة من لا يصلح لها بطريق التوارث هو من هذا القبيل. فإن جعل الجاهل في موضع العالم حتى يصير مفتيا في الدين أو حاكما في الدماء والأبضاع والأموال مثلا محرم في الدين، وكون ذلك يتخذ ديدنا حتى يصير الابن مستحقا لرتبة الأب بطريق الوراثة وان لم يبلغ رتبة الأب في ذلك المنصب بحيث يشيع ذلك العمل ويطّرد ويعده الناس كالشرع الذي لا يخالف فهو بدعة بلا إشكال.

وأما اتخاذ المناخل. فإن فرض كونه مباحا كما قالوا فإنما إباحته بدليل شرعي فلا ابتداع، وإن فرض كونه مكروها كما أشار إليه محمد بن أسلم فوجه الكراهة عنده كونها عدت في الأثر الآتي من المحدثات. والظاهر أن الكراهة من ناحية السرف والتنعم الذي أشار إلى كراهته. قوله تعالى: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدينا. . .﴾ الآية[1]. من جهة أنه بدعة محدثة، وكذا يقال في باقي الأمثلة.

وجملة القول أن الابتداع إن دخل في الأمور العادية فهو لما فيها من معنى التعبد، فرجع الأمر إلى أن الابتداع المذموم لا يكون في العادي المحض،

---

(١) سورة الأحقاف آية ٢٠.

كالمخترعات في أمور الدنيا التي تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، وترقى برقي الأمم والشعوب.

ولما كانت بذلك لا يمكن للناس حصر جزئياتها ويعسر عليهم أن يتقيدوا بجزئيات مخصوصة منها ترك الشارع التصرف لكل أمة تدير شؤونها بما يوافق زمانها وجاءهم بقواعد كلية تنطبق على كل أمة، وتصلح لكل زمان فجعل (العدل أساس الأعمال). واتقاء الشر مقدما في أي حال من الأحوال، فمتى كان ذلك قصد الناس في أمورهم الدنيوية فليخترعوا ما شاءوا من الطرق النافعة، وليبتدعوا ما أرادوا من الحيل والأساليب الصحيحة، فإنه لا حجر في ذلك. أما إذا جاوز المخترعون العدل باختراعهم. وانصرفوا إلى الشر والإفساد في ابتداعهم، فتلك سنة سيئة، (ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها)[1].

ومما تقدم من الكلام على حكم الابتداع في نحو لبس الثياب والأكل والشرب والمشي والنوم يتضح أن هذه أمور عادية وقد دخلها التعبد وقيدها الشارع بأمور لا خيرة فيها كنهي اللابس عن إطالة الثوب، وطلب التسمية عند الأكل والشرب والنهي عن الإسراف فيهما، والنهي عن النوم عاريا على سطح ليس له ستر، إلى غير ذلك من القيود التي قيد بها الشارع فالأمور المذكورة عادية ومن هذه الجهة لا يدخلها الابتداع، وإنما من الجهة التي رسمها الشارع فيها. فإذا خولف بها الوجه المشروع واعتبر ذلك دينا يتقرب به إلى الله تعالى كانت بدعا بل هي معصية وابتداع باعتبارين كما سبق في وضع المكوس. فهي باعتبار مخالفتها الأمر والنهي عصيان ومن حيث التقرب بها إلى الله تعالى من الجهة المضادة للطريق التي رسمها تكون مذمومة[2].

---

(١) سيأتي تخريجه في مبحث الشبهات التي يتعلق بها المبتدعة ص٢٠٤.

(٢) وقد فصل الشاطبي رحمه الله القول في التفريق بين العادات والعبادات. وقرر أن البدع لا تدخل في العادات إلا إذا قصد بتلك العادات التقرب إلى الله ومضاهاة الشريعة. وقد ردّ إطلاق القول بدخول البدع في العادات بدون هذا القيد راجع الاعتصام (٢/٧٣ ـ ١١١).

المبحث الثامن
هل البدعة تعتريها أقسام الحكم التكليفي الخمسة

أجرى بعض العلماء الأحكام الشرعية الخمسة على البدع ولم يعدوها قسماً واحداً مذموماً. فجعلوا منها الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام. وقد ذهب إلى هذا التقسيم القرافي في (الفروق) وأصل مقالته مأخوذة عن شيخه عز الدين بن عبدالسلام القائل: (البدعة فعل مالم يعهد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهي منقسمة إلى بدعة واجبة، وبدعة محرمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة)[1].

فالأولى البدعة الواجبة: وهي ما تناولته قواعد الوجوب وأدلته من الشرع كجمع القرآن وتدوينه في المصاحف. وجمع الناس على المصاحف العثمانية، وترك ما سوى ذلك من القراءات التي كانت مستعملة في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكذلك جمع العلوم وتدوينها، وكذلك الاشتغال بالعلوم التي يفهم بها كلام الله تعالى وكلام رسوله، وحفظ غريب الكتاب والسنة من اللغة والكلام في الجرح والتعديل لتمييز الصحيح من السقيم. ونحو ذلك مما لا يتم الواجب إلا به.

والثانية: البدعة المندوبة، (وهي ما تناولته قواعد المندوب وأدلته كصلاة التراويح على الهيئة المعروفة مع مواظبة الناس عليها في شهر رمضان واجتماعهم على قاريء واحد. فإنها لم تكن كذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه، وصدراً من خلافة عمر رضى الله عنه.

الثالثة: البدعة المباحة: وهي ما تناولته قواعد الإباحة وأدلتها من الشرع (ومنها) اتخاذ المناخل للدقيق. ففي الآثار أن أول ما أحدث الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أشياء:

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام (١٧٢/٢) والفروق للقرافي (٢٠٢/٤).

المناخل والشبع، وغسل اليدين بالأشنان بعد الطعام، والأكل على الموائد، لأن تليين العيش وإصلاحه من المباحات فوسائله كذلك.

الرابعة: البدعة المحرمة: وهي ما تناولته قواعد التحريم وأدلته من الشريعة كالمكوس. والمحدثات من المظالم، والمحدثات المنافية لقواعد الشريعة كتقديم الجهال على العلماء ونحو ذلك.

الخامسة: البدعة المكروهة: وهي ما تناولته قواعد الكراهة وأدلتها من الشرع.

ومنها تخصيص الأيام الفاضلة أو غيرها بنوع من العبادة، كإفراد يوم الجمعة بالصوم، أو إفراد رجب أو صوم يوم الشك أو إحياء ليلة النصف من شعبان بقيام ونهارها بصيام أو نحو ذلك[1].

وقد عاب الإمام الشاطبي هذا التقسيم ورده بالعقل والنقل وإليك خلاصة رده على هذا التقسيم مختصرا بتصرف: والجواب أن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي بل هو في نفسه متدافع. لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي، لا من نصوص الشرع ولا من قواعده. إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثمة بدعة ولكان العمل داخلا في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها، فالجمع بين عدّ تلك الأشياء بدعا وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متنافيين أما المكروه منها والمحرم فمسلم من جهة كونها بدعاً لا من جهة أخرى، إذ لو دل دليل على منع أمر أو كراهته لم يثبت ذلك كونه بدعة لإمكان أن يكون معصية كالقتل والسرقة، وشرب الخمر، فلا بدعة يتصور فيها ذلك التقسيم البته، إلا الكراهة والتحريم حسبما يذكر في آخر فصل أحكام البدعة والحاصل أن كل بدعة معصية، كالصيام قائما في الشمس، والخصاء وليس كل معصية بدعة كالقتل والسرقة وتناول المسكرات أو إحداثها.

---

(١) الفروق للقرافي (٢٠٢/٤ - ٢٠٤)، الابداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص٦٩ - ٧٣ بتصرف.

أما قسم الواجب: فهو من قبيل المصالح المرسلة لا من البدع المحدثة والمصالح المرسلة قد عمل بمقتضاها السلف الصالح من الصحابة، ومن بعدهم فهي من الأصول الفقهية الثابتة عند أهل الأصول وإن كان فيها خلاف بينهم، ولكن لا يعد ذلك قدحا على ما نحن فيه. أما جمع المصحف وقصر الناس على المصاحف العثمانية فهو في الحقيقة من هذا الباب إذ أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف تسهيلا على العرب المختلفي اللهجات فكانت المصلحة في ذلك ظاهرة، إلا أنه عرض في إباحة ذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح لباب الاختلاف في القرآن، حيث اختلفوا في وجوه القراءة، فخاف الصحابة رضوان الله عليهم اختلاف الأمة في ينبوع الملة، فقصروا الناس على ما ثبت منها في مصاحف عثمان رضى الله عنه واطرحوا ما سوى ذلك، علما بأن ما اطرحوه مضمن فيما أثبتوه. لأنه من قبيل القراءات التي يؤدى بها القرآن. ثم ضبطوا ذلك بالرواية حين فسدت الألسن، ودخل في الإسلام أهل العجمة، خوفا من فتح باب آخر من الفساد وهو أن يدخل أهل الإلحاد في القرآن، أو في القراءات ما ليس منها فيستعينوا بذلك في بث إلحادهم.

ألا ترى أنه لما لم يمكنهم الدخول من هذا الباب دخلوا من جهة التأويل في معاني القرآن. فالحق ما فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. لأن له أصلاً يشهد له في الجملة وهو الأمر بتبليغ الشريعة كما في الحديث: (ليبلغ الشاهد منكم الغائب)[1]. وأشباهه والتبليغ يصح بأي شيء أمكن من الحفظ والتلقين والكتابة وغيرها، ولذلك أجمع عليه السلف الصالح. وأما ما سوى المصحف. فالأمر فيه أسهل فقد ثبت في السنة كتابة العلم، ففي صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وآله وسلم (اكتبوا لأبي فلان)[2]. لأبي شاة اليمني. وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتّاب يكتبون له الوحي وغيره، منهم عثمان وعلي ومعاوية والمغيرة بن شعبة وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وغيرهم. وأيضا فإن الكتابة من قبيل مالا يتم الواجب إلا به إذا تعين، لضعف الحفظ

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١/١٥٨)، صحيح مسلم (٢/٩٨٨) رقم ٤٤٦.
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١/٢٠٤) كتاب العلم.

وخوف اندراس العلم وبالجملة دليل هذا القسم من الشرع ثابت فليس ببدعة وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وأما قسم المندوب: فليس من البدع بحال فمثلا صلاة التراويح في رمضان جماعة في المسجد قد قام بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولما خاف افتراضها على الأمة أمسك عن ذلك. ففي الصحيح عن عائشة رضى الله عنها: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته الناس، ثم صلى القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إلا أني خشيت أن يفرض عليكم وذلك في رمضان)[1]. وهذا يدل على كونها سنة فإن قيامه أولا بهم دليل على صحة القيام في المسجد جماعة في رمضان وامتناعه مطلقا لأن زمانه كان زمان وحي وتشريع، فيمكن أن يوحى إليه إذا عمل به الناس بالإلزام فلما زالت علة التشريع بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجع الأمر إلى أصله، وقد ثبت الجواز فلا ناسخ له. وإنما لم يقم بذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه لأحد أمرين:
إما لأنه رأى أن قيام الناس آخر الليل وما هم عليه كان أفضل عنده من جمعهم على إمام أول الليل. وإما لضيق زمانه عن النظر في هذه الفروع مع شغله بأهل الردة وغير ذلك مما هو أوكد من صلاة التراويح[2].
وسيأتي لذلك مزيد من البيان عند الرد على شبه المبتدعة.

وأما المباح مثل مسألة المناخل ونحوها فليست في الحقيقة من البدع، بل هي من باب التنعم ولا يقال في من تنعم بمباح إنه قد ابتدع وإنما يرجع ذلك إذا اعتبر إلى جهة الإسراف في المأكول. لأن الإسراف كما يكون في جهة الكمية يكون في جهة الكيفية. فالمناخل لا تعدو القسمين فإن كان الإسراف من ماله لم يكره واغتفر، وإلا فلا. مع أن الأصل الجواز، قال ابن عباس رضى الله عنهما: كل ما

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٣/ ١٠) باب التهجد.
(٢) انظر كتاب الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي ص٤٧ ـ ٤٨.

شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف ومخيلة[1].

وأما قسم التحريم فليس في ما هو بدعة هكذا بإطلاق بل ذلك كله مخالفة للأمر المشروع، فلا يزيد على تحريم أكل المال بالباطل إلا من جهة كونه موضوعا على وزان الأحكام الشرعية اللازمة، كالزكوات المفروضة والنفقات المقدرة فلا يصح أن يطلق القول في هذا القسم بأنه بدعة دون أن يفصل الأمر في ذلك.

وأما قسم المكروه، ففيه أشياء هي من قبيل البدع في الجملة، ولا كلام فيها كتخصيص بعض الليالي أو الأيام بنوع من العبادة، والزيادة على المندوبات المحدودة شرعا، فإن الاحتياط في العبادات المحضة أن لا يزاد فيها ولا ينقص منها وذلك صحيح لأن الزيادة فيها والنقصان منها بدع منكرة، فحالاتها وذرائعها يحتاط فيها في جانب النهي[2].

وخلاصة القول أن تقسيم البدع إلى الأحكام الخمسة لا يصح للأمور الآتية:

(١) أنه أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي بل يريد أن ينقض على نفسه، لأن أصل البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي، فلو كان هنالك ما يدل على وجوب أو ندب أو إباحة أو تحريم أو كراهية لما كانت ثمة بدعة. ولكان الأمر مشروعا حسب دليله.

(٢) الجمع بين الأمور القائمة على أدلة صحيحة والبدع جمع بين متناقضين.

(٣) قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[3]. دليل على أن كل البدع محرمة تؤدي إلى الضلالة والضلالة تؤدي إلى النار.

(٤) الإثم قدر مشترك بين البدع كلها، والتفريق في الوصف قائم على الرأي المحض وهو بدعة في نفسه، ويعمل على استصغار البدع، ولقد قيل سابقا أن صغار البدع تزيد حتى تصير كبارا[4].

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري (١٠/٢٥٢).

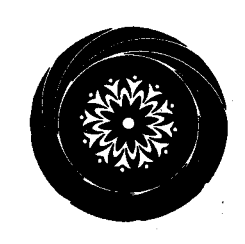
(٢) الاعتصام للشاطبي (١/١٨٨ - ٢٢٠) بتصرف.

(٣) تقدم تخريجه في مبحث حكم الاحداث في الدين ص ٨٩.

(٤) البدعة لسليم الهلالي (٣٩ - ٤٠).

وهناك تقسيم آخر للبدع وهو تقسيمها إلى حسنة وسيئة، وهذا التقسيم إنما تعلق به بعض محسني البـدع ممن ليس عنده فرقان يفرق به بين البدعة والسنة والحق أن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع وإن رآه الناس حسنا. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل بدعة ضلالة) قول فصل في أنه لا يستثنى منها شيء بدليل العموم، والقاعدة الأصولية المعروفة تقول: (إن العام يبقى على عمومه حتى يرد دليل التخصيص) وسيأتي لذلك زيادة إيضاح عند الكلام عن الشبه التي يتعلق بها أصحاب البدع إن شاء الله.

وأيا ما كان تقسيم البـدع فإنها أخطر من المعاصي كما أسلفنا وذلك أنها مضادة للشرع ومعاكسة له. حيث نصب المبتدع نفسه في مقام من يستدرك على الشريعة المتجاوز لحدودها التي حدّ الله لها. فإن كل بدعة وإن قلت تشريع زائد أو ناقص، أو تغيير للأصل الصحيح. وإذاً فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وإن رآها أهلها حسنة.



الفصل الثالث
في أسباب البدعـة

تمهيد:

سبق أن بينا كمال هذا الدين وشموله لكافة نواحي الحياة. وأن شريعة هذا شأنها لجديرة بسد منافذ كل طريق يؤدي إلى البدع والإحداث في الدين.

فلقـد عنيت شريعتنـا الغـراء بوضع الحواجز والحصون المنيعة لسد تلك المداخل سواء ما يؤدي إلى إحداث تلك البدع ابتداء أو ما يؤدي إلى العمل بها تقليدا لمبتدعيها. فوضعت لذلك العلاج الناجح والحلول الجذرية التي تقضي على أسباب البدع في مهدها إذ الوقاية خير من العلاج كما هو معروف في المثل السائر. وقد أسلفنا في ما مضى الكلام على حديث حذيفة رضى الله عنه الذي جاء فيه (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني)[1] الحديث. والشاعر يقول:

عرفـت الشر لا للشر لكـن لتـوقـيه ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

وإليك أخي القـاريء بعض أسبـاب البدع المنتشرة وسبل الخلاص منها ويمكننا أن نلخص هذه الأسباب في تسعة مباحث:

المبحث الأول: الجهل.

المبحث الثاني: اتباع الهوى.

المبحث الثالث: التعلق بالشبهات.

المبحث الرابع: الاعتماد على العقل المجرد.

المبحث الخامس: تقليد الشيوخ.

المبحث السادس: جلساء السوء.

المبحث السابع: سكوت العلماء.

المبحث الثامن: التشبه بالكفار.

المبحث التاسع: الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

---

(١) سبق تخريجه راجع مبحث حكم مجالسة أهل البدع والأهواء الفصل الثاني من الباب الأول ص٧٨.

المبحث الأول
الجهــــل

مما لا شك فيه أن المصدر الأول والأخير في التشريع هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وهما مصدر واحد لا ينفك أحدهما عن الآخر، فلا ينظر إلى الكتاب بمعزل عن السنة ولا إلى السنة بمعزل عن الكتاب.

فالكتاب وإن تضمن جميع الأحكام إجمالا إلا أنه لم ينص على كل قضية بعينها، بل إن أكثر الأحكام التفصيلية قد جاءت بها السنة. فالسنة إذن تكون موضحة لمبهم الكتاب ومبينة لمجمله أو مقيدة لمطلقه أو مخصصة لعمومه أو شارحة له وكلاهما وحي من الله كما قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾[1].
وقال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[2].

وقـد تقدم لنا حديث ابن مسعود الذي رد فيه على المرأة الأسدية عندما أنكرت حديث. (لعن الله الواشمات والمستوشمات)... الحديث. بدعوى أنها لم تجد ذلك في كتاب الله حيث قال لها أما وإنك لو قرأت كتاب الله لوجدتيها؟ واستدل عليها بقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[3].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسير هذه الآية: (وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، وظاهره وباطنه، وإن ما جاء به الرسول، يتعين على العباد الأخذ به واتبـاعـه ولا تحل مخالفته. وإن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله

---

(١) سورة النجم آية ٣ و ٤.
(٢) سورة الحشر آية ٧.
(٣) سبق تخريجه في وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة ص ٥٠ والآية: ٧ من سورة الحشر.

تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله، ثم أمر بتقواه، التي بها عمارة القلوب والأرواح، والدنيا والآخرة، وبها السعادة الدائمة، والفوز العظيم، وبإضاعتها الشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي فقال: ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾. على من ترك التقوى، وآثر اتباع الهوى[1].

وما عدا هذا المصدر أعني الكتاب والسنة فإنها تكون مصادر تبعية، كالإجماع والقياس ونحو ذلك مما دلت عليه قواعد الشرع.

ومعلوم أن القياس لا يتوسع فيه في باب العبادات إذ أن العبادات مبنية على التعبد المحض الخالص لله تعالى وأكثر ما أتي المبتدعة من قبل استخدامهم الأقيسة البعيدة كل البعد عن روح الشريعة. ويمكن أن يكون أثر الجهل في كثرة الابتداع نابعا من الجهل بالسنة، والجهل بالسنة يشمل الجهل بالأحاديث الصحيحة، والجهل بمكان السنة من التشريع، وقد يترتب على الأول إهدار الأحكام التي صحت بها الأحاديث كما يترتب على الثاني إهدار الأحاديث الصحيحة وعدم الأخذ بها وإحلال بدع مكانها لا يشهد لها أصل من التشريع[2].

وكذا الجهل بأساليب اللغة العربية مما كان له أثر سيء في إحداث كثير من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان وذلك نابع من عدم رسوخ كثير من المبتدعة في اللغة العربية خصوصا بعد أن ضعفت اللغة. فبعد أن كان الناس يتكلمون بها سليقة أصبحوا الآن يتعلمونها من جديد بعد أن درست معالمها وكثر اللحن وانتشرت العامية والعجمة التي أفسدت الأذواق وغيرت المفاهيم.

وقد أجمع السلف الصالح على أن معرفة ما يتوقف عليه فهم الكتاب والسنة من خصائص اللغة العربية شرط أساسي في جواز الاجتهاد ومعالجة النصوص الشرعية وطرق الاستنباط منها.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٧/٣٣٣).
(٢) البدعة أسبابها ومضارها لشلتوت ص١٨.

والكتاب والسنة حافلان بالنصوص التي تحذر من الجهل وتبين خطورته قال الله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾[2].

جاء في ظلال القرآن لسيد قطب رحمه الله (وهذه الكلمات القليلة تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل، بشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً، ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله، ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجافة).

فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق. ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة. ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل. ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم.

والأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف من الأمانة العقلية القلبية التي يعلن القرآن تبعتها الكبرى، ويجعل الإنسان مسؤولاً عن سمعه وبصره وفؤاده، أمام واهب السمع والبصر والفؤاد.. إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب. أمانة يسأل عنها صاحبها، وتسأل عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعاً. أمانة يرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة. وكلما روى الإنسان رواية، وكلما أصدر حكماً على شخص أو أمر أو حادثة.

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ ولا تتبع ما لم تعلمه علم اليقين، وما لم

---

(١) سورة الأعراف آية (٣٣).

(٢) سورة الاسراء آية (٣٦).

تتثبت من صحته: من قول يقال أو رواية تروى. من ظاهرة تفسر أو واقعة تعلل. ومن حكم شرعي أو قضية اعتقادية[1].

وثبت من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء. حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤساً جهّالاً فَسُئِلوا، فَأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا)[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)[3].

قال الشاطبي بعد إيراد حديث قبض العلماء:

«وهذا إخبار بمقدمة أنتجتها الفتيا بغير علم. وذكر الحديث ثم قال: وذلك أن الناس لابد لهم من قائد يقودهم في الدين. وإلا وقع الهرج وفسد النظام، فيضطرون إلى الخروج إلى من انتصب لهم منصب الهداية، وهو الذي يسمونه عالماً فلابد أن يحملهم على رأيه في الدين، لأن الفرض أنه جاهل، فيضلهم عن الصراط المستقيم، كما أنه ضال عنه، وهذا عين الابتداع، لأنه تشريع بغير أصل من كتاب ولا سنة. ودل هذا الحديث على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل العلماء. وإنما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماؤهم أفتى من ليس بعالم فتؤتى الناس من قبله»[4].

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤/٢٢٢٧).

(٢) رواه البخاري (١/١٧٤) ومسلم (٤/٢٠٥٩) ٢٦٧٣.

(٣) سبق تخريجه في المبحث الأول وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة الفصل الثاني من الباب الأول ص٥٣.

(٤) انظر الاعتصام (٢/٨٣).

وهذه آثار عن السلف في ذم الجهل وخطورته: قال أبو الدرداء رضى الله عنه:

«تعلموا قبل أن يقبض العلم، فإنَّ قبض العلم قبض العلماء، وإن العالم والمتعلم في الأجر سواء»[1].

وقال أيضا: «ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون، فتعلموا قبل أن يرفع العلم، فإنَّ رفع العلم ذهاب العلماء»[2].

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: «أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك»[3].

وقال سلمان رضى الله عنه: «لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر فإذا هلك الأول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس»[4].

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه: «يا أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع، ألا وإنّ رفعه ذهاب أهله، وإياكم والبدع والتبدع والتنطع وعليكم بأمركم العتيق»[5].

وهذا غيض من فيض من آثار السلف الصالح التي تحذر من الجهل وتبين أنه أكبر سبب يؤدي إلى الابتداع والاختراع في الدين.

وطريق السلامة من ذلك إنما هو العلم والتعلم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم»[6].

---

(١) سنن الدارمي (١/٩٥).
(٢) المصدر السابق (١/٧٨).
(٣) المصدر السابق (١/٧٩).
(٤) المصدر السابق (١/٧٩).
(٥) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص٢٥ ـ ٢٦.
(٦) أخرجه الخطيب في تاريخه (٩/١٢٧) بسنده عن أبي هريرة وهو اسناد حسن أو قريب من الحسن. قال الحافظ العراقي ص٣٥٣ رواه الطبراني والدارقطني بسند ضعيف وله سند آخر بنحوه بلفظ «يأأيها الناس: إنما العلم بالتعلم. والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين إنما يخشى الله من عباده العلماء» =

والحد الأدنى من العلم الذي يعصم الله صاحبه من الوقوع في البدع هو أن يعرف المسلم كيف يعبد ربه بلا إفراط أو تفريط وأن يعرف الحلال من الحرام. حتى لا تزل قدمه بتحريم الحلال وتحليل الحرام كما فعل كثير من المبتدعة.

وخطورة الجهل تكمن في أن الجاهل يستكبر عن سماع الحق ويستثقله ويصبور العلم والتعلم بأنه شبح رهيب وأنه بعيد المنال بحيث لا يمكن الوصول إليه. ومن ثم يبقى على جهله إلى أن يموت.

فانظر رحمك الله إلى حال كثير من المسلمين اليوم وخصوصا ممن ينتمي إلى كثير من الجماعات الحزبية في هذا العصر والتي اختطت لنفسها طابعاً حزبياً وصبت جل اهتمامها في مسائل محدودة من مسائل الشرع أو ما توهموها من مسائل الشرع، وخيل إليهم عبثاً أنها وحدها توصلهم إلى بر النجاة. وإيجاد المجتمع الإسلامي المنشود في الوقت الذي لو سئلوا عن فرع سهل من فروع مسائل العلم لأجابوا بملء أفواههم بأننا لا نعرف هذه المسائل، وإنما عليكم بسؤال العلماء، لأننا مشغولون عن ذلك بالدعوة إلى الله! فيا عجباً!! كيف يدعو إلى الله بغير علم، وكيف يكون أهلاً للدعوة من لا يحسن أداء الصلاة على الوجه الذي صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال: (صلوا كما رأيتموني أصلي)[1].

إن من كان هذا شأنه «كساع إلى الهيجاء بغير سلاح» والعجيب في الأمر أن الشيطان ينفخ في رؤوس هؤلاء حتى يوهمهم بأنهم هم الذين اختارهم الله لدعوته وأنهم الصفوة المختارة والفرقة الناجية. وأنهم على الطريق المستقيم وأن من عداهم ليس على شيء بل هو محروم وإن كان من أكبر العلماء العاملين. بل زهّدوا

= قال في المجمع (١/١٢٨) رواه الطبراني في الكبير مرفوعا وفيه رجل لم يسم وعتبة بن أبي حكيم وثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان وضعفه جماعة.

وقال المناوي رواه ابن أبي عاصم. قال ابن حجر في المختصر إسناده حسن لأن فيه مبهما اعتضد بمجيئه بوجه آخر. قال الألباني: قلت وكأن الحافظ أشار بذلك الوجه إلى حديث أبي هريرة وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/١١١٧) من طريق عن اسماعيل بن مجالد به، والحديث حسن بمجموع طرقه كما ذكره ابن حجر والألباني وغيرهما. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٦٥٠) ح:٣٤٢ وصحيح الجامع الصغير (٢/٢٨٠) ح٢٣٢٤.

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٢/١١١).

الناس في العلم والعلماء. فقد اتفق لي أن التقيت بشباب منهم في بلد ما فتحدثنا عن فضل العلم وأهمية ملازمة العلماء وتذاكرنا في النصوص الواردة في ذلك فتصدى لي بعضهم معترضاً وقال: من الذي قال لك إن العلم لا يحصل إلا بملازمة العلماء - إنما العلم يحصل فيوضات من عند الله، فما عليك إلا أن تخرج للسياحة في سبيل الله، للدعوة إلى الله في كافة أقطار الأرض عندها تحصل على العلم الذي تنشده، وتعسفوا في الاستدلال ببعض النصوص التي لا يتسع المجال لذكرها في هذا المقام.

وإنني أتساءل ما هو العلم الذي يأتي فيوضات كما زعم ذلك المعترض؟ أهو التمسح بالقبور والتعلق بأصحاب الأضرحة ودعاؤهم والاستغاثة بهم من دون الله..!!؟؟ أم هو تلك الأذكار الصوفية المبتدعة والأصوات المنكرة التي سبق أن أشرنا إلى شيء منها فيما مضى!؟ أم هو التجول في الأرض والسياحة فيها على غير هدي!؟ أم هو ترداد طقوس معينة نلتزم بها صباحاً ومساءً!؟. ولو كانت على غير هدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أم هي القصص والمنامات والخزعبلات والكرامات المدعاة والبيانات التي يكررونها في أي مكان يحلون فيه، ويبهرجون بها على العامة فيتفاعلون مع هذه الاقاصيص التي هي أشبه ما تكون بخرافات أصحاب القصص والأساطير والخيالات المصطنعة والروايات المخترعة.

عجباً لهؤلاء الناس الذين يقدمون هذه الخزعبلات على العلم المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وإني أقول لهم إن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، فإن هذه الدعوات التي تزهد في العلم والعلماء مصادمة لهدي الكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[2].

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٢.
(٢) سورة فاطر آية ٢٨.

وقال تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين﴾[2]. إلى غير ذلك من النصوص التي تحث على العلم والتفقه في الدين وتحذر من الجهل. فما موقف هذه الجماعات المبتدعة من هذه النصوص التي تعارض منهجهم في الدعوة جملةً وتفصيلاً فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومما تقدم يتضح لنا أن الجهل هو أخطر سبب يؤدي إلى انتشار البدع ويصم آذان أهله عن سماع الحق ولو كان مثل الشمس في رابعة النهار.

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان في بيان خطورة مرض الجهل. قال الله تعالى في مرض القلب وحقيقته ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[3]. قال: فهو شفاء لما في الصدور من مرض الجهل والغي. فإن الجهل مرض شفاؤه العلم والهدى. والغي مرض شفاؤه الرشد. وقد برّأ الله سبحان وتعالى نبيه من هذين الداءين فقال: ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾[4].

ووصف رسوله صلى الله عليه وسلم خلفاءه بضدهما فقال صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)[5]. وجعل كلامه سبحانه موعظة للناس عامة، وهدى ورحمة لمن آمن به خاصة، وشفاء تاما لما في الصدور، فمن استشفى به صح وبريء من مرضه، ومن لم يستشف به فهو كما قيل:

إذا بلَّ من داءٍ به ظن أنه نجا وبه الداء الذي هو قاتله[6]

(١) سورة الزمر آية ٩.

(٢) البخاري (١/ ١٥٠، ١٥١) و(٦/ ١٥٢) ومسلم (٢/ ٧١٩) رقم ١٠٣٧.

(٣) سورة يونس آية ٥٧.

(٤) سورة النجم آية ١، ٢، ٣، ٤.

(٥) تقدم تخريجه في مبحث الإحداث في الدين الفصل الأول من الباب الثاني ص٨٩.

(٦) إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٢٣، ٢٤).

ويستمر ابن القيم في بيان مرض القلب وطرق علاجه إلى أن يقول: (مرض القلب نوعان: نوع لا يتألم به صاحبه في الحال، وهو النوع المتقدم، كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك. وهذا النوع هو أعظم النوعين إثماً، ولكن لفساد القلب لا يحس بالألم، ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فألمه حاضر فيه حاصل له، وهو متوار عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما. وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم، فهم أطباء هذا المرض.. وكذلك الجهل مرض يؤلم القلب. فمن الناس من يداويه بعلوم لا تنفع، ويعتقد أنه قد صح من مرضه بتلك العلوم، وهي في الحقيقة إنما تزيده مرضا إلى مرضه، لكن اشتغل القلب بها عن إدراك الألم الكامن فيه، بسبب جهله بالعلوم النافعة، التي هي شرط في صحته وبرئه، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الذين أفتوا بالجهل، فهلك المستفتي بفتواهم (قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العي السؤال)[1]. فجعل الجهل مرضا وشفاءه سؤال أهل العلم.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الطهارة/ باب في المجروح يتيمم (١/٢٣٩، ٢٤٠، ٣٣٦، ٣٣٧). وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الطهارة وسننها/ باب في المجروح تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه إن اغتسل (١/١٨٩، ٥٧٢) وقال المحقق في الزوائد اسناده منقطع. وأخرجه الدارمي في سننه: كتاب الوضوء/ باب المجروح تصيبه الجنابة (١/١٩٢). وأخرجه الامام أحمد في المسند (١/٣٣٠). عن جابر، قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجل منا حجر فشجه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة، وأنت تقدر على الماء، فاغتسل، فمات. فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك، فقال: (قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر) واللفظ لأبي داود.

قال ابن حجر في التلخيص الحبير (١/١٤٧) وصححه ابن السكن وقال ابن أبي داود تفرّد به الزبير بن خريق وكذا قال الدارقطني وليس بالقوي وخالفه الأوزاعي ورواه عن عطاء عن ابن عباس وهو الصواب. قلت والقائل ابن حجر رواه أبو داود أيضاً من حديث الأوزاعي فقال بلغني عن عطاء عن ابن عباس، ورواه الحاكم من حديث بشر بن بكر الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس به، وقال الدارقطني اختلف فيه على الأوزاعي والصواب أن الأوزاعي أرسل آخره عن عطاء. قلت هي رواية ابن ماجه. وقال أبو زرعة وأبو حاتم لم يسمعه الأوزاعي من عطاء وإنما سمعه من إسماعيل بن مسلم عن عطاء، كما بين ذلك ابن أبي العشرين في روايته عن الأوزاعي، ونقل ابن السكن عن ابن أبي داود أن حديث الزبير بن خريق أصح من حديث الأوزاعي ا هـ. =

وكـذلـك الشـاك في الشيء المرتاب فيه، يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقـين، ولما كان ذلك يوجب له حرارة قيل لمن حصل له اليقين: ثلج صدره وحصل له برد اليقين، وكذلك يضيق بالجهل والضلال عن طريق رشده، وينشرح بالهدى والعلم، قال تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾[1].

ويستطرد ابن القيم رحمه الله في بيان خطورة الجهل ويستدل بقوله تعالى: ﴿يا أيهـا الـذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾[2]. فأخبر سبحـانـه أن حياتنـا إنما هي باستجابتنا لما يدعونا إليه الله والرسول من العلم والإيمان. فعلم أن موت القلب وهلاكه بفقد ذلك.

وشبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله بأصحاب القبور. وهذا من أحسن التشبيه. فإن أبدانهم قبور لقلوبهم. فقد ماتت قلوبهم وقبرت في أبدانهم. فقال تعالى: ﴿إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾[3]. ولقد أحسن القائل:

وفي الجهـل، قبل الموت، موت لأهله وأجسـامهـم قبـل الـقبـور قبـور
وأرواحـهـم في وحشـة من جسـومهم ولـيس لهم حتى النشـور نشـور[4].

وقد عقد ابن الجوزي فصولا في كتابه تلبيس ابليس صور فيه واقع الجهلة،

= مختصراً من التلخيص الحبير لابن حجر.

وقال الألباني في تمام المِنّة (ص١٣١) هذا الحديث ضعفه البيهقي والعسقلاني وغيرهما، لكن له شاهد من حديث ابن عباس يرتقي به إلى درجة الحسن لكن ليس فيه قوله ويعصر بل هي زيادة ضعيفة منكرة لتفرد هذا الطريق الضعيف بها ـ وقال في صحيح ابن ماجه (١/ ٩٣) رقم ٤٦٤ ـ الحديث حسن دون بلاغ عطاء ا هـ.

قلتُ ويبدو والله أعلم أن الحديث يرتقي بمجموع طرقه إلى درجة الحسن.

(١) سورة الأنعام آية ١٢٥ وانظر اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢٨، ٢٩).
(٢) سورة الأنفال آية ٢٤.
(٣) سورة فاطر آية ٢٢.
(٤) انظر إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٣٤).

لا سيما أهل التصوف الذين آثروا السياحة في الأرض والخروج عن الأهل والأوطان، بقصد التعبد وزهدوا في العلم والتعلم وزهدوا الناس في العلماء، وكأن ابن الجوزي يحكي الواقع الأليم الذي تعيشه بعض الجماعات في هذا الزمان، الذين يدعون الناس إلى الخروج باسم الجهاد الأكبر وترك الوظائف والأعمال ويروون للعامة ألوانا من القصص والخيالات التي تجعلهم ينضوون تحت لوائهم، وينضمون إلى صفوفهم تاركين أهليهم وأولادهم يتسكعون في الطرقات، وإذا قرأنا ما أوضحه ابن الجوزي في تلبيس ابليس عن المتصوفة شعرنا وكأنه يتحدث عن هذه الجماعات الصوفية المعاصرة التي تتستر باسم الدعوة إلى الله وهي بعيدة كل البعد عن منهج دعوة الأنبياء والمرسلين، وإليك أخي القارىء نماذج من كلام ابن الجوزي في هذا الباب:

قال في وصف أهل الخروج والسياحة: (قد لبس إبليس على خلق كثير منهم فأخرجهم إلى السياحة لا إلى مكان معروف، ولا إلى طلب علم وأكثرهم يخرج سائحا وحده ولا يستصحب زادا ويدعي بذلك الفعل التوكل. فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى أنه في ذلك على طاعة وأنه يقرب بذلك من الولاية، وهو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم)(١).

ثم ذكر ابن الجوزي ما يلبسه ابليس على الصوفية في ترك الاشتغال بالعلم فقال: (اعلم أن أول تلبيس ابليس على الناس صدهم عن العلم، لأن العلم نور فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء. وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أبواب. أحدها أنه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم أنه يحتاج إلى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة.

وروى بسنده عن حفص بن شاهين قال: (ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى أن الاشتغال بالعلم بطالة، وقالوا أن علومنا بلا واسطة وإنما رأوا بعد الطريق في طلب العلم فقصروا الثياب)(٢). ورقعوا الجباب وحملوا الركاء وأظهروا الزهد.

---

(١) تلبيس ابليس لابن الجوزي ص٣٣٥ ـ ٣٣٦.

(٢) لعله يقصد بتقصير الثياب هنا التقصير المراد به الشهرة، وإلا فمعلوم لكل مسلم أن السنة تقضي بأن أزرة المؤمن إلى نصف الساق، ويجوز إلى الكعبين.

والثـاني: أنـه قنع قوماً منهم باليسير منه، ففاتهم الفضل الكثير في كثرته فاقتنعوا بأطراف الأحاديث وأوهمهم أن علو الإسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وان للنفس في ذلك لذة، وكشف هذا التلبيس أنه ما من مقام عال إلا وله فضيلة وفيه مخاطرة، فإن الإمارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة، وللنفس فيه لذة ولكن فضيلة عظيمة كالشوك في جوار الورد فينبغي أن تطلب الفضائل ويتقى ما في ضمنها من الآفات.

والثـالث: أنه أوهم قوما منهم أن المقصود العمل وما فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى الأعمال ثم إن العالم وإن قصر سير عمله فإنه على الجادة، والعابد بغير علم على غير الطريق.

والرابع: أنه أرى خلقا كثيرا منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى أن أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول حدثني قلبي عن ربي. وكان الشبلي يقول:

إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر، وسموا هواجس النفوس العلم الباطن.

ثم أورد بسنده عن ابراهيم سبتيه يقول حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون فلان لقي فلانا وأخذ من علمه وكتب منه الكثير، وفلان لقي فلانا. فقال أبو يزيد: مساكين أخذوا علمهم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت[1].

ثم أضاف ابن الجوزي يقول رادا على مقالة أبي يزيد: (فأما أن يترك العلم ويقول أنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشيء، إذ لولا العلم النقلي ما عرفنا ما يقع في النفس أمن الإلهام للخير أو الوسوسة من الشيطان. واعلم أن العلم الإلهامي الملقى في القلوب لا يكفي عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لا تكفي عن العلوم الشرعية فإن العقلية كالأغذية والشرعية كالأدوية ولا ينوب

---

(١) انتهى مختصرا من تلبيس ابليس لابن الجوزي من ص٣٦٠ - ٣٦٣.

هذا عن هذا. وأما قوله أخذوا علمهم ميتا عن ميت. أصلح ما ينسب إليه هذا القائل أنه ما يدري ما في ضمن هذا القول، وإلا فهذا طعن على الشريعة.

ثم ساق بسنده عن حفص بن شاهين قال: من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا نحن علومنا بلا واسطة. قال وما كان المتقدمون في التصوف إلا رؤوسا في القرآن والفقه والحديث والتفسير، لكن هؤلاء أحبوا البطالة. وقال أبو حامد الطوسي اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا، ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون. بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة، وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو بنفسه في زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل في نفسه ولا يكتب حديثا ولا غيره ولا يزال يقول الله الله الله إلى أن ينتهي إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحي عن القلب صورة اللفظ.

ثم قال ابن الجوزي: عزيز عليّ أن يصدر هذا الكلام من فقيه فإنه لا يخفى قبحه فإنه على الحقيقة طي لبساط الشريعة التي حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم. وعلى هذا المذهب فقد رأيت الفضلاء من علماء الأمصار فإنهم ما سلكوا هذه الطريق وإنما تشاغلوا بالعلم أولا. وعلى ما قد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عندها من العلم ما يطرد ذلك فيلعب بها إبليس أي ملعب فيريها الوسوسة محادثة ومناجاة. ولا ننكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله. إلا أنه ينبغي أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه فإن الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان في التخيلات أمور ينهى الشرع عنها فلا يستفاد من صاحب الشرع شيء ينسب إلى ما نهى عنه كما لا تستباح الرخص في سفر قد نهي عنه. ثم لا تنافي بين العلم والرياضة بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها. وإنما تلاعب الشيطان بأقوام أبعدوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم، والعلم بعيد عنهم فتارة يفعلون الفعل المنهي عنه. وتارة يؤثرون ما غيره أولى منه، وإنما كان يفتي في هذه الحوادث العلم، وقد عزلوه فنعوذ بالله من الخذلان.

وأورد ابن الجوزي بسنده روايات في خطورة الجهل ومنها ما رواه عن ضرار بن عمرو قال: (إن قوما تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه وخالفوا السنة فهلكوا فوالله الذي لا إله غيره ما عمل عامل قط على جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح)[1].

ثم عقد فصلا بيّن فيه أن بعض الصوفية قد لبس عليهم ابليس بدفن الكتب أو احراقها أو القائها في الماء فقال: (قد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم ثم لبس عليهم ابليس وقال ما المقصود إلا العمل ودفنوا كتبهم فقد روي أن أحمد بن أبي الحواري رمى كتبه في البحر، وقال: نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال. ولقد طلب أحمد بن أبي الحواري الحديث ثلاثين سنة، فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه إلى البحر فغرقها. وقال: يا علم لم أفعل بك هذا تهاونا ولا استخفافا بحقك ولكني كنت أطلبك لاهتدي بك إلى ربي فلما اهتديت بك استغنيت عنك).

وقد سبق القول بأن العلم نور وأن ابليس يحسن للانسان إطفاء النور ليتمكن منه في الظلمة، ولا ظلمة كظلمة الجهل. ولما خاف ابليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب فربما استدلوا بذلك على مكايده حسن لهم دفن الكتب وإتلافها، وهذا فعل قبيح محظور وجهل بالمقصود بالكتب.

ثم ذكر تلبيس إبليس عليهم في إنكارهم على من تشاغل بالعلم فقال: (لما انقسم هؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم وبين ظان أن العلم هو ما يقع في النفوس من ثمرات التعبد، وسموا ذلك العلم: العلم الباطن نهوا عن التشاغل بالعلم الظاهر.

ثم ساق بسنده ما بلغه عن أبي سعيد الكندي قال كنت أترك رباط الصوفية، وأطلب الحديث في خفية بحيث لا يعلمون فسقطت الدواة يوما من

---

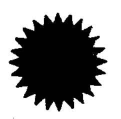
(١) انتهى مختصرا من تلبيس ابليس لابن الجوزي من ص٣٦٣ - ٣٦٥.

كمي فقال لي بعض الصوفية استر عورتك(١).

ثم قال رحمه الله: قلت: من أكبر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله وأوضح سبيل الله العلم، لأنه دليل على الله وبيان لأحكام الله وشرعه، وإيضاح لما يحبّه ويكرهه، فالمنع منه معاداة لله ولشرعه، ولكن الناهين عن ذلك ما تفطنوا لما فعلوا. (٢).

ومما تقدم مما أوردناه عن ابن القيم وابن الجوزي رحمهما الله يتضح لك أخي القاريء مدى خطورة الجهل، وكيف يزهد أصحابه في العلم ويحول بينهم وبين سماع الحق، ويبعدهم عن طريق الهدى والرشاد، وأعظم من ذلك كله أن الشياطين تتسلط عليهم وتأتيهم من كل باب، حتى إنهم ليعدون الوساوس والهذيان، بل الألفاظ التي تبلغ حد الكفر عبادة يتقربون بها إلى الله.

فتأمل رحمك الله، واحرص على العلم والتعلم والتفقه في الدين فإنه خير طريق، يوصلك إلى بر النجاة وإلى مرضاة رب العالمين. هذا المطلب العظيم الذي هو مطلب كل مسلم، ومنتهى أمل كل مؤمن.



---

(١) هذا قول ينم عن خبث وسوء طوية ومعاداة للعلم وأهله وتهكم بمن يطلب العلم حيث سمى هذا الجاهل الأحمق أدوات العلم ووسائله عورة والواقع أنه هو الحري بهذه التسمية وأي عورة أعظم من عورة الجهل الذي يعيشه هذا الأحمق. الذي اختط لنفسه منهجا خاصا مخالفا للقرآن والسنة وما عليه سلف الأمة.

(٢) انتهى ملخصا انظر المصدر السابق ص ٣٦٦ ـ ٣٧٠.

المبحث الثاني
اتبـاع الهــوى

من الأسباب الخطيرة في انتشار البدع بين المسلمين اتباع الهوى. وذلك أن الشيطان يزين تلك البدع ويحسنها لهم حتى تجري في عروقهم وتقر في سويداء قلوبهم لا سيما مع الجهل وقلة العلم كما أسلفنا:

أتــاني هواهـا قبـل أن أعـرف الهـوى فصــادف قلبــا خالــيا فتــمـكـنــا

وطبيعة النفس البشرية إذا مالت إلى شيء ورغبت فيه فإنه يصعب ثنيها عنه لاسيما عند التعود عليه لكل إمريء من دهره ما تعودا.

وقد ذم الله سبحانه وتعالى اتباع الهوى في آيات كثيرة من كتابه عز وجل فقال تعالى: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ ألهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)[3].

جاء في كتاب البدعة للشيخ شلتوت يرحمه الله: (قد يكون الناظر في الأدلة ممن تملكتهم الأهـواء، فتدفعه إلى تقرير الحكم الذي يحقق غرضه ثم يأخذ في تلمس الدليل الذي يعتمد عليه ويجادل به، وهذا في الواقع يجعل الهوى أصلا تحمل الأدلة عليه ويحكم به على الأدلة، وهو قلب لقضية التشريع، وإفساد لغرض الشارع من نصب الأدلة[4].

---

(١) سورة النجم آية ٢٣.

(٢) سورة الجاثية آية ٢٣.

(٣) سورة القصص آية ٥٠.

(٤) البدعة أسبابها ومضارها لشلتوت ص ٢٤.

واتباع الهوى هو سبب ضلال من ضل من أهل الكتاب، فمن قلدهم من هذه الأمة بالبدع التي اتبع فيها هواه ورأيه ففيه شبه منهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر آيات الجاثية من قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكمة..﴾ الآية. إلى قوله تعالى: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾(١).

أخبر سبحانه أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم على بعض ثم جعل محمدا صلى الله عليه وسلم على شريعة من الأمر شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته وأهواءهم هي ما يهوونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم، ويسرون به ويودون أن لو بذلوا مالا عظيما ليحصل ذلك(٢).

واتباع الهوى هو سبب الانحراف والزيغ عن الصراط المستقيم ومما يجعل اتباع الهوى في غاية من الخطورة أن صاحب الهوى لا يرجع عن غيه ولو أقمت له أدلة أمثال الجبال. لأنه قد تمكن من قلبه واستحكم حتى أصم أذنه عن سماع الحق وأعمى عينه عن إبصار الهدى.

والحقيقة والواقع أن اتباع الهوى مرض قلبي خطير به حرفت الأديان وغيرت السنن وذهبت القيم، وتحولت العادات إلى عبادات، والخزعبلات إلى كرامات، والديانات إلى طقوس وضلالات. ولذا فإن الابتداع الناتج عن متابعة الهوى أشد جرما وإثما عند الله لأنه لا يرجى من صاحبه خير ولا يؤمل منه رجوع إلى الحق إلا من رحم ربك. وقليل ما هم. وباتباع الهوى خرجت الخوارج ورفضت

---

(١) سورة الجاثية آية ١٦، ١٧، ١٨، ١٩.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٤.

الـروافض، وتشيعت الشيعـة، ونبتت الجهمية وظهرت المعتزلة وأحدث المرجئة ونفت القدرية وضلت الجبرية، وتفرقت الأمة حتى صارت شيعا وأحزابا كل حزب بما لديهم فرحون. فكم حرّف الهوى من شرائع وبدّل من ديانات. وأوقع الإنسان في ضلال مبين.

المبحث الثالث
التعلق بالشبهــات

من الأسبـاب الخـطيرة التي أدت إلى ظهـور البدع وانتشارها هي التعلق بالشبهات التي ظنوها دلالات وهي ضلالات، فحرفوا بها النصوص وضربوا آيات الله بعضهـا ببعض. وآمنـوا ببعض الكتـاب وكفروا ببعض، وتعسفوا في حمل النصـوص على تلك الشبهات حتى حملوها ما لا تحتمل، وصرفوها عن معانيها الحقيقية بغـير علم ولا هدى وانسـاقوا وراء تلك الشبهات والمتشابهات وأوردوا الافتراضات التي لا تخطر ببال حتى ضلوا عن الجادة واتبعوا غير سبيل المؤمنين.

وقد حذر الله تبارك وتعالى من الذين يتبعون المتشابه وأخبر أنهم من أهل الزيغ والضلال.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب. وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولو الألباب﴾.

قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)[1].

---

(١) البخاري مع الفتح (١٥٧/٨) ومسلم (٢٠٥٣/٤) كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والآية في سورة آل عمران آية ٥.

قال البغوي في شرح السنة: (وأما المتشابه، ففيه أقاويل، أحدها ما قاله الخطابي وجماعة ما اشتبه منه فلم يتلق معناه من لفظه، وذلك على ضربين:

أحدهما إذا ردّ إلى المحكم عرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلى معرفة كنهه، والوقوف على حقيقته، ولا يعلمه إلا الله، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ يبتغون تأويله كالإيمان بالقدرة والمشيئة وعلم الصفات[1]. ونحوها مما لم نتعبد به، ولم يكشف لنا عن سره، فالمتبع لها مبتغ للفتنة لأنه لا ينتهي منه إلى حد تسكن إليه نفسه، والفتنة: الغلو في التأويل المظلم)[2].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم)[3].

والمتتبع لهدي السلف يجدهم يتورعون عن القاء الشبهات والكلام في المتشابه بل كانوا يشددون في ذلك حتى إنهم إذا استفتاهم أحد عن مسألة سألوه هل وقعت تلك المسألة أم لم تقع.

وإليك أخي القاريء نماذج من أقوالهم في ذلك:

فقد روى الدارمي بسنده عن اسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت عامرا يقول: (استفتى رجل أبي بن كعب فقال يا أبا المنذر ما تقول في كذا وكذا قال يا بني أكان الذي سألتني عنه؟ قال: لا. قال: أما لا فأجلني حتى يكون فنعالج أنفسنا حتى نخبرك)[4].

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أخبر أن رجلا يشتغل بطرح الشبه

---

(١) يعني علم الكيفية فإنه متشابه، وأما ثبوت الصفة لله ومعرفة معناها فهذا ليس بمتشابه بل هو محكم.

(٢) شرح السنة للبغوي (١/٢٢٢).

(٣) رواه مسلم (١/١٢) في المقدمة.

(٤) سنن الدارمي (١/٥٦).

ويتكلم في متشابه القرآن ضربه ضربا مبرحا وعاقبه عقابا شديدا واستمر في عقوبته حتى تيقن أنه ثاب إلى رشده ورجع عن غيه.

فعن نافع مولى عبدالله أن صبيغا العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب. فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال أين الرجل. فقال في الرحل قال عمر أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجعة. فأتاه به فقال عمر تسأل محدثة؟ فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره وبرة، ثم تركه حتى برأ ثم عاد له ثم تركه حتى برأ. فدعا به ليعود له قال فقال صبيغ إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته)[1].

وجاء بلفظ آخر عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال من أنت قال أنا عبدالله صبيغ فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه وقال أنا عبدالله عمر فجعل يضربه ضربا حتى دمى رأسه فقال يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي[2].

هذا وإن دور الشبهات خطير في تغيير الحقائق والتباس الحق بالباطل. وربما توالت تلك الشبهات حتى تصل بصاحبها إلى الانسلاخ من ملة الإسلام. وقد كثرت الشبهات قديما وحديثا مما يلقيه الدخلاء وأعداء الإسلام والمسلمين في نفوس ضعاف الإيمان، وإن من هدي سلفنا الصالح أنهم لا يتعرضون لهذه الشبهات حتى ولو بالرد ما لم يخش تأثيرها على الدين وإن كثرة الردود والخوض فيها تضفي عليها هالة من الأهمية ولذلك ينبغي تجاهلها واطراحها لأنها لا تنتهي فكل

(١) سنن الدارمي (١/٥٥ - ٥٦).
(٢) سنن الدارمي (١/٥٤).

ما أغلق باب منها فتح الشيطان بابا آخر وإن أكثر البدع والمحدثات تأتي عن طريق الشبه ويرحم الله الإمام الشافعي حيث يقول: (آمنت بالله وما جاء عن الله على مراد الله. وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله)[1].

المبحث الرابع
الاعتماد على العقل المجرد

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وأكرمه غاية الإكرام وأودع فيه من عجائب قدرته وأسرار حكمته مالا يقدر عليه غيره ومن تلك الأسرار والعجائب نعمة العقل الذي ميز الله به هذا الإنسان ليميز به الخبيث من الطيب والضار من النافع، والغث من السمين والباطل من الحق. والناس لهم تجاه هذه النعمة موقفان:

(أ) موقف الجمود والتعطيل حتى إنه لا يقيم لهذا العقل وزنا ولا يستخدمه في تدبر ملكوت الله والنظر في آياته. قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾[2].

(ب) موقف الغلو والإفراط. وهؤلاء بالغوا في الاعتماد على العقل حتى جعلوه مصدر التشريع والتحسين والتقبيح فكل ما استحسنته عقولهم فهو الحق، وإن خالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وبسبب ذلك كثرت البدع وانتشر الضلال وظهرت الفتن وأميتت السنن وتمزق شمل الأمة، وحرّفت نصوص الكتاب والسنة.

جاء في كتاب درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية بعنوان القانون الكلي للتوفيق عند المبتدعة. قال الشيخ: (إذا تعارضت الأدلة السمعية

---

(١) ذم التأويل لابن قدامة المقدسي ص١١ و ص٤٤.
(٢) سورة فصلت آية ٥٣.

والعقلية، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية، ونحو ذلك من العبارات. فإما أن يجمع بينهما وهو محال، لأنه جمع بين النقيضين وإما أن يردا جميعا، وإما أن يقدّم السمع وهو محال، لأن العقل أصل النقل فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا، فوجب تقديم العقل، ثم النقل إما أن يتأول وإما أن يفوض.

وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما.

وهذا كلام قد جعله الرازي وأتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله تعالى وكلام أنبيائه عليهم السلام. وما لا يستدل به. ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلون في صفات الله تعالى وغير ذلك من الأمور التي أنبئوا بها، وظن هؤلاء أن العقل يعارضها، وقد يضم بعضهم إلى ذلك أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين.

وقال في موضع آخر:

ومثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء يضع كل فريق لأنفسهم قانونا فيما جاءت به الأنبياء عن الله فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعا له، فما وافق قانونهم قبلوه وما خالفه لم يتبعوه.

وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التي جعلوها عقيدة إيمانهم وردّوا نصوص التوراة والإنجيل إليها لكن تلك الأمانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الأنبياء أو ما بلغهم عنهم، وغلطوا في الفهم أو في تصديق الناقل كسائر الغالطين ممن يحتج بالسمعيات، فإن غلطه إما في الإسناد وإما في المتن، وأما هؤلاء فوضعوا قوانينهم على ما رأوه بعقولهم، وقد غلطوا في الرأي والعقل. فالنصارى أقرب إلى تعظيم الأنبياء والرسل من هؤلاء، لكن النصارى يشبههم من ابتدع بدعة بفهمه الفاسد من النصوص أو بتصديقه النقل الكاذب عن الرسول.

كالخوارج والوعيدية، والمرجئة والإمامية وغيرهم بخلاف بدعة الجهمية والفلاسفة فإنها مبنية على ما يقـرون هم بأنه مخالف للمعروف من كلام الأنبياء، وأولئك يظنون أن ما ابتدعوه هو المعروف من كلام الأنبياء وأنه صحيح عندهم)[١].

وجاء في كتاب البدع لشلتوت إن الله جعل للعقول حدا تنتهي في الإدراك إليه. ولم يجعل لها سبيلا إلى إدراك كل شيء.

فمن الأشياء مالا يصل العقل إليه بحال، ومنها ما يصل إلى ظاهر منه دون اكتناه، وهي مع هذا القصور الذاتي لا تكاد تتفق في فهم الحقائق التي أمكن لها إدراكها، فإن قوى الإدراك ووسائله تختلف عند النظار اختلافا كثيرا، ولهذا كان لابد فيما لا سبيل للعقول إلى إدراكه، وفيما تختلف فيه الأنظار، من الرجوع إلى مخبر صادق يضطر العقل أمام معجزته إلى تصديقه وليس ذلك سوى الرسول المؤيد من عند الله العليم بكل شيء الخبير بما خلق.

وقد شذ عن هذا الأصل قوم رفعوا العقل عن مستواه الذي حدده الله، وجعلوه حجة الله على عباده، وحكموه فيما لا يدركه مما أنزل الله، فرجعوا في التشريع إليه، وأنكروا في النقل كل مالم يعهد في إدراكه، ثم توسعوا في ذلك، وجعلوه أصلا في التشريع الإلهي. واستباحوا بعقولهم فيه مالم يأذن به الله[٢].

وفتحوا باب الاستحسان على مصراعيه ونصبوا أنفسهم مشرعين مستدركين على الـدين. فأوجـدوا طقوسا وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان، كالأعياد والموالد وليلة النصف من شعبان بصوم نهاره وإحياء ليلته، والاجتماع على الذكر بهيئة معينة لم تكن معروفة في الشرع. وما يسمى بالأغاني والابتهالات الدينية كل هذا مبني على استحسان العقل. وقد قال الشافعي رحمه الله (من استحسن فقد شرع)[٣]. وقول الإمام مالك رحمه الله (من ابتدع بدعة يرى أنها حسنة فقد زعم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٤ ـ ٨) بتصرف.

(٢) البدعة أسبابها ومضارها لشلتوت ص٢٨ ـ ٢٩.

(٣) المستصفى للغـزالي (١/ ٢٧٤). شرح الكوكب المنير لابن النجار (٤/ ٤٢٠) الإبهاج في شرح المنهاج (٣/ ١٨٨).

أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد خان الرسالة)[1].

وبحكم العقل القاصر أنكر كثير من الحقائق الدينية المعلومة من الدين بالضرورة ولا سيما الغيبيات ولو جاءت بها النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. فقد أنكرت المبتدعة كثيرا من هذه الأمور كالصراط، والحوض والميزان وحشر الأجساد، ونعيم الأجساد وعذابها، ورؤية الباري سبحانه وتعالى. وعطلت صفات الحق عز وجل كما أنكر معتزلة هذا العصر - وإن لم يتسموا باسم المعتزلة - مس الجن. وحقيقة السحر والعين وبعض أشراط الساعة، كنزول عيسى عليه السلام، وظهور الدجال وكثيرا من أمور الشرع التي أخضعوها لأحكام عقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة ناسين أو متناسين تلك النصوص التي جاءت بثبوت هذه الأمور. تلك النصوص التي كثير منها قطعي الثبوت والدلالة.

ومعلوم لدى كل ذي عقل سليم أنه إذا صح الخبر عن الله أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم فليس للعقل مجال للأخذ أو الرد، بل يجب الإذعان والتسليم حتى وإن لم تدرك العقول كنه تلك الأمور. لأن العقول أعجز من أن تحيط بكل شيء فرحم الله امرءا عرف قدر نفسه قال تعالى: ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[3].

ورضي الله عن عمر بن الخطاب فإنه عندما جاء يقبل الحجر الأسود أدرك بعقله الواعي ورأيه الحصيف أنه لا مجال للعقل في التشريع هنا فقال مقالته المشهورة التي جاءت في الصحيحين وغيرهما إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك[4].

---

(١) تقدم تخريجه في مبحث حكم الاحداث في الدين في الفصل الأول من الباب الثاني ص٧٠.
(٢) سورة النور آية ٥١.
(٣) سورة الأحزاب آية ٣٦.
(٤) صحيح البخاري (٢/ ١٨٠). ومسلم (٣/ ٦٧).

المبحث الخامس
تقليد الشيوخ

من أعـظم العـوامل والأسباب التي أدت إلى ذيوع البدعة وانتشارها بين النـاس التقليد الأعمى للشيوخ في الأصول والفروع. فقول الشيخ مقدّم عند المبتدعة على قول الله ورسوله وأكثر ما يوجد ذلك عند الرافضة وأصحاب الطرق الصوفية كما يوجد أيضا عند متعصبة الفقهاء.

فأتبـاع الشيوخ يتلقـون الأحوال التي يسمعونها ويشاهدونها من شيوخهم ويأخذونها مسلمة على أنها الطريق الوحيد الذي يقربهم إلى الله حتى وإن خالفت هدي الكتـاب والسنة فيعتقدون أنها من التشريع الذي خص الله به أصفياءه وأولياءه وعباده المقربين. وبالغوا في ذلك حتى اعتقد كثير منهم في الشيوخ العصمة وأنهم لا يفعلون إلا حقا لأنهم معصومون من الخطأ، فيتبعونهم في كل ما يؤثر عنهم من قول أو فعل على أنه الطريق المقرب إلى الله الموصل إلى رضاه. وهذا أيضـا يقـع من بعض المتعصبـين للمـذاهب الفقهية حيث يعتقـدون العصمـة لفقهـائهم، ويعتمـدون على أقـوالهم اعتمادا كليا ولا يقبلون غيرها ولو جاءتهم الأخبار الصحيحة الصريحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لردوها. إذ أن تقديسهم لفقهائهم يأتي في الدرجة الأولى. ولذا قدموا أقوالهم على النصوص ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وصل الحال ببعضهم إلى أن يقول: (كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو مسنوخ[1].

وقد سرى هذا التقليد الأعمى بين المسلمين حتى إنك لتجد من يحفظ كثيرا من متون الفقهاء وهو لا يكاد يحفظ بعض قصار السور التي يؤدي بها صلاته فضلا

---

(١) الرسالة في أصول الحنفية لأبي الحسن الكرخي المطبوعة مع تأسيس النظر للدبوسي ١٦٩ ـ ١٧٠ تاريخ التشريع للخضري ص٣٣٢، وبدعة التعصب المذهبي لمحمد عيد عباسي ص٣٢٧.

عن أن يحفظ شيئا من السنة[1].

بهذا التعصب انتشرت البدع وعمّت وطمّت حتى حالت بين الناس وبين سماع الحق والهدى، وتركوا المنهج الرباني العظيم والهدي النبوي القويم. تحت تأثير هذا التقليد مرددين كلمة تجري على ألسنة الخاصة والعامة (من قلّد عالما لقي الله سالما). وهذا قول في غاية الخطورة، فإن الله سبحانه وتعالى لن يسألنا غدا عن الشيخ، وإنما يسألنا عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وقد ذم الله سبحانه وتعالى التقليد باتباع الآباء والأجداد حيث قال تعالى في معرض ذمه للمشركين ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا. وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبرآءنا فأضلونا السبيلا﴾[3].

وجاءت آثار السلف صريحة في ذم التقليد وأهله يقول ابن عباس رضى الله عنهما: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. أقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر)[4].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في معرض شرحه لهذا الأثر: (وهذا الكلام قاله ابن عباس لمن ناظره في متعة الحج, وكان ابن عباس يأمر بها، فاحتج عليه المناظر بنهي أبي بكر وعمر عنها، أي: هما أعلم منك

---

(١) ونعني بالتقليد المذموم في الفقه ذلكم التقليد الأعمى الذي يترك به الدليل ولو كان ظاهراً من الكتاب والسنة كالمثال الذي أوردناه عن الكرخي ـ وأما سؤال أهل العلم والأخذ بقواعد فقهاء السلف فهذا أمر مطلوب لا ينازع فيه أحد. قال الله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ سواء سمي ذلك تقليداً أو اتباعاً.

(٢) سورة الزخرف آية ٢٢.

(٣) سورة الأحزاب آية ٦٦، ٦٧.

(٤) زاد المعاد (٢/١٩٥، ٢٠٦).

وأحق بالاتباع فقال هذا الكلام الصادر عن محض الإيمان وتجريد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم وإن خالفه من خالفه كائنا من كان، كما قال الشافعي: (أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يكن له أن يدعها لقول أحد)[1]. فإذا كان هذا كلام ابن عباس لمن عارضه بأبي بكر وعمر ـ وهما هما ـ فماذا تظنه يقول لمن يعارض سنن الرسول صلى الله عليه وسلم بإمامه وصاحب مذهبه الذي ينتسب إليه؟ ويجعل قوله معيارا على الكتاب والسنة، فما وافقه قبله، وما خالفه رده أو تأوله فالله المستعان[2].

وقال الإمام مالك رحمه الله:

«كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم»[3].

المبحث السادس
جلساء السوء

مخالطة أهل الشر ومجالستهم والاستماع إليهم من الأسباب الخطيرة التي تؤدي إلى ذيوع البدع وانتشارها وانتقالها إلى الغير لاسيما عندما يقل العلم ويكثر الجهل. فتسري تلك البدع في قلوب من يجالسون أهل البدع والأهواء سريان النار في الهشيم وذلك لأنهم ليست عندهم الحصانة التي تحميهم من ذلك لاسيما مع طول الزمن ومرور الوقت حتى يستمرؤوها ويستسهلوها. فإنه إذا كثر الامساس قل الاحساس كما يقال. وقد أوردنا بعض النصوص من الكتاب والسنة وآثار السلف في التحذير من مجالسة أهل الشر ومخالطتهم عند الكلام على حكم مجالسة أهل البدع والأهواء فليرجع إليه.

---

(١) سنن الدرامي (١/٩٥) جامع بيان العلم وفضله (٢/١٩٦)، والفقيه والمتفقه (١/١٤٥).
(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ص٥٤٤ ـ ٥٤٥.
(٣) إرشاد السالك لابن عبدالهادي (١/٢٢٥) نقلا عن مختصر المأمل في الرد إلى الأمر الأول لأبي شامه ص ٦٥ ـ ٦٦، والإحكام في أصول الأحكام (٦/٨٥٧)، والفقيه والمتفقه (١/١٧٦)، جامع بيان العلم وفضله (٢/٩١).

المبحث السابع
سكــوت العلمـاء

يقول الله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[1].

إن مما ابتليت به هذه الأمة، هو ترك كثير من العلماء الواجب العظيم الملقى على عواتقهم ألا وهو الدعوة إلى الله تعالى وذلك بالقيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ولا يعني هذا أن الأمة قد فقدت من يقوم بهذا الأمر. فالخير موجود في أمة محمد والحمدلله. وسيظل موجودا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد قيض الله تبارك وتعالى في كل عصر وفي كل مصر من يُبين للناس أمر دينهم. ويقوم بما أوجب الله عليه نحو أمته بتمييز السنة من البدعة، والهدى من الضلالة والخير من الشر. ولكنهم قليلون إذا قورنوا بأولئك العلماء الذين أصابهم الخرس عن القيام بهذا الواجب.

وإني أهمس في آذانهم بالمثل السائر «الساكت عن الحق شيطان أخرس»[2].

فإن مما يؤسف له أن ترى البدع والخرافات تنتشر في كل مكان من بلاد المسلمين على مرأى ومسمع من كثير من طلاب العلم والعلماء الذين قصروا في القيام بأداء هذه الأمانة التي جعلها الله في أعناقهم. الأمر الذي جعل عامة الناس يعتقدون في البدع أنها سنن، وإذا أردت أن تبين لهم الحق في ذلك، ردوا عليك بقولهم من أنت؟ ومن تكون؟. . فلو كان الأمر بدعة كما تدعي لبينها الشيخ فلان وفلان. فإنك لست بأعلم منهم بل لا تُدانيهم في منزلتهم العلمية.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤.

(٢) هذه حكمة وليست بحديث كما قد يتوهمه بعض الناس فليتنبه.

جاء في كتاب البدع للشيخ شلتوت رحمه الله:

«وقد أهمل جمهور العلماء منذ زمن بعيد هذا الواجب الديني العظيم الذي يتوقف عليه بقاء الشريعة سليمة نقية من الأدران. اهملوه إما ضعفا أو خوفا من تألب العامة وغضب الخاصة، وإما مجاملة للعظماء والحكام. وإما تهاونا بأصل الواجب وجريا على قاعدة «دع الخلق للخالق» التي يبررون بها إحجامهم عن البيان.

وإما تواكلاً، نظرا إلى أن البيان واجب كفائي قيام البعض به يسقط وجوبه عن الباقين! ولما سكت العلماء، وألِفَ الناس منهم ذلك السكوت عن كل ما يفعلون، ظن العامة أنَّ ما يفعلونه دين وشرع، وربما جاراهم - بحكم الالْفِ والعادة - العلماء فيما يفعلون.

وبذلك صار ردُّهم عما ألِفوا من البدع إلى ما تركوا من السنة شاقا على من يحاوله، لأنهم يرونه إحداثا جديدا في الدين لم يعرفوه، فلا حول ولا قوة إلا بالله[1].

وقد صدق الشيخ شلتوت رحمه الله في تصوير حال كثير من العلماء الذين يجب أن يكون لهم دور كبير في إصلاح المجتمع وتطهيره مما هو فيه من البدع والخرافات والخزعبلات التي شبَّ عليها الصغير ونشأ عليها الكبير، ودرست بسببها معالم الحق. وبعد الناس في كثير من البلاد عن منهج أهل السنة والجماعة.

وإني أذكر نفسي وإخواني طلاب العلم بقول الله عز وجل في الوعيد الشديد على من كتم العلم قال تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)[2].

وقال تعالى: ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله

(١) البدعة أسبابها ومضارها للشيخ محمود شلتوت ص٤٢ - ٤٣.
(٢) سورة البقرة آية ١٥٩.
(٣) سورة البقرة آية ٢٨٣.

ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيينه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾[1].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار)[2].

المبحث الثامن
التشبه بالكفار وتقليدهم

إن التشبه بالكفار وتقليدهم من أشد ما يوقع في البدع كما في حديث أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر. وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط. فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. الله أكبر. إنها السنن. قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا إلهً كما لهم آلهة. قال إنكم قوم تجهلون. لتركبن سنن من كان قبلكم[3].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٧.

(٢) تقدم تخريجه في مبحث الاحداث في الدين الفصل الأول الباب الثاني ص ٨٨.

(٣) صحيح. رواه ابن اسحاق ـ كما في السيرة لابن هشام (٤/٨٤، ٨٥) والشافعي (بدائع المنن: ٢٣) وعبد الرازق (٢٠٧٦٣) والحميدي (٨٤٨) والطيالسي (١٣٤٦) وأحمد (٥/٢١٨) والترمذي (٢١٨٠) وقال: حسن صحيح، وابن أبي عاصم في السنة (٧٦) وابن نصر في السنة ص١١، ١٢ وابن جرير (٩/٣١ ـ ٣٢) وابن حبان (١٨٣٥). والطبراني في الكبير (٣٢٩٠، ٣٢٩٤) والبيهقي في المعرفة (١/١٠٨) والبغوي في تفسيره هامش الخازن (٢/٢٨٠ ـ ٢٨١) عن أبي واقد الليثي بسند صحيح رجاله رجال الشيخين.

انظر النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد لجاسم بن فهيد الدوسري ص (٦٤، ٦٥).

ففي هذا الحديث أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني اسرائيل وبعض أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام من الذين دخلوا حديثاً في الإسلام أن يطلبوا هذا الطلب القبيح وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها ويتبركون بها من دون الله. وهذا هو الواقع نفسه في هذا الزمان فإن غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات، كأعياد الموالد، وتخصيص أيام بعبادة معينة، والاحتفال بالمناسبات الدينية والذكريات واقامة التماثيل والنصب التذكارية، واقامة المآتم وبدع الجنائز والبناء على القبور وغير ذلك مما قلدوا فيه الكفرة والمشركين بما أحدثوه من طقوس وبدع ما أنزل الله بها من سلطان.

المبحث التاسع
اعتماد المبتدعة على الأحاديث الضعيفة والموضوعة

إن الناظر في حال المبتدعة يجد أنهم يعتمدون في كثير من بدعهم على أحاديث ضعيفة وموضوعة، شحنوا بها كتبهم وحشوا بها مؤلفاتهم في الوقت الذي يردون أحاديث صحيحة ولا يعملون بها إما بدعوى أنها تخالف الأصول وإما بدعوى أنها أخبار آحاد، أو نحو ذلك من التمحلات والتكلفات التي يردون بها كثيرا من السنن بل والواجبات.

وإذا قلت لأحد منهم إن هذا الحديث الذي اعتمدت عليه ضعيف أو موضوع أجاب بكلام لا يدرك معناه ولا يفقه مغزاه كأن يقول إن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال كما صرح به بعض العلماء. وأقول لصاحب هذا المقال (مكانك تحمدي أو تستريحي) إنك لم تفهم ما يقصده العلماء بمثل هذا القول. ولو كنت تفهمه حق الفهم لما قلت هذه المقالة وقد قال القائل (وآفته من الفهم السقيم) وإني أسوق لك أقوال بعض العلماء ليتبين لك مراد بعض العلماء بقوله إنه يجوز العمل بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال.

قال الشاطبي في الاعتصام:

في معرض رده على شبه المبتدعة: (فمنها اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة، والمكذوب فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها كحديث الاكتحال يوم عاشوراء، وإكرام الديك الأبيض، وأكل الباذنجان بنية، وأن النبي صلى الله عليه وسلم تواجد واهتز عند السماع حتى سقط الرداء عن منكبيه وما أشبه ذلك فإن أمثال هذه الأحاديث لا يبنى عليها حكم ولا تجعل أصلا في التشريع أبدا. ومن جعلها كذلك فهو مخطيء في نقل العلم، وانما أخذ بعض العلماء بالحديث الحسن لإلحاقه عند المحدثين بالصحيح، وكذلك أخذ بعضهم بالمرسل حيث ألحق بالصحيح في أن المتروك ذكره كالمذكور والمعدل ـ فأما ما دون ذلك فلا يؤخذ به بحال عند علماء الحديث ولا يعنون ـ حدثني فلان عن فلان) مجردا بل يروون ذلك لما تضمنه من معرفة الرجال حتى لا يسند عن مجهول ولا مجروح ولا متهم إلا عمن تحصل الثقة بروايته لأن روح المسألة أن يغلب على الظن من غير ريبة أن ذلك الحديث قد قاله النبي صلى الله عليه وسلم، لنعتمد عليه في الشريعة ونسند إليه الأحكام، والأحاديث الضعيفة الإسناد لا يغلب على الظن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالها، فلا يمكن أن يسند إليها حكم فما ظنك بالأحاديث المعروفة الكذب.

وما روي عن الإمام أحمد بن حنبل من أنه قال: (الحديث الضعيف خير من القياس). ظاهره يقتضي العمل بالحديث غير الصحيح، لأنه قدمه على القياس المعمول به عند جمهور المسلمين، فليس المراد بالضعيف عنده الباطل، ولا المنكر ولا ما في رواته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب إليه والعمل به، بل الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن، ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف بل إلى صحيح وضعيف، وللضعيف عنده مراتب، وإن أول من قسم الحديث إلى ثلاثة أقسام صحيح وحسن وضعيف الترمذي، وأن الضعيف الذي يرجحه أحمد على الرأي هو الحسن عند الترمذي ومن اختار تقسيمه[1].

---

(١) راجع النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (١/٣٨٥) تحقيق الدكتور ربيع بن هادي مدخلي طبعة الجامعة الإسلامية.

ويستطرد الشاطبي في الرد على الذين يخترعون من عند أنفسهم عبادات بتخصيص أيام وليال معينة ويدحض هذا القول إلى أن يقول: (والدليل على ذلك أن تفضيل يوم من الأيام أو زمان من الأزمان بعبادة ما يتضمن حكما شرعيا فيه على الخصوص كما ثبت لعاشوراء مثلا أو لعرفة أو لشعبان مزية على مطلق التنفل بالصيام فإنه ثبت له مزية على الصيام في مطلق الأيام فتلك المزية اقتضت مرتبة في الأحكام أعلى من غيرها بحيث لا تفهم من مطلق مشروعية التنفل بالصيام لأن مطلق المشروعية يقتضي أن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة في الجملة، وصيام يوم عاشوراء يقتضي أنه يكفر السنة التي قبله، فهو أمر زائد على مطلق المشروعية ومساقه يفيد له مزية في الرتبة وذلك راجع إلى الحكم.

فإذًا هذا الترغيب الخاص يقتضي مرتبة في نوع من المندوب خاصة فلابد من رجوع إثبات الحكم إلى الأحاديث الصحيحة بناء على قولهم (إن الأحكام لا تثبت إلا من طريق صحيح) والبدع المستدل عليها بغير الصحيح لابد فيها من الزيادة على المشروعات كالتقييد بزمان أو عدد أو كيفية ما. فيلزم أن تكون أحكام تلك الزيادات ثابتة بغير الصحيح وهذا ناقض لما أسسه العلماء. ولا يقال إنهم يريدون أحكام الوجوب والتحريم فقط. لأنا نقول: هذا تحكم من غير دليل، بل الأحكام خمسة. فكما لا يثبت الوجوب إلا بالصحيح، فإذا ثبت الحكم استسهل أن يثبت في أحاديث الترغيب والترهيب، ولا عليك. فعلى كل تقدير: كل ما رغب فيه إن ثبت حكمه ومرتبته في المشروعات من طريق صحيح فالترغيب فيه بغير الصحيح مغتفر. وإن لم يثبت إلا من حديث الترغيب فاشترط الصحة أبدا وإلا خرجت عن طريق القوم المعدودين في أهل الرسوخ فلقد غلط في هذا المقام جماعة ممن ينسب إلى الفقه، وأصل هذا الغلط عدم فهم كلام المحدثين في الموضعين، وبالله التوفيق.

ومن ذلك علمت أن قولهم (الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال) ليس على اطلاقه بصواب ـ فإنهم إن أرادوا أن الضعيف يعمل به في إثبات الأعمال الفاضلة شرعا فغير صحيح عند الراسخين في العلم ـ وإن أرادوا أنه يعمل به في

الترغيب فيها مثلا فهو صحيح لكن بعد أن تكون تلك الأعمال الخاصة قد ثبتت أحكـامها من طريق صحيح عند المحدثين. والبدعة التي نحن بصددها ليست كذلك حتى يقال فيها ذلك فأحفظه فانه نفيس)[1].

وهنـا نذكـر لك ما شرطـه المحدثون لجواز العمل بالضعيف في الترغيب والـترهيب. قال الحـافظ السخـاوي في القـول البديع بعد ذكر المسألة وخلاف القاضي أبي بكر بن العربي فيها إذ جزم بعدم جواز العمل بالضعيف مطلقا ـ قال وقد سمعت شيخنا (أي الحافظ بن حجر) مرارا يقول وكتبه لي بخطه أن شرائط العمل بالضعيف ثلاثة: الأول متفق عليه أن يكون الضعف غير شديد فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه. الثاني: أن يكون مندرجا تحت أصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصلا. الثالث: ألا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله. قال والأخـيران عن ابن عبـدالسـلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد والأول نقل العلائي الاتفاق عليه. اهـ[2].

وبذا تعلم أن تعلق المبتدعة بالأحاديث الضعيفة والموضوعة قد فتح باب الشر على مصراعيه، وجـرأ الناس على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، الأمـر الذي لبس على كثير من المسلمين، وأظهر لهم الباطل في صورة الحق، بما ينمقونه ويزينونه من ألفاظ، وربما صاغوا لها اسانيد معينة، ونسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زورا وبهتانا، حتى لقد وصل الحال بكثير من المبتدعة والمتعصبة إلى وضع أحاديث في رفع أقوام ووضع آخرين وهذا شائع كثيرا عنـد متعصبـة الفقهـاء، الـذين يضعون أحاديث في تمجيد أئمتهم ومدحهم، وأحاديث أخـر في النيل من الأئمة الذين يخالفونهم في الرأي، وهذا هو الداء العضال الذي يشتت شمل الأمة ويقوض كيانها ويظهر المسلمين أمام الأعداء في صورة بشعة.

---

(١) الاعتصام (١/ ٢٢٤ ـ ٢٣١).

(٢) القول البديع في الصلاة على البشير الشفيع للسخاوي ص٢٥٥.

ومعلوم أن الأئمة رحمهم الله بريئون من هذا التعصب وأهله براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

هذه هي أهم الأسباب التي أدت إلى فشو البدعة وانتشار الخرافة وتغير المفاهيم، وانقلاب الحقائق. فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



الفصل الرابع
خطورة البدع وآثارها السيئة

تمهيد:

إن البدع والمحدثات في الدين لها خطورة عظيمة وآثار سيئة على الفرد والمجتمع بل وعلى الدين كله أصوله وفورعه. فهي مفتاح الشرك وبريد الكفر وطريق الضلال الذي من سلكه ألقى به في متاهات لا تحمد عقباها. ولا يمكن لنا أن نحصر الأخطار التي تنجم عن الابتداع ولكننا نلخص بعضا منها في ثمانية عشر مبحثا.

المبحث الأول: البدعة بريد الكفر.

المبحث الثاني: القول على الله بغير علم.

المبحث الثالث: بغض المبتدعة لأهل السنة وكراهيتهم لأهل الحق.

المبحث الرابع: رد عمل المبتدع.

المبحث الخامس: سوء عاقبة المبتدع وهل تقبل توبته.

المبحث السادس: انعكاس مفهوم المبتدع.

المبحث السابع: عدم قبول شهادته وروايته.

المبحث الثامن: الفتنة.

المبحث التاسع: استدراكه على الشريعة.

المبحث العاشر: التباس الحق بالباطل على المبتدعة.

المبحث الحادي عشر: المبتدع يحمل وزره ووزر من تبعه.

المبحث الثاني عشر: المبتدع مستحق للعنة.

المبحث الثالث عشر: الذود عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع عشر: المبتدع معرض عن ذكر الله.

المبحث الخامس عشر: كتمان الحق.

المبحث السادس عشر: المبتدع يشوه ويخفي معالم الدين.

المبحث السابع عشر: تفريق المبتدع للأمة.

المبحث الثامن عشر: المبتدع تجوز غيبته كالفاسق تحذيرا للأمة.

المبحث الأول
البدعة بريد الكفر

لو استعرضنا تاريخ الأديان السماوية لوجدنا أن الانحراف الذي طرأ عليها، إنما بدأ بالبدع، كالغلو في الصالحين والتعلق بآثارهم وتحريف الكتب المنزلة في لفظها ومعناها حتى وصلوا إلى الكفر بالله تعالى والإشراك به، ووصفوه بما لا يليق به من الأبوة والبنوة وجعلوا له أندادا وأمثالا ونظراء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان أصل كفر أهل الكتاب: (واليهود مقصرون عن الحق، والنصارى غالون فيه. فأما وسم اليهود بالغضب، والنصارى بالضلال. فله أسباب ظاهرة وباطنة وجماع ذلك: أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم. فهم يعلمون الحق، ولا يتبعونه لا قولا ولا عملا. وكفر النصارى. من جهة عملهم بلا علم. فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله ويقولون على الله ما لا يعلمون. ولهذا كان السلف كسفيان بن عيينة وغيره يقولون (من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبّادنا ففيه شبه من النصارى).

ومع أن الله قد حذرنا سبيلهم، فقضاؤه نافذ بما أخبر به رسوله مما سبق في علمه، حيث قال، فيما أخرجاه في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع. حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال: فمن؟[1].

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، فقيل يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: ومن الناس إلا أولئك[2].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٣/ ٣٠٠) وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٤).
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٣/ ٣٠٠).

فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل كتاب، ومضاهاة لفارس والروم وهم الأعاجم وقد كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء[1].

ولا شك أن كثيرا من الفرق المبتدعة التي ظهرت في الإسلام قد بلغت بابتداعها حد الكفر بالله عز وجل، مع ادعائها الإسلام، فقالوا بسقوط الأمر والنهي، وادعوا لمشايخهم كثيرا من خصائص الباري سبحانه وتعالى كادعاء علم الغيب، والقدرة على التصرف في الكون ونحو ذلك مما اختص به الله سبحانه، كما صرحت بذلك فرق الباطنية وغلاة الرافضة وغلاة الصوفية.

ولا شك أن منهم من ضل على علم فأشبه بذلك اليهود. ومنهم من أضلهم علماؤهم فأشبه بذلك النصارى.

فمن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين بإفراط أو تفريط، وضاهاهم في ذلك فقد شابههم، كالخوارج المارقين من الإسلام الذين خرجوا على المسلمين وكان قتالهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في غير ما حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك من غلا في دينه من الرافضة والقدرية والجهمية وسائر الفلاسفة والباطنية. وكذا من مرق من الدين في هذا العصر كالقاديانية والبهائية وما شاكلهما من فرق الكفر والضلال.

هذا ولا ينبغي أن نغتر بما لدى هذه الفرق المارقة من الطقوس وبعض العبادات الإسلامية. فإنها لا قيمة لها. بجانب ما لديهم من كفريات بل هي كالسراب الذي يراه الرائي يظنه ماء وليس بشيء قال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا﴾[2].

فإذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من انتسب إلى الإسلام وقد

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٥ و٦.
(٢) سورة النور آية ٣٩.

مرق منـه مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق ايضا من الإسلام.

فانظر رحمك الله إلى البدع والمحدثات كيف أردت اتباعها وأدت بهم إلى المروق من دين الله الحق.

المبحث الثاني
القول على الله بغير علم

إن الناظر في سيرة المبتدعة يجدهم أكثر الناس كذبا على الله ورسوله، فإنهم لا يتورعون من التزوير والكذب والقول على الله بغير علم. فينتحلون الأحاديث المـوضوعة تأييداً لبدعهم وضلالاتهم في الوقت الذي يردون النصوص الصريحة الصحيحـة التي تنقض أقوالهم وترد عليهم وتبطل نحلهم. فيضعون الأحاديث الكثيرة بأسانيد مصطنعة هذا صنف. وأما الصنف الآخر وهم غلاة المتصوفة فإنهم يدّعون أنهم يتلقون الوحي مشافهة عن الله عن طريق مشايخهم الذين زعموا أنهم وصلوا إلى مرحلة الاتصال بالله مباشرة. ولذلك يقول قائلهم: (أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت) ويقول آخر (حدثني قلبي عن ربي)[1].

وبناء على ذلك فإنه لا فائدة من علم الإسناد عند هؤلاء. علما بأن (الإسناد من الـدين، ولـولا الإسنـاد لقـال في السنة من شاء ما شاء)[2]. كما قال ذلك عبدالله بن المبارك رحمه الله.

وأكثر المبتدعة لا يهتمون بالحديث وعلومه كما لا يهتمون بمنهج السلف في فهم القـرآن الكريم بل يتعسفون في فهم النصوص ويلوون أعناقها كي توافق

---

(١) راجع ما أوردناه عن ابن الجوزي في تلبيس ابليس في المبحث الأول (الجهل) الفصل الثالث من الباب الثاني. ص ١٢٩.

(٢) سيأتي تخريجه في ص ٢١١.

معتقداتهم زوراً وبهتانا وهم إما جاهل مقلد يجري خلف كل ناعق وإما متجاهل مغرض ينفس عن نفسه ويظهر حقده الدفين بالقول على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

لذا فإنهم أكثر الناس افتراء على الله ورسوله. وإني أذكرهم وأمثالهم ممن يتقـول على الله ورسـوله بغير علم، بقول الله تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾[1].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[2].

قال ابن القيم رحمه الله:

وأما القول على الله بغير علم فهو أشد هذه المحرمات تحريما. وأعظمها إثما. ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان. ولا تباح بحال بل لا تكون إلا محرمة. وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير، الذي يباح في حال دون حال.

فإن المحرمات نوعان: محرم لذاته لا يباح بحال، ومحرم تحريما عارضا في وقت دون وقت. قال الله تعالى في المحرم لذاته ﴿قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿والإثم والبغي بغير الحق﴾ ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا﴾. ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾[3] فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثما. فإنه يتضمن الكذب على الله، ونسبته إلى مالا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما أثبته وإثبات ما نفـاه، وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حققه، وعداوة من والاه وموالاة من عاداه،

---

(١) سورة الحاقة آية ٤٤، ٤٥، ٤٦.

(٢) صحيح البخاري (١/٥٣) كتاب العلم، وصحيح مسلم (٤/٢٢٩٩) كتاب الزهد.

(٣) سورة الأعراف آية ٣٣.

وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله.

فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه، ولا أشد إثما. وهو أصل الشرك والكفر. وعليه أسست البدع والضلالات. فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم.

ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها. وصاحوا بأهلها في أقطار الأرض. وحذّروا من فتنتهم أشد التحذير. وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش، والظلم والعدوان. إذ مضرّة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد.

وقد أنكر تعالى على من نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده. بلا برهان من الله فقال: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب. هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب . . . الآية﴾[١].

فكيف بمن نسب إلى أوصافه سبحانه وتعالى مالم يصف به نفسه؟ أو نفي عنه منها ما وصف به نفسه؟

قال بعض السلف: ليحذر أحدكم أن يقول: أحل الله كذا وحرم الله كذا. فيقول الله: كذبت. لم أحل هذا، ولم أحرم هذا.

يعني التحليل والتحريم بالرأي المجرد، بلا برهان من الله ورسوله.

وأصل الشرك والكفر: هو القول على الله بلا علم. فإن المشرك يزعم أن من اتخذه معبوداً من دون الله، يقربه إلى الله. ويشفع له عنده. ويقضي حاجته بواسطته كما تكون الوسائط عند الملوك. فكل مشرك قائل على الله بلا علم. دون العكس. إذ القول على الله بلا علم قد يتضمن التعطيل والابتداع في دين الله. فهو أعم من الشرك. والشرك فرد من أفراده[٢].

---

(١) سورة النحل آية ١١٦.

(٢) مدارج السالكين (١/٣٧٢ ـ ٣٧٣).

قال الشيخ محمد حامد الفقي تعليقا على كلام ابن القيم (إن أول خطوة إلى الشرك: هي القول على الله بلا علم. وذلك بزعم أن الله سبحانه قد سد باب الفقه في كلامه ورسالة رسله على العامة. وفتحه لطائفة خاصة أو لقلة من الناس. زعموهم رجال الدين المحتكرين له صناعة. وأن فرضا على العامة تقليد هؤلاء بلا علم ولا بصيرة في الدين. فلما زين الشيطان لهم هذا، وقبلوه، أثمر اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، فشرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله. وسووهم برب العالمين في حق التشريع لما يصلح الناس ويهديهم في معاشهم ومعادهم إلى التي هي أقوم.

وما زالوا يقولون في الله وعلى الله بلا علم، حتى اعتقدوا لبعض البشر القداسة الذاتية. وأن فيهم شيئا من خواص الرب وصفاته. سبحانه. سماه الشيطان لهم نورا. فأثمر ذلك اتخاذ موتاهم أولياء من دون الله، يقيمون على قبورهم وآثارهم القباب والأصنام والأوثان، يعبدونهم من دون الله بجميع أنواع العبادات التي شرعها لهم أربابهم من الأحبار والرهبان. فهما متلازمان، والطريق تبدأ من التقليد الأعمى للآباء والشيوخ، واستحسان الرأي والهوى، حتى تروج البدع، ثم القول في الله وعلى الله بغير علم. ثم اتخاذ الموتى آلهة من دون الله، فتعطيهم من القلوب والأعمال مالا يليق إلا بالقوي العزيز)[1].

ثم نعود إلى كلام ابن القيم رحمه الله: (ولهذا كان الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم موجبا لدخول النار، واتخاذ منزلة منها متبوأً، وهو المنزل اللازم الذي لا يفارقه صاحبه، لأنه متضمن للقول على الله بلا علم. كصريح الكذب عليه. لأن ما انضاف إلى الرسول فهو مضاف إلى المرسل. والقول على الله بلا علم صريح افتراء الكذب عليه. ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾. فذنوب أهل البدع كلها داخلة تحت هذا الجنس فلا تتحقق التوبة منها إلا بالتوبة من البدع.

---

(١) انظر تعليق الشيخ محمد حامد الفقي على مدارج السالكين (١/٣٧٣).

وأنى بالتوبة منها لمن لم يعلم أنها بدعة، أو يظنها سنة، فهو يدعو إليها، ويحض عليها، فلا تنكشف لهذا ذنوبه التي تجب عليه التوبة منها إلا بتضلعه من السنـة. وكثـرة اطـلاعـه عليها، ودوام البحث عنها والتفتيش عليها. ولا ترى صاحب بدعة كذلك أبدا.

فإن السنة تمحق البدعة. فلا تقوم لها قائمة، وإذا طلعت شمسها في قلب العبد قطعت من قلبه ضباب كل بدعة، وأزالت ظلمة كل ضلالة. إذ لا سلطان للظلمة مع سلطان الشمس. ولا يرى العبد الفرق بين السنة والبدعة، ويعينه على الخروج من ظلمتها إلى نور السنة. إلا المتابعة، والهجرة بقلبه كل وقت إلى الله، والاستعانة والإخلاص، وصدق اللجأ إلى الله. والهجرة إلى رسوله، بالحرص على الـوصـول إلى أقواله وأعمإله وهديه وسنته. (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجـرتـه إلى الله ورسـوله ومن هاجر إلى غير ذلك فهو حظه ونصيبه في الدنيا والآخرة. والله المستعان)[1].

المبحث الثالث
بغض المبتدعة للسنة وكراهيتهم لأهل الحق

من أعظم الأدلة على خطورة البدعة أن أهلها ومروجيها ومن أشربوا حبها يكـرهون الحق وأهله ولا سيما من يدعوهم إلى السنة واتباع الهدى. فيصفونهم بأوصـاف لا تليق بهم بل العكس هو الصحيح فالمبتدعة أحق بتلك الأوصاف ولكنهم رموا أهل السنة بتلك العظائم والألقاب التي هم بريئون منها براءة الذئب من دم يوسف والمثل السائر يقول: (رمتني بدائها وانسلت).

قال شيخ الإسلام أبو اسماعيل الصابوني في كتابه عقيدة أصحاب الحديث:

---

(١) مدارج السالكين للإمام ابن القيم (١/ ٣٧٣ - ٣٧٤).

(وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة اعتقاداً منهم في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة وهواجس قلوبهم الخالية من الخير، وحججهم بل شبههم الداحضة الباطلة ﴿أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾[1].

﴿ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾[2].

ثم نقل الصابوني بسنده عن أبي حاتم الرازي قال: علامة أهل البدع الوقوع في أهل الأثر. وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون بذلك إبطال الأثر، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة. وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة[3].

هذه الألقاب ما زال أهل البدع والضلال يلقبون بها أهل السنة والجماعة حتى في هذا العصر، وقد تزعم هذه المدرسة الاعتزالية الجهمية ـ التي امتلأت قلوب أهلها حقدا وغيظا على أهل السنة ـ رجل تولى كبرها في هذا العصر هو محمد زاهد الكوثري الذي أخذ على عاتقه حمل لواء المبتدعة المعاصرين بما سطره في مقالاته التي كفانا مؤنتها وتتبع سمومها، وكشفها بما لا مزيد عليه الشيخ المعلمي رحمه الله في كتابه التنكيل.

فإن الكوثري عمد إلى اسلوب خطير خبيث قد يروج على ضعاف الإيمان وعلى من لم يتمكنوا من فهم عقيدة السلف المستمدة من الكتاب والسنة فشوهها وعلق عليها تعليقات خبيثة مثلما فعل في (مقدمة نصب الراية) للزيلعي، والأسماء

---

(١) سورة محمد آية ٢٣.

(٢) سورة الحج آية ١٨.

(٣) كتاب اعتقاد أهل الحديث للشيخ أبي اسماعيل الصابوني المطبوع ضمن الرسائل الكمالية (٣/١١٦ ـ ١١٧).

والصفات للبيهقي والتنبيه والرد على أهل البدع والأهواء لأبي الحسين الملطي. فقد حشاها بسمومه وخبثه وعصارة فكره المريض، وأظهر بها حقده الدفين، فوصف كثيرا من السلف بتلك الألقاب الشنيعة التي هو أحق بها في الواقع كتلقيبهم بالحشوية والمجسمة والمشبهة والواقفية والجمود والظاهرية بل سبهم وشتمهم بأفظع من ذلك. وله تلاميذ ينشرون زبالة عقله المريض ويتبنون أفكاره الداعية إلى إحياء البدعة وإماته السنة.

وما أجدر أصحاب هذا الفكر البعيد عن أنوار الحق بهذه الألقاب وإني أقول لهم ما قاله الشاعر:

إذا عير الطائي بالبخل مادرُ	وعير قساً بالفهاهةِ باقلُ
وطاولت الأرضُ السماء سفاهة	وفاخرت الشهبَ الحصى والجنادلُ
وقال السهى للشمس أنت ضئيلة	وقال الدجى يا صبح لونك حائل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة	ويا نفس جدي إن دهرك هازل[1].

ثم نعود إلى قول الشيخ الصابوني حيث يقول: قلت وكل ذلك عصبية ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث، قلت: إني رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم اقتسموا القول فيه، فسماه بعضهم ساحرا، وبعضهم كاهنا، وبعضهم شاعرا، وبعضهم مجنونا وبعضهم مفتونا، وبعضهم مفتريا مختلقا كذابا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم من تلك المعائب بعيدا بريئا ولم يكن إلا رسولا مصطفى نبيا، وقال الله عز وجل: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾[2].

كذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة أخباره. ونقلة آثاره ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته، فسماهم بعضهم حشوية، وبعضهم مشبهة

---

(١) الأبيات ضمن قصيدة طويلة للمعري انظر شروح سقط الزند ص٥٣٣، ٥٣٧ نشر الدار القومية للطباعة والنشر نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٥هـ.

(٢) سورة الإسراء آية ٤٨ والفرقان آية ٩.

وبعضهم نابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية، وأصحاب الحديث عصابة، من هذه المعايب بريئة زكية نقية، وليسوا إلا أهل السنة المضية والسيرة المرضية، والسبل السوية، والحجج البالغة القوية، قد وفقهم الله جل جلاله لاتباع كتابه ووحيه وخطابه والاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منها، وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته. وشرح صدورهم لمحبته، ومحبة أئمة شريعته، وعلماء أمته، ومن أحب قوما فهو معهم يوم القيامة بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، (المرء مع من أحب)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يرد على شيخ من المتصوفة يجمع العصاة ليتوبهم بطريقة مبتدعة في الدين وهو أن يجمعهم على ضرب الدف والغناء والأناشيد المؤثرة فيتوب بعضهم على حد زعمه فقال رحمه الله:

(فهؤلاء جند الشيطان، وأعداء الرحمن، وهم يظنون أنهم من أولياء الله المتقين. وحالهم أشبه بحال أعداء الله المنافقين، فإن المؤمن يحب ما أحبه الله تعالى، ويبغض ما أبغض الله تعالى. ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله، وهؤلاء يحبون ما أبغض الله، ويبغضون ما أحب الله، ويوالون أعداء الله، ويعادون أولياءه)[2].

---

(١) صحيح البخاري (٥/٢٢٨٣)أدب،صحيح مسلم (٤/٢٠٣٤) كتاب البر. وانظر كتاب اعتقاد أهل الحديث للشيخ أبي اسماعيل الصابوني المطبوع ضمن الرسائل الكمالية (٣/١١٧، ١١٨).
(٢) انظر مجموع الفتاوي (١١/٦٣٥).

المبحث الرابع
رد عمل المبتدع

قد بينا في أكثر من مناسبة كمال هذا الدين واشتماله على كل عمل يقرب العبد إلى ربه. وبناء عليه فإن كل عمل لم يبن على هدي الكتاب والسنة، فإنه مردود على أصحابه قليلا كان أم كثيرا لأن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. فهل يتصور عاقل أن يقبل الله عملا قد أخبر على لسان رسوله أنه بدعة. كلا إذ الضدان لا يجتمعان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد). وفي رواية (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[1].

فالحديث جاء بصيغة جازمة لا يبقى بعدها أي مجال للشك في أن كل عمل مبتدع مهما استحسنه صاحبه فإنه مردود عليه قال الله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾[2].

المبحث الخامس
سوء عاقبة المبتدع وهل تقبل توبته

البدعة أشد خطورة من المعاصي، ولذا يخشى أن من أغرق في البدعة لا تقبل توبته. ويخطيء من يسوي بين المعاصي والبدع فإن المعاصي التي دون الإشراك بالله أقل خطورة من البدع وذلك لأنها لا تمس صميم العقيدة بخلاف البدع التي تأخذ مكانها في القلب حتى تصبح عقيدة تحل محل العقيدة الصحيحة

---

(١) تقدم تخريجه في مبحث الإحداث في الدين في الفصل الأول من الباب الثاني ص ٨٧.

(٢) سورة الكهف آية ١٠٣، ١٠٤.

فتفسد القلب وتبعده عن الله عز وجل. عندها يصعب الرجوع إلى الحق لأنها قد خالطت شغاف القلوب فأعمتها وأصمتها عن إبصار الطريق الصحيح الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

قال سفيان الثوري رحمه الله: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها)[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ بعد كلام طويل بيّن فيه أن البدعة أخطر من المعاصي ـ (فهذه الذنوب مع صحة التوحيد، خير من فساد التوحيد مع عدم هذه الذنوب)[2].

وقد جاء في السنة ما يدل على ما ذكرناه من أن البدع أخطر من المعاصي التي دون الكفر.

ففيما يتعلق بالمعاصي روى البخاري في صحيحه: (أن رجلا يدعى حمارا وكان يشرب الخمر. وكان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم، وكلما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم جلده الحد. فلعنه رجل مرة. وقال لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله)[3].

أما البدع فمثل ما أخرجه الشيخان أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم فجاءه رجل ناتيء الجبين، كث اللحية. محلوق الرأس، بين عينيه أثر السجود، فاعترض على قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (يخرج من ضئضىء هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم. يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/٢١٦).
(٢) الاستقامة لابن تيمية (١/٤٦٦).
(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١٢/٧٤).

يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد[1].

فهذا الرجل الذي شرب الخمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لعنه وشهد له بصحة الاعتقاد وذلك نص في أن المعصية انحراف في العمل والجوارح، أما الرجل الذي اعترض على الرسول صلى الله عليه وسلم مع كثرة صيامه وصلاته حتى أن فيه علامة على كثرة السجود. أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل ذريته على كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم للقرآن وما هم عليه من العبادة والزهادة لكونهم مبتدعة[2].

ولا يعني هذا أننا نقلل من شأن المعاصي كما قد يفهمه بعض الأغبياء[3].

---

(١) رواه البخاري (٦/٣٧٦ ح: ٣٦٤٤) ومسلم (٢/٧٤٢ ح: ١٠٦٢).

(٢) البدعة للهلالي ص٣٣.

(٣) كنت في مناقشة مع أحد الناس المدافعين عن بعض الجماعات الحزبية المعاصرة. وهي جماعة يغلب عليها البدع والتصوف، وتنفر الناس من العلم والدعوة إلى العقيدة الصحيحة وتدعو إلى الالتزام ببعض جوانب العبادة وتضييع بقية أمور الإسلام. والحقيقة أنها تدعو إلى تصوف خطير مقنع بإظهار الدعوة إلى العبادة والزهد بينما هو في الواقع دعوة إلى التصوف.

فلما وصلنا في المناقشة إلى أقوال السلف في أن البدعة أخطر من المعاصي. مثل قول سفيان البدعة أحب إلى إبليس من المعاصي. وقول الشافعي (لأن ألقى الله بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إليّ أن ألقى الله بشيء من الأهواء) .. (شرح السنة للبغوي (١/٢١٦). قال لي هذا الأخ المدافع عن المبتدعة إذن أنتم تهونون من شأن المعاصي. فقلت له هذا إلزام بما لا يلزم، فكوني أقول بقول السلف إن البدعة أخطر من المعاصي لا يلزمني بالتهوين من شأن المعاصي، وذكرت له حديث الخوارج مقارنا مع حديث الرجل الذي جلد في الخمر مرارا. وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يحب الله ورسوله. فلم يقتنع صاحبنا. بل أخذ يذيع بين الناس بأنني أقول للناس ازنوا، واسرقوا، واشربوا الخمر، واقتلوا. والمهم أنكم لا تخرجوا مع الجماعة الفلانية. وأقول سبحانك هذا بهتان عظيم ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾.

فانظر رحمك الله كيف بلغ به حبه لهؤلاء المبتدعة مع أنه من اخواننا في العقيدة أصلا إلى أن يحرف الكلم عن مواضعه دفاعا عنهم، ولا غرابة فقد بهرجوا عليه بما يزينونه ويظهرونه من كونهم يقومون بالدعوة إلى الله، وهم أبعد ما يكونون عن منهج الدعوة الصحيح، ولكنهم بمكرهم ودهائهم استطاعوا أن يقنعوه وأمثاله ممن ليس عندهم فرقان يميزون به بين السنة والبدعة فأحبهم حبا أعمى، ومعلوم أن حبك الشيء يعمي ويصم. اللهم اهدِ ضال المسلمين إلى سواء السبيل.

فالمعاصي خطيرة وعليها وعيد شديد. وإذا كثرت فإنها تغطي القلب وتغلفه ويختم عليه. فلم يعد يعرف الخير من الشر كما قال تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[1].

وصح في الحديث الذي رواه أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه، فإن زاد زادت، فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[2].

ومع ذلك فالعاصي أسرع إلى التوبة من المبتدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره لقول سفيان: (البدع أحب إلى إبليس من المعاصي) ومعنى قولهم: (إن البدعة لا يتاب منها): أن المبتدع الذي يتخذ دينا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنا فهو لا يتوب مادام يراه حسنا. لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه، أو بأنه ترك حسنا مأمورا به أمر ايجاب أو استحباب ليتوب ويفعله. فما دام يرى فعله حسنا وهو سيء في نفس الأمر فإنه لا يتوب[3].

وجاء في الاعتصام للشاطبي بعد أن ذكر حديث أحمد وأبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ[4]. بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله[5].

---

(١) سورة المطففين آية ١٤.

(٢) رواه ابن ماجة (١٤١٨/٢) وأحمد في المسند (٢٩٧/٢) وفي الزهد رقم: ٤٢٤٤.

(٣) مجموع الفتاوي (٩/١٠).

(٤) الكَلَبُ داء يعرض للإنسان، من عض الكَلْب، فيصيبه شبه الجنون، فلا يعض أحدا إلا كلب ويعرض له أعراض رديئة، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا. انظر لسان العرب (٧٢٣/١).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١٠٢/٤) وأبو داود (١٩٨/٤) (رقم (٤٥٩٧) في السنة، باب شرح السنة وزاد أحمد. والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به. واسناده صحيح، ولأحمد (١٤٥/٣) من حديث أنس بمعناه.

قال الشاطبي: إن قوله عليه الصلاة والسلام: وأنه سيخرج في أمتي أقوام على وصف كذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يريد أن كل من دخل من أمته في هوى من تلك الأهواء ورآها وذهب إليها، فإن هواه يجري فيه مجرى الكلب بصاحبه فلا يرجع أبدا عن هواه ولا يتوب من بدعته.

والثاني: أن يريد أن من أمته من يكون عند دخوله في البدعة مشرب القلب بها، فلا يمكنه التوبة ومنهم من لا يكون كذلك فيمكنه التوبة منها والرجوع عنها.

والذي يدل على صحة الأول هو النقل المقتضي الحجر للتوبة عن صاحب البدعة على العموم. كقوله عليه الصلاة والسلام: يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه[1].

وقولهم: إن الله احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة[2]. وما أشبه ذلك ويشهد له الواقع، فإنه قلما تجد صاحب بدعة ارتضاها لنفسه يخرج عنها أو يتوب منها بل هو يزداد بضلالتها بصيرة. ويستمر الإمام الشاطبي في بيان حكم توبة المبتدع إلى أن يقول في القسم الثاني: (والدليل على ذلك أنا وجدنا من كان عاملا ببدع ثم تاب منها وراجع نفسه بالرجوع عنها. كما رجع من الخوارج من رجع حين ناظرهم ابن عباس رضى الله عنهما. وكما رجع المهتدي والواثق[3] وغيرهم ممن كان قد خرج عن السنة ثم رجع إليها). وإذا جعل تخصيص العموم بفرد لم يبق اللفظ عاما وحصل الانقسام.

وهذا الثاني هو الظاهر لأن الحديث أعطى أوله أن الأمة تفترق ذلك الافتراق من غير إشعار بإشراب أو عدمه. ثم بين أن في أمته المفترقين عن الجماعة من يشرب تلك الأهواء. فدل أن فيهم من لا يشربها. وإن كان من أهلها. ويبعد أن يريد أن في مطلق الأمة من يشرب تلك الأهواء إذ كان يكون في الكلام نوع

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٣/٥٣٦).

(٢) سيأتي تخريجه مفصلا في آخر هذا المبحث ص ١٧١.

(٣) هكذا قال الشاطبي ويبدو أنه لم يثبت رجوع الواثق فقد ذكر عنه أنه كان معظماً لابن أبي دؤاد إلى آخر حياته.

من التـداخل الذي لا فائدة فيه. فإذا بين أن المعنى أن يخرج في الأمة المفترقة بسبب الهوى من يتجارى به ذلك الهوى استقام الكلام واتسق، وعند ذلك يتصور الانقسام. وذلك بأن يكون في الفرقة من يتجارى به الهوى كتجاري الكلب ومن لا يتجارى به ذلك المقدار، لأنه يصح أن يختلف التجاري، فمنه ما يكون في الغاية حتى يخرج إلى الكفر أو يكاد، ومنه مالا يكون كذلك.

فمن القسم الأول الخوارج بشهادة الصادق المصدوق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)[1].

ومن القسم الثاني أهل التحسين والتقبيح على الجملة، إذا لم يؤدهم عقلهم إلى ما تقدم[2].

والخلاصة: أن أصحاب الأهواء والبدع متوعدون بعدم قبول التوبة، إذ الغـالب على أمرهم أنهم لا يرجعون عن بدعتهم ما داموا عليها عاكفين وعنها مدافعين وفي سبيلها مستميتين. ذلك لأنهم يرون هذه البدع دينا لا يتزحزحون عنه قيد أنملة. ولذا جاء الوعيد أنه لا تقبل توبتهم ما داموا مقيمين عليها، ولا يعني هذا أن من تاب منهم توبة نصوحا لا تقبل توبته، لأن التوبة تجب كل شيء بما في ذلك الكفر والإشراك بالله تعالى، ولذا ذكر الله تعالى عددا من الذنوب على رأسها الشرك وبين عقوبة أصحابها ثم استثنى منهم من تاب حيث قال تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾[3].

وجاءت الأحاديث صريحة في أن باب التوبة مفتوح لكل من أراد التوبة إلى أن تطلع الشمس من مغربها أو تبلغ الروح الحلقوم.

---

(١) البخاري (٦/٣٧٦ ح: ٣٦٤٤) ومسلم (٢/٧٤٢ ح: ١٠٦٤).

(٢) الاعتصام (٢/٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٣) سورة الفرقان آية ٦٨، ٦٩، ٧٠.

من ذلك ما رواه مسلم عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عزّ وجلّ يبسط يده بالليل، ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار، ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)[1].

وروى الترمذي وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر)[2].

فمن أظهر التوبة واستكمل شروطها المعتبرة تاب الله عليه، ولكن دلت الأحداث والتجارب على أن أكثر أهل البدع والأهواء لا يتوبون عن بدعهم غالبا ولا يرجعون إلى رشدهم ذلك أنهم استمرؤوها واعتبروها دينا كما أسلفنا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:
(وأتباع الأهواء في الديانات أعظم من أتباع الأهواء في الشهوات)[3].

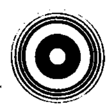
وإليك أخي القاريء بعض النصوص التي اشتملت على الوعيد الشديد بعدم قبول توبة المبتدع حتى يدع بدعته:
منها ما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً. أتاه ذو الخويصرة. وهو رجل من بني تميم. فقال: يارسول الله إعدل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويلك ومن يعدل إن لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أعدل» فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: يارسول الله إئذن لي فيه أضرب عنقه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن، لا يجاوز تراقيهم

---

(١) رواه مسلم (٢١١٣/٤) رقم ٢٧٥٩.
(٢) رواه الترمذي (٥٤٧/٥) رقم ٣٥٣٧، وابن ماجه (١٤٢٠/٢) رقم ٤٢٥٣، وصححه ابن حبان (٢٤٤٩)، والحاكم (٢٥٧/٤)، وله شاهد بمعناه من حديث ابي ذر عند أحمد (١٧٤/٥)، وصححه ابن حبان (٢٤٥٠) والحاكم (٢٥٧/٤).
(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص٢٧.

يمـرقـون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية - آيتهم رجل أسود - إحدى عضديه مثل ثدي المرأة. أو مثل البضعة تـدردر يخرجون على حين فرقة من الناس» قال أبو سعيد فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليًا بن أبي طالب رضى الله عنه قاتلهم وأنا معه. فأمر بذلك الرجل فألتمس. فوجد فأتي به، حتى نظرت إليه، على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نعت»[1].

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله أحتجر التوبة عن كل صاحب بدعة)[2].



(١) رواه البخاري (٦/٦١٨) ومسلم (٢/٧٤٤ - ٧٤٥) والنسائي (٧/١١٩، ١٢١) رقم ٤١٠٤ وأحمد (٤/٤٢٥) بألفاظ مختلفة لا تخرج عن معنى هذه الرواية التي أوردتها.

(٢) رواه ابن ماجه بلفظ (أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة) في المقدمة رقم ٧ في الجزء الأول، والسجزي في الإبانة وابن عساكر عن أنس وانظر الجامع الكبير للسيوطي مخطوط (١/١٥٨).
وأخرجه أبو الشيخ في تاريخ أصبهان ص٢٥٩، والطبراني في الأوسط ٤٣٦٠ وأبو بكر الملجمي في مجلسـين من الأمـالي (ق ١٤٨/١ - ٢). والهـروي في ذم الكلام (٦/١٠٦/١) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٣٨٠/٢) ويوسف بن عبدالهادي في جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر (ق ٣٣/١) من طرق عن هارون بن موسى حدثنا أبو ضمرة عن حميد عن أنس مرفـوعـا. قال الشيخ محمـد ناصر الـدين الألبـاني. وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير هارون بن موسى وهو الفروي، قال النسائي وتبعه الحافظ في التقريب (لا بأس به) وقـال الهيثمي في مجمـع الـزوائـد (١٠/١٨٩). رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفـروي وهـو ثقة. وقال المنذري في الترغيب (١/٤٥) رواه الطبراني وإسناده حسن. انظر الأحاديث الصحيحة للألباني (٤/١٥٤) رقم ١٦٢٠.

المبحث السادس
انعكاس مفهوم المبتدع

قد تتجارى الأهواء والبدع بأصحابها حتى تنقلب مفاهيمهم وتنعكس أمورهم فيرون الحسنة سيئة والسيئة حسنة، والسنة بدعة والبدعة سنة. فإذا رأوا صاحب سنة قالوا إنه صاحب بدعة، وإذا رأوا صاحب بدعة وصفوه بأنه صاحب سنة. وذلك حينما تغلب عليهم البدع فتغطي عقولهم وتصرف قلوبهم، وتجري في عروقهم ودمائهم، فلو جئتهم بكل آية وحديث ما قبلوا منك.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أنه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور؟ قالوا يا أبا عبدالله ما نرى بينهما من النور إلا قليلا. قال والذي نفسي بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما ترون ما بين هذين الحجرين من النور. والله لتفشون البدع حتى إذا ترك منها شيء قالوا تركت السنة[1].

وعنه أيضا قال:
(لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة حتى لا يقول عبد مه مه ولتركبن سنن الأمم قبلكم حذو النعل بالنعل لا تخطئون طريقهم ولا يخطئكم حتى لو أنه كان فيمن كان قبلكم من الأمم أمة يأكلون العذرة رطبة أو يابسة لأكلتموها)[2].

وعن علي بن أبي طالب قال ما كان رجل على رأي من البدعة فتركه إلا إلى ما هو شر منه)[3].

وما ذكره السلف من انعكاس مفاهيم أهل البدع حتى لم يعودوا يميزون بين السنة والبدعة. بل يعتبرون السنة بدعة والبدعة سنة قد حصل وظهر بين فرق

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص٥٨.
(٢) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص٧١.
(٣) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص٥٤.

المبتدعة التي ظهرت في صفوف المسلمين حتى إنهم إذا جاءهم من ينصحهم ثاروا عليه وأنكروا عليه واتهموه بالعظائم ولقبوه بألوان من الألقاب الشنيعة. وزعموا أنه جاء بدين ومذهب جديد. نعم إنه جديد بالنسبة لما ألفوه من البدع التي اتخذوها دينا. يصور ذلك الإمام عبدالرحمن بن بطة الحافظ في وصفه لأهل زمانه ووصفهم له إذا دعاهم لإحياء السنة وتغيير البدعة حيث قال: (عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين مني والأبعدين والعارفين والمنكرين، فإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر ما لقيت بها موافقا أو مخالفا، دعاني إلى متابعته على ما يقوله، وتصديق قوله والشهادة له. فإن كنت صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك - كما يفعله أهل هذا الزمان - سماني موافقا. وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سماني مخالفا، وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد، سماني خارجيا، وإن قرأت عليه حديثا في التوحيد سماني مشبها، وإن كان في الرؤية سماني سالميا، وإن كان في الإيمان سماني مرجئيا، وإن كان في الأعمال سماني قدريا، وإن كان في المعرفة سماني كراميا، وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر سماني ناصبيا، وإن كان في فضائل أهل البيت سماني رافضيا، وإن سكت عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما سماني ظاهريا، وإن أجبت بغيرهما سماني باطنيا، وإن أجبت بتأويل سماني أشعريا، وإن جحدتهما سماني معتزليا، وإن كان في السنن مثل القراءة سماني شافعيا، وإن كان في القنوت سماني حنفيا، وإن كان في القرآن سماني حنبليا، وإن ذكرت رجحان ما ذهب كل واحد إليه من ألاخبار إذ ليس في الحكم والحديث محاباة قالوا: طعن في تزكيتهم. ثم أعجب من ذلك أنهم يسمونني فيما يقرأون علي من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشتهون من هذه الأسامي، ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره، وإن داهنت جماعتهم أسخطت الله تبارك وتعالى ولن يغنوا عني من الله شيئا. وإني مستمسك بالكتاب والسنة وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو وهو الغفور الرحيم)[1].

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/٢٨ - ٢٩).

وهـذا الذي ذكره ابن بطة رحمه الله كلام عظيم يصور لنا حال المبتدعة وانعكـاس مفاهيمهم إلى درجة أنهم كلما دعوا إلى سنة تخالف ما هم عليه من البـدع، كالـوا لمن يدعـوهـم ألوانا وأنواعا من الألقاب والسباب والشتائم. قال تعالى: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ومـا أولئـك بالمؤمنـين. وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون. وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين. أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد. وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾[2].

المبحث السابع
عدم قبول شهادته وروايته

أجمع أهل العلم على عدم قبول شهادة المبتدع الذي يكفر ببدعته، وكذا الرواية عنه مثل فرق الباطنية وغلاة الجهمية وغلاة الفلاسفة الدهرية الذين وصل بهم الحال إلى انكار المعاد وسقوط الأمر والنهي ونحو ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة أن معتنقه كافر كفرا صريحا.

وإنـما اختلف أهـل العلم في قبول شهادة ورواية المبتدع الذي لا يكفر ببدعته. مع اتفاق عامة السلف على أن من استحل الكذب منهم ترد روايته إذ لا يؤمن جانبه من أن يضع أحاديث وينسبها إلى النبي صلى الله عليه وسلم تأييدا لبدعته ونحلته.

---

(١) سورة النور آية ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠.
(٢) سورة البقرة آية ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦.

روى ذلك عن الشافعي وغيره من السلف حيث قال: (أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية)[1]. وإنما رد الإمام الشافعي رحمه الله شهادة الخطابية ومن شابههم من الفرق الضالة لاستحلالهم الكذب وشهادة الزور في الانتصار لمذاهبهم المنحرفة ونحلهم المختلفة.

قال الإمام مسلم في مقدمة الصحيح:

واعلم وفقك الله تعالى أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها، وثقات الناقلين لها من المتهمين أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه والستارة في ناقليه، وأن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع[2]. وقد أوضح هذا الإجمال النووي رحمه الله حيث قال:

قال العلماء من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول: المبتدع الذي يكفر ببدعته لا تقبل روايته بالاتفاق. وأما الذي لا يكفر بها فاختلفوا في روايته فمنهم من ردها مطلقا لفسقه ولا ينفعه التأويل، ومنهم من قبلها مطلقا إذا لم يكن ممن يستحل الكذب في نصرة مذهبه أو لأهل مذهبه سواء كان داعية إلى بدعته أو غير داعية، وهذا محكي عن إمامنا الشافعي رحمه الله لقوله: أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة لكونهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم ومنهم من قال تقبل إذا لم يكن داعية إلى بدعته، ولا تقبل إذا كان داعية. وهذا مذهب كثيرين، أو الأكثر من العلماء وهو الأعدل والصحيح. وقال بعض أصحاب الشافعي رحمه الله اختلف أصحاب الشافعي في غير الداعية، واتفقوا على عدم قبول الداعية. وقال أبو حاتم بن حبان ـ بكسر الحاء ـ لا يجوز الاحتجاج بالداعية عند أئمتنا قاطبة لا خلاف بينهم في ذلك. وأما المذهب الأول فضعيف جدا، ففي الصحيحين وغيرهما من كتب أئمة الحديث، الاحتجاج بكثيرين من المبتدعة غير الدعاة، ولم يزل السلف والخلف على قبول الرواية منهم والاحتجاج بها والسماع منهم وإسماعهم من غير إنكار منهم والله أعلم[3].

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري (١/٧٥)، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٧٩)، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٤٧.

(٢) مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي (١/٦٠).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١/٦٠ ـ ٦١) وشرح السنة للبغوي (١/٢٢٨) والايمان لابن تيمية ص٣٦٩.

المبحث الثامن
الفتنـــة

إن أكثر الناس وقوعا في الفتن هم أهل البدع والأهواء فهم وراء كل فتنة وقعت بين المسلمين. فلقد افتتنوا في أنفسهم بما زين لهم الشيطان من بدع حتى استبـدلوا بها الدين الحق واندرست معالمه بينهم. وتجارت بهم تلك الفتن حتى صرفتهم عن صراط الله المستقيم. وأية فتنـة أعـظم من الإعـراض عن هدي الكتـاب والسنـة والانسياق وراء البدع المنكرة والخرافات المحدثة التي لم يقتصر ضررها على المبتدع فحسب بل تعدته إلى غيره من أفراد الأمة.

وقد حذر الله تعالى من الفتن وبين أن خطرها قد يعم لاسيما عندما يهمل المسلمـون الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر. قال الله تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾[1].

روى البخاري في صحيحه عن حذيفة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا. فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء. وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض. والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا. إلا ما أشرب من هواه)[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يمسي الرجل فيها مؤمنا ويصبح كافرا ويصبح مؤمنا ويمسي كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا)[3].

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٥.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٢٨/١ ـ ١٢٩).

(٣) أخرجه مسلم (١١٠/١) في الايمان عن أبي هريرة رضى الله عنه.

وقد أمرنا صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الفتن في الدعاء الذي ورد في التشهد الأخير. اللهم إني أعوذ بك من فتنة المحيا والمهات ومن فتنة المسيح الدجال[1].

وجاء في الدعاء الثابت عنه صلى الله عليه وسلم (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينا ما علمت الحياة خيرا لنا وتوفنا إذا كانت الوفاة خيرا لنا - إلى أن قال في آخر الدعاء - وأسألك لذة النظرة إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة)[2].

فانظر رحمك الله إلى هذا التحذير الشديد من الفتن. ومعلوم أن أكثر ما تنشأ الفتن عن البدع والإحداث في الدين. وهذه نماذج من الآثار الواردة عن السلف في خطورة الفتن الناشئة عن البدعة. فقد روى الدارمي وابن وضاح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير ويتخذها الناس سنة، فإذا غيّرت قالوا غيرت السنة، قال ومتى ذلك يا أبا عبدالرحمن؟ قال: إذا كثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم وكثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة)[3].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:

إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر. فيوشك أن يقول قائل ما للناس لا يتبعوني، وقد قرأت القرآن ما هم بمتبعي حتى ابتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة. وأحذركم زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم. وقد يقول المنافق كلمة الحق[4].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٢/٣١٧) حديث ٨٣٢.
(٢) رواه النسائي (٣/٥٤) ح: ١٣٠٥، وأحمد (٥/٩١).
(٣) رواه الدارمي (١/٦٤) وابن وضاح ص٣٤.
(٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة من سننه باب لزوم السنة (٥/١٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٨٩).

وجاء رجل إلى الإمام مالك فقال: (يا أبا عبدالله من أين أحرم قال من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد. فقال لا تفعل. قال إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة. فقال: وأي فتنة هذه؟ إنما هي أميال أزيدها. قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصّر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إني سمعت الله يقول: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)[1].

وهذه الفتنة التي ذكرها مالك رحمه الله تفسيرا للآية هي شأن أهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم، فإنهم يرون أن ما ذكره الله في كتابه وما سنه نبيه صلى الله عليه وسلم دون ما اهتدوا إليه بعقولهم[2].

المبحث التاسع

استـدراكـه على الشريعـة

إن المبتدع قد نصب نفسه مشرعا في دين الله لأن إحداث بدع لم يشرعها الله ورسوله هو بمثابة الاستدراك على الشريعة التي يسّلم المبتدع نفسه بأنها شريعة كاملة فلا تحتاج إلى زيادة أو نقصان. وقد تقدم لنا قول الإمام الشافعي: (من استحسن فقد شرع)[3].

فإن الله أنزل الكتاب وشرع الشرائع وبين الطريق للسالكين على أعلى غاية من البيان، الذي ليس بعده بيان قال تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين[4].

---

(١) الاعتصام (١/١٣٢) والآية من سورة النور آية ٦٣.
(٢) المصدر السابق (١/١٣٢).
(٣) تقدم تخريجه في اعتماد المبتدعة على العقل المجرد الفصل الثالث من الباب الثاني ص ١٤٠.
(٤) سورة النحل آية ٨٩.

فالرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ البلاغ المبين والصحابة رضى الله عنهم لم يدخروا وسعا في تبليغ الأمة الدين كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. كيف لا وهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، وخير قرن شهد له المصطفى صلى الله عليه وسلم بالخيرية والفضل. فما لم يثبت نقله عنهم، وأي طريق غير طريقهم. لاشك أنه ضلال وإحداث في الدين (ومالم يكن يؤمئذ دينا لا يكون اليوم دينا) كما صرح بذلك غير واحد من السلف.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن شيخ يجمع العصاة ليتوبهم بطريق سماع بعض الأغاني التي يجتمعون عليها ويرددونها مع ضرب الطبول. وزعموا أن الله قد هدى به كثيرا منهم. فأقلعوا عن معاصيهم وعادوا إلى رشدهم. فأجاب رحمه الله بإجابة شافية كافية بيّن فيها فساد هذا الطريق المبتدع، ثم بيّن الطريق الذي يجب سلوكه وهو الطريق الذي هدى الله به الكفار فضلا عن العصاة، ألا وهو طريق الالتزام بالكتاب والسنة وفق منهج سلف الأمة.

قال رحمه الله بعد مقدمة طويلة بيّن فيها كمال هذا الدين وأنه السبيل الذي لا يقبل الله سواه:

إذا عرف هذا فمعلوم أنما يهدي الله به الضالين ويرشد به الغاوين، ويتوب به على العاصين، لابد أن يكون فيما بعث الله به رسوله من الكتاب والسنة، وإلا فإنه لو كان ما بعث الله به الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لا يكفي في ذلك. لكان دين الرسول ناقصا محتاجا إلى تتمة. وينبغي أن يعلم أن الأعمال الصالحة أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب. والأعمال الفاسدة نهى الله عنها.

والعمل إذا اشتمل على مصلحة ومفسدة فإن الشارع حكيم. فإن غلبت مصلحته على مفسدته شرعه، وإن غلبت مفسدته على مصلحته لم يشرعه، بل نهى عنه كما قال تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع

(١) سورة البقرة اية ٢١٦.

للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾[1]. ولهذا حرمها الله تعالى بعد ذلك.

وهكذا ما يراه الناس من الأعمال مقربا إلى الله، ولم يشرعه الله ورسوله، فإنه لابد أن يكون ضرره أعظم من نفعه وإلا فلو كان نفعه أعظم غالبا على ضرره لم يهمله الشارع فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حكيم لا يهمل مصالح الدين، ولا يفوت المؤمنين ما يقربهم إلى رب العالمين.

إذا تبين هذا فنقول للسائل: إن الشيخ المذكور قصد أن يتوب المجتمعين عن الكبائر. فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكره من الطريق البدعي. يدل أن الشيخ جاهل بالطرق الشرعية التي بها تتويب العصاة أو عاجز عنها، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان بالطرق الشرعية التي أغناهم الله بها عن الطرق البدعية.

فلا يجوز أن يقال: إنه ليس في الطرق الشرعية التي بعث الله بها نبيه ما يتوب به العصاة، فإنه قد علم بالاضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان من لا يحصيه إلا الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية، التي ليس فيها ما ذكر من الاجتماع البدعي. بل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهم خير أولياء الله المتقين، من هذه الأمة ـ تابوا إلى الله تعالى بالطرق الشرعية، لا بهذه الطرق البدعية، وأمصار المسلمين وقراهم قديما وحديثا مملوءة ممن تاب إلى الله واتقاه، وفعل ما يحبه ويرضاه بالطرق الشرعية، لا بهذه الطرق البدعية.

فلا يمكن أن يقال: إن العصاة لا تمكن توبتهم إلا بهذه الطرق البدعية. بل قد يقال: إن في الشيوخ[2] من يكون جاهلا بالطرق الشرعية. عاجزا عنها، ليس عنده علم بالكتاب والسنة، وما يخاطب به الناس، و يسمعهم إياه مما يتوب الله به عليهم. فيعدل هذا الشيخ عن الطرق الشرعية إلى الطرق البدعية. إما مع

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٩.

(٢) يعني بالشيوخ شيوخ الطرق الصوفية الذين يتوبون أتباعهم بطريق استماع الأغاني المصحوبة بالمعازف.

حسن القصد. إن كان له دين وإما أن يكون غرضه التراس عليهم، وأخذ أموالهم بالباطل كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله﴾[1]. فلا يعدل أحد عن الطرق الشرعية إلى البدعية إلا لجهل، أو عجز أو غرض فاسد. وإلا فمعلوم أن سماع القرآن هو سماع النبيين والعارفين والمؤمنين. قال تعالى في النبيين: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح، ومن ذرية ابراهيم واسرائيل، وممن هدينا واجتبينا إذ تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا﴾[2]. وقال تعالى في أهل المعرفة: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾[3].

وقال تعالى في حق أهل العلم: ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجّدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾[4].

وقال في المؤمنين: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا﴾[5]. وقال تعالى: ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم. ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، ذلك هدى الله﴾[6].

وبهذا السماع هدى الله العباد، وأصلح لهم أمر المعاش والمعاد. وبه بعث الرسول صلى الله عليه وسلم، وبه امر المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. وعليه كان يجتمع السلف. كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة التوبة آية ٣٤.
(٢) سورة مريم آية ٥٨.
(٣) سورة المائدة آية ٨٣.
(٤) سورة الاسراء آية ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩.
(٥) سورة الأنفال آية ٢، ٣، ٤.
(٦) سورة الزمر آية ٢٣.

وسلم اذا اجتمعوا أمّروا رجلا منهم أن يقرأ وهم يستمعون. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لأبي موسى ذكرنا ربنا، فيقرأ أبو موسى وهم يستمعون. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه مر بأبي موسى الأشعري وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته. وقال: (لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود). وقال: (مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت استمع لقراءتك فقال: لو علمت أنك تسمعني لحبرته لك تحبيرا)[1]. أي لحسنته لك تحسينا. وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود: (اقرأ عليّ القرآن. فقال: أقرأ عليك القرآن وعليك أنزل؟! فقال: إني أحب أن أسمعه من غيري. قال: فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾. قال لي. حسبك، فنظرت إليه فإذا عيناه تذرفان بالبكاء)[2].

وعلى هذا السماع كانت تجتمع القرون التي أثنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال: (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[3].

ولم يكن في السلف الأول سماع يجتمع عليه أهل الخير إلا هذا، لا بالحجاز، ولا باليمن ولا بالشام، ولا بمصر والعراق وخراسان والمغرب، وإنما حدث السماع المبتدع بعد ذلك. وقد مدح الله أهل هذا السماع، المقبلين عليه وذم المعرضين عنه، وأخبر أنه سبب الرحمة. فقال تعالى: ﴿وإذا قريء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾[4].

وقال تعالى: ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل

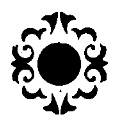
---

(١) صحيح البخاري مع الفتح في فضائل القرآن (٩/٩٢) ومسلم (١/٥٤٦).
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٩/٩٤) صحيح مسلم (١/٥٥١).
(٣) صحيح البخاري (٧/٣ ـ ٣٦٥٠)، صحيح مسلم (٤/١٩٦٤ ـ ١٩٦٥) حديث ٢٥٣٣ و ٢٥٣٦.
(٤) سورة الأعراف (٢٠٤).
(٥) سورة الفرقان آية (٧٣).

من الحق﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾[2]. وقال تعالى: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه﴾[4]. وقال تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾[5]. ومثل هذا في القرآن كثير يأمر الناس باتباع ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، ويأمرهم بسماع ذلك. وقد شرع الله تعالى السماع للمسلمين. في المغرب والعشاء، والفجر قال تعالى: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾[6].

وبهذا مدح عبدالله بن رواحة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالكافرين المضاجع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات إنما قال واقع[7]



(١) سورة الحديد آية (١٦).
(٢) سورة الأنفال آية (٢٣).
(٣) سورة المدثر آية ٤٩، ٥٠، ٥١.
(٤) سورة الكهف آية ٥٧.
(٥) سورة طه آية ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦.
(٦) سورة الاسراء آية ٧٨.
(٧) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٦٢٣/١١ ـ ٦٢٩).

المبحث العاشر
إلتباس الحق بالباطل على المبتدعة

إذا أغرق المرء في البدعة أظلم في وجهه كل شيء واختلطت عليه الأمور، والتبس عليه الحق بالباطل واستمرأ الجدال والخصومة ولو في توافه الأمور، واستعظم الصغير واستصغر العظيم، فتجدهم يستحلون قتال المسلمين وأعراضهم وأموالهم ويحرّمون قتل البعوض. فنعوذ بالله من مضلات الفتن. وقد يلتبس عليهم الأمر حتى يحلّ بهم ما حلّ بأهل الكتاب حينما التبس عليهم الحق بالباطل حتى اعتبروا خزعبلات أفكارهم دينا يتقربون به إلى الله، يدافعون عنه ويجادلون فيه ويلبِّسون به على الناس، ويصرفون به عن طريق الحق والرشاد ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾[١]. ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق، ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾[٢].

المبحث الحادي عشر
المبتدع يحمل وزره ووزر من تبعه

من أحدث في الدين ما ليس منه وشرّع فيه مالم يأذن به الله وقلده الناس في ذلك، فإنه يضاعف عليه الإثم والوزر جزاء وفاقا. لأن ضرره لم يقتصر على نفسه فحسب. بل تعداه إلى غيره ممن تبعه على ضلالته وقلده في بدعته فحمل وزره ومثل أوزار أتباعه من غير أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً. الأمر الذي يستحق به مضاعفة العقوبة. فهو ضال مضل. ضال في نفسه بما أحدثه من بدع

---

(١) سورة آل عمران آية ٧١.
(٢) سورة الحج آية ٨، ٩، ١٠.

جعلها شرعا ودينا زائدا على شرع الله، ومضل لغيره من ضعاف الإيمان. وقد جاء في ذلـك وعيد شديد ينـذر بسـوء العاقبة والعياذ بالله. قال تعالى: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾[1]. وقال تعالى: ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾[2].

وجاء في الحديث الصحيح: (من دعا إلى هدى فله مثل أجر من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزراهم شيء)[3].

وروى مسلم والنسائي وغيرهما من حديث جرير بن عبدالله رضى الله عنه وجاء فيه: (ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها)[4].

وروى البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل)[5].

وهذه النصوص تدل بمنطوقها على عظم وزر كل من سن مالا يرضاه الله تعالى أو أدخل في دين الله ما ليس منه بأي وجه من الوجوه، ولذلك فإن ابن آدم الأول وهو قابيل يتحمل وزر كل جريمة قتل تقع بين بني آدم لأنه هو أول من سنّ جريمة القتل. وكل مبتدع قد سنّ ما لا يرضاه الله ورسوله واتبعه الناس في ذلك فإنه يتحمل وزر ذلك كله في يوم يتبرأ المتبوع من التابع، ويدعو عليه بالويل والثبور وعظائم الأمور كما قال تعالى: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا

---

(١) سورة النحل آية ٢٥.

(٢) سورة النور آية ١١.

(٣) تقدم تخريجه في مبحث الإحداث في الدين في الفصل الأول من الباب الثاني ص ٨٧.

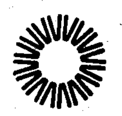
(٤) رواه مسلم (٢/٧٠٤ - ٧٠٥) والنسائي (٥/٧٥ - ٧٦) وأحمد (٤/٣٥٧ و٣٦٠)، والطبراني في الكبير ص١٣١٢ - ١٣١٣.

(٥) صحيح البخاري مع الفتح (٦/٣٦٤) وصحيح مسلم (٣/١٣٠٣).

منا، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾[1].
وقال تعالى: ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والأنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد﴾[4].

واسمع معي أخي وفقك الله ذلك الحوار والتخاصم الذي يجري بين التابعين والمتبوعين من أهل النار قد بينه الله تعالى ووضحه بأسلوب بليغ مؤثر يجعل كل ذي لب يكون على حذر وحيطة من متابعة أهل البدع والضلال والزيغ والإلحاد. قال الله تعالى: ﴿هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار، قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار. قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار. وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار. إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾[5].



(١) سورة البقرة آية ١٦٦، ١٦٧.
(٢) سورة فصلت آية ٢٥.
(٣) سورة فصلت آية ٢٩.
(٤) سورة غافر آية ٤٧، ٤٨.
(٥) سورة ص من الآية ٥٩ إلى الآية ٦٤.

المبحث الثاني عشر
المبتدع مستحق للعنة

قد دلت الأخبار الصحيحة على أن المحدث في الدين مستحق للعنة محروم من شفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم. بل ودلت الأخبار الصحيحة أيضا على أن من آوى محدثا فإنه مستحق للعنة أيضا. والمحدث يشمل المبتدعة والفسقة والعصاة وكل من ارتكب أمرا يستحق عليه عقوبة في الدنيا أو في الآخرة ومعنى إيوائه حمايته ومناصرته والحيلولة دون أخذ الحق منه. قال صلى الله عليه وسلم: (المدينة حرم ما بين عير إلى ثور من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا)[١].

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات. لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوى محدثا، ولعن الله من غيّر منار الأرض)[٢].

قال الشاطبي في الاعتصام:

وقد اشترك صاحب البدعة في اللعنة مع من كفر بعد إيمانه، وقد شهد أن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لا شك فيها، وجاءه الهدى من الله والبيان الشافي. وذلك قوله تعالى: ﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٣]. وقد أورد حديث الصحيفة المتقدم آنفا: (المدينة حرم . . . الخ. ثم قال: وهذا الحديث في سياق العموم فيشمل كل حدث أحدث فيها مما ينافي الشرع، والبدع من أقبح الحدث[٤].

---

(١) صحيح البخاري (١/٦٦١) باب فضائل المدينة طبعة اليمامة. صحيح مسلم بشرح النووي (١٤١/٩) باب فضائل المدينة.

(٢) صحيح مسلم (١٥٦٧/٣) حديث ١٩٧٨.

(٣) سورة آل عمران آية ٨٦.

(٤) الاعتصام للشاطبي (١/٧١ - ٧٢).

المبحث الثالث عشر
ذود المبتدعة عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم

من أعظم دلائل خطورة البدعة أن أصحابها يذادون عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم. فقد روى البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا فرطكم[1]. على الحوض، ليرفعن رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول: أي رب ـ أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقا لمن بدل بعدي)[2].

قال الشاطبي بعد أن أورد هذا الحديث من رواية الموطأ. (حمله جماعة من العلماء على أنهم أهل البدع، وحمله آخرون على المرتدين عن الإسلام. والذي يدل على الأول ما خرجه خيثمة بن سليمان عن يزيد الرقاشي قال: سألت أنس بن مالك فقلت: إن هاهنا قوما يشهدون علينا بالكفر والشرك ويكذبون بالحوض والشفاعة فهل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ذلك شيئا؟ قال نعم سمعت رسول الله يقول: (بين العبد والكفر ـ أو الشرك ـ ترك الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك. وحوضي كما بين أيلة إلى مكة أباريقه كنجوم السماء ـ أو قال كعدد نجوم السماء ـ له ميزابان من الجنة كلما نضب أمدّاه، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا وسيرده أقوام ذابلة شفاههم فلا يطعمون منه قطرة واحدة من كذب به اليوم لم يصب منه الشراب يومئذ[3].

فهذا الحديث دل على أنهم من أهل القبلة. فنسبتهم أهل الإسلام إلى الكفر من أوصاف أهل الاعتزال والخوارج وغيرهم. مع ما في حديث الموطأ من قول النبي

---

(١) فرط بفتحتين المتقدم في طلب الماء يهيء الدلاء والأرشاء انظر المصباح المنير (٢/٥٦٣) والمراد أن النبي صلى الله عليه وسلم يسبق أمته على الحوض.

(٢) تقدم تخريجه في مبحث حكم الاحداث في الدين الفصل الأول من الباب الثاني ص٩٠.

(٣) تقدم تخريجه في مبحث حكم الإحداث في الدين الفصل الأول من الباب الثاني ص٩٠.

صلى الله عليه وسلم (ألا هلم)[1] لأنه عرفهم بالغرة والتحجيل الذي جعله من خصائص أمته، وإلا فلو لم يكونوا من الأمة لم يعرفهم بالعلامة المذكورة[2].

المبحث الرابع عشر
المبتدع معرض عن ذكر الله

لقد شرع الله تبارك وتعالى لنا أذكارا في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم. وأمرنا بتعاهدها والمحافظة عليها آناء الليل وأطراف النهار. منها ما هو مقيّد. كأذكار الصباح والمساء، والأذكار التي تقال دبر كل صلاة وأذكار النوم والسفر والتكبير في العيدين ونحو ذلك. ومنها ما هو مطلق لم يحدد بزمان أو مكان، وقد أمر الله بملازمة الذكر فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا، وسبحوه بكرة وأصيلا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾[4].

والآيات كثيرة في هذا الباب. ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يزال لسانك رطبا بذكر الله)[5].

وأحاديث كثيرة ليس من غرضنا بسط القول فيها هاهنا. والمبتدعة بعيدون كل البعد ومعرضون كل الإعراض عن ذكر الله تعالى. إما بانشغالهم وافتتانهم بطقوسهم وبدعهم التي أحدثوها في دين الله، كإقامة الأعياد البدعية والموالد

---

(١) الموطأ للإمام مالك (١/٢٨ ـ ٣٠) كتاب الطهارة ـ باب جامع الوضوء.
(٢) الاعتصام للشاطبي (١/٧٢).
(٣) سورة الأحزاب آية ٤١، ٤٢.
(٤) سورة الأعراف آية ٢٠٥.
(٥) أخرجه الترمذي (٥/٤٥٨) باب ما جاء في فضل الذكر وأخرجه أحمد (٤/١٨٨) وصححه ابن حبان (٢٣١٧). والحاكم (١/٤٩٥) ووافقه الذهبي وهو كما قالوا.

والاحتفالات في مناسبات كثيرة شرعوا لأنفسهم فيها مالم يأذن به الله ناهيك عما فيها من معاص ومخالفات للشريعة ومفاسد لا يعلمها إلا الله.

وإما باستبدالهم الأذكار المشروعة بأذكار اخترعوها من عند أنفسهم كترديدهم لفظ الجلالة بصوت جماعي أو ترديدهم لفظة (حي، حي) أو (هو، هو) أو نحو ذلك من الهذيان. ولم يقف الأمر عند هذا الحد. بل تحول الذكر عند كثير من المسلمين اليوم إلى رقص وغناء وطبول وزمور ومعازف، يضاف إلى ذلك اختلاط الرجال بالنساء. فيا عجبا من أمة انعكست مفاهيمها حتى جعلت الغناء والموسيقى ذكرا لله. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

والإعراض عن ذكر الله من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى قسوة القلب، وتوقع في سخط الله تعالى. قال تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمي. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾[2].

وفي صحيح البخاري وغيره: عن أبي واقد الليثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل إثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا. فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه)[3].

---

(١) سورة الحديد آية ١٦.
(٢) سورة طه آية ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦.
(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١٥٦/١) كتاب العلم. ومسند أحمد (٢١٩/٥).

ولو نظرنا إلى أهل البدع وما هم فيه من غي وضلال لوجدناهم أكثر الناس إعراضا عن ذكر الله الحق. وإذا سمعوا رقصا وغناء أقبلوا عليه وانصتوا إليه. قال تعالى: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة﴾[١]. وقال تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة. وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾[٢].

وقد بلغ الحال ببعض المبتدعة إلى أن يعتقدوا أن ما أحدثوه من أذكار بدعية أفضل من تلاوة القرآن بل وأفضل من كل شيء كزعم من زعم أن اسم الله الأعظم هو حرف الهاء من هو[٣]. وقد توصل إلى هذه النتيجة الفاسدة بعد عملية حسابية رياضية إنتهى منها إلى هذه الخرافة. وكقول القائل إن صلاة الفاتح أفضل من قراءة القرآن بستة آلاف مرة[٤].

---

(١) سورة المدثر آية ٤٩، ٥٠، ٥١.

(٢) سورة الزمر آية ٤٥.

(٣) جاء في كتاب ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها لأحمد عبد الجواد الرجل المبتدع الذي ليس بمحمود ولا جواد في ص٢٩١ ما نصه (هو). (وإذا حذفت الألف ولامي الملك والملكوت فيبقى (هـ) ها الهوية الذاتية، وقد ألحق بها (الواو) مع ضم الهاء واشباع مدها بالدعاء فتقول (يا هو) وهو اسم ضمير للغائب الحاضر.

واعلم أن الضمير (هو) هو أعرف المعارف السبعة قائم مقام ضمير للغائب الحاضر.

واعلم أن من السادة العارفين من قال إن اسم الله الأعظم في أحد عشر اسما من أسماء الله تعالى، وقد رمزوا لكل حرفا من أحرف النور وهي تجمع العناصر الأربعة.

واعلم أن اسم (الله) أحد عشر حرفا (ا. ل. ف) + (ل . ا. م) + (ل. ا.م) + (هـ. ا) = ١١، واسمه تعالى (هو) أحد عشر حرفا بالجمل.

فإذا علمت أن اسماء الله الحسنى لا تتقدم على اسم (الله)، وأن الضمير (هو) يتقدم على اسم الله وعلى الأسماء كلها.

فاعلم إنك تحيا بـ (هـو). فراقب وانتبه إذا تنفست الهواء فإنما يدخل صدرك بـ (يا) الاستعانة. وإذا خرج الهواء يخرج بـ (هو) فحرك قلبك وأدع الله وقل يا الله ياهو) فانظر رحمك الله إلى هذه التكلفات والتعسفات التي اخترعوها من عند أنفسهم، ومن زبالات عقولهم الفاسدة، هل تعبدنا الله بها؟ وهل تتفق مع الذكر الحق الذي شرعه الله في كتابه؟ أو بينه رسوله صلى الله عليه وسلم وهل نحتاج لمثل هذا الهذيان إذا علمنا بيقين أن الله قد أكمل لنا الدين.

وإننا نقول لهذا المؤلف وأمثاله من المبتدعة (إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل).

(٤) جاء في كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني لعلي حرازم ابن=

وهـذه دعـوة خطيرة إلى صرف الناس عن القرآن الكريم الذي هو خير الكلام كما قال صلى الله عليه وسلم: (فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)[1].

فانظر رحمك الله إلى البدع كيف تفعل بأصحابها حتى إنها لتصرفهم عن كل خير يقرب إلى الله سبحانه وتعالى وتزهدهم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

= العربي ما نصه: (ثم قال سيدنا رضى الله عنه وأما صلاة الفاتح لما أغلق.. الخ .. فإني سألته صلى الله عليه وسلم عنها فأخبرني أولا أنها بستمائة ألف صلاة، فقلت له هل في جميع تلك الصلوات أجر من صلى بصلاة مفردة؟ فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه نعم يحصل في كل مرة منها أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة (وسألته) صلى الله عليه وسلم هل يقوم منها طائر واحد على الحد المذكور في الحديث لكل صلاة وهو الطائر الذي له سبعون ألف جناح إلى آخر الحديث. أم يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة وثواب تسبيحهم للمصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم، بل يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة في كل مرة ثم قال رضى الله عنه فسألته صلى الله عليه وسلم عن حديث إن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مرة تعدل ثواب أربعمائة غزوة كل غزوة تعدل أربعمائة حجة هل صحيح أم لا فقال صلى الله عليه وسلم بل صحيح. فسألته صلى الله عليه وسلم عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما اغلق إلخ مرة أربعمائة غزوة أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة أو كل صلاة على انفرادها أربعمائة غزوة فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه أن صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة وكل صلاة من الستمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة، ثم قال بعده صلى الله عليه وسلم إن من صلى بها أي الفاتح لما أغلق. ألخ مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك ستمائة ألف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفظ الذاكر بها أي كأنه صلى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع صلاة المصلين عموما ملكا وجنا وإنسا وكل صلاة بأربعمائة غزوة وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات ومحو عشر سيئات، ورفع عشر درجات وإن الله يصلي عليه وملائكته بكل صلاة عشر انظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني (١/١٣٦ - ١٣٧).

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٣/٢٤٩) حديث رقم ٧٢٧٧، وصحيح مسلم (٢/٥٩٢ - ٥٩٣).

المبحث الخامس عشر
كتمـــان الحـــق

من أبـرز سمات المبتـدعة أنهم يكتمون الحق ويخفونه على أتابعهم وذلك لعلمهم أن الحق يخالف ماهم عليه من البدع والخرافات، وكتمان المبتدع الحق هو بإخفائه إياه. . إما بتجاهله مع علمه به، وإما بتحريفه الكلم عن مواضعه وفي كلا الحالين تجد أن المبتدع قد ضاهى أهل الكتاب في كتمان الحق بعد تبينه أو تأويله تبعا لهواه قال الله تعالى في وصفهم: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾[1].

وقال تعالى: ﴿افتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

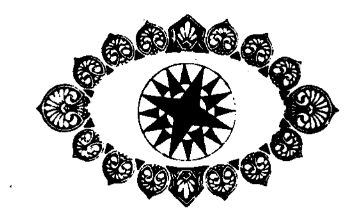
(من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)[4].

فانـظر رحمـك الله كيف كان المبتـدع بكتـمانه الحق مع علمه به مشاركا ومضاهيا للكفار الذين توعدهم الله في هذه الآيات. وذلك لأنه يخفي معالم الحق. ويضل من قلده عن سواء السبيل. وقد كنت يوما من الأيام في نقاش مع أحد

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٦ ـ ١٤٧.
(٢) سورة البقرة آية ٧٥.
(٣) سورة البقرة آية ١٥٩.
(٤) سبق تخريجه في مبحث الإحداث في الدين، الفصل الأول، الباب الثاني ص٨٨.

أصحاب الطرق الصوفية في مفهوم الأولياء. لأن الأولياء عندهم طائفة معينة تملك الضر والنفع والخير والشر. فقال لي ألا تسمع قول الله عز وجل ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنـون﴾. ولم يقـرأ ما بعـدها لعلمه إنها تنقض مفهومه، فقلت له أكمل الآية. من هم هؤلاء الأولياء؟ فلم يجب ثم قلت له قد بينهم الله بقوله ﴿الذين آمنوا وكانو يتقون﴾، فكل من اتق الله بإمتثال أوامره واجتناب نواهيه فهو ولي الله. فهل هناك منزلة أعلى من منزلة التقوى؟ فوقف حمار الشيخ في العقبة. وأخذ يراوغ بتغيير مسار الحديث. وهكذا نجد نفاة الصفات يستـدلون بقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ ويهملون بقية الآية: ﴿وهو السميع البصير﴾. ونجد أصحاب التوسل البدعي يستدلون باستسقاء عمر رضى الله عنه بالعباس رضى الله عنه بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى بدعوى أنه استسقاء بذات العباس. ويكتمون عن اتباعهم ألفاظ الحديث التي تدل وتـوضـح بأن المقـام مقام دعاء. وهكذا نجدهم يستدلون بالنصوص على خرافاتهم وبدعهم بالأحاديث الموضوعة والأساطير المختلقة والرؤى المنامية.



المبحث السادس عشر
المبتدع يشوه ويخفي معالم الدين

من الآثار الخطيرة للبدع أن المبتدع ببدعته يشوه جمال الدين ويخفي معالمه.

يشوه جمال الدين بما تشتمل عليه بدعته من خرافات وخزعبلات تجعل أعداء الإسلام والمسلمين يسخرون من الدين الإسلامي ظنا منهم بأن تلك الخزعبلات من الدين وهي ليست من الدين في شيء خذ مثلا دروشة المتصوفة وتسكعهم في الطرقات وكونهم يعيشون عالة على الناس وكون شيوخهم يستغلون أتباعهم ويأكلون أموالهم بالباطل إلى درجة أن المريد يخصص جزء من ماله وقفا على الشيخ وكذلك ينحنيَ أمامه بل وينطرح بين يديه حتى إنهم يقولون المريد أمام شيخه يجب أن يكون كالميت بين يدي المغسِّل. الأمر الذي اندرس به الدين، وذهبت معالمه، وتشوهت حقيقته، مما كان له أكبر الأثر في صد الناس عنه ونيلهم منه. قال الشيخ شلتوت في كتابه البدع ومضارها: (أما ما يصيب الدين نفسه من الابتداع فهو خفاء كثير من أحكامه، وتشويه جماله:

والأول: سبب من أسباب اندراس الشرائع.

والثاني: سبب من أسباب الإعراض عنها وعدم احترامها ويتجلى هذا في بدع أهل الطرق وغيرها مما يصوّر الدين تصويرا يأباه ما للدين من جمال وجلال، وكثيرا ما تنتشر البدع وتأخذ مكانة الدين في النفوس، وتصبح هي الدين المتبع عند الناس. وبقدر ذيوعها يكون اندراس الدين وهذا هو الطريق الذي اندرست به الشرائع السابقة وانحرف عنها المتدينون.

ولهذا نعى القرآن الكريم على من حرفوا الكلم عن مواضعه وأخفوا كثيرا من الأحكام[1].

---

(١) البدعة أسبابها ومضارها لشلتوت ص٥٧ ـ ٥٨.

المبحث السابع عشر
تفريق المبتدعة للأمة

من الأخطار الظاهرة البيّنة لكل ذي عقل سليم أن البدع تفرق الأمة وتشتت شملها وتمزق كيانها حتى تصير شيعا وأحزابا يعادي بعضها بعضا ويقتل بعضهم بعضا ويستحل بعضهم دماء بعض. وتنتشر بينهم العداوة والبغضاء، ويجد أعداء الإسلام منفذا وثغرة للقضاء عليهم بسبب هذا التفرق.

والتفرق نتيجة حتمية لهذه البدع التي ظهرت بين المسلمين وذلك أن أهل البدعة ينتصرون لبدعهم ومحدثاتهم الأمر الذي يحتم وجود من يقوم بالانتصار للسنة والذّب عنها وتخليصها من شوائب البدع والخرافات. ومن ثم ينشأ الصراع بين الأمة حتى وصل بهم الحال إلى أن يكفر بعضهم بعضا، ويضرب بعضهم رقاب بعض بغير حق.

والآيات القرآنية مليئة بذم التفرق. [1]

والاختلاف الذي يسرع بالفناء إلى الأمم ويقوض أركانها. وأكثر ما يقع هذا الاختلاف نتيجة للبدع والمحدثات، وذلك أن البدع تنخر في عظام الأمة شيئا فشيئا إلى أن ينهار البناء مالم تستأصل هذه الآفة في وقت مبكر.

متى يبلغ البنيان يوما تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

قال الشاطبي رحمه الله بعد أن أورد الآيات والأحاديث الدالة على ذم التفرق. (إنما هو الذي يصير الفرقة الواحدة فرقا والشيعة الواحدة شيعا).

قال بعض العلماء صاروا فرقا لاتباع أهوائهم وبمفارقة الدين تشتت أهواؤهم فافترقوا، وهو قوله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾[2] ثم برأه

---

(١) قد أوردنا النصوص التي تذم التفرق والاختلاف فيما مضى في باب كمال هذا الدين، مبحث ذم التفرق والاختلاف.

(٢) الأنعام آية ١٥٩.

الله منهم بقوله ﴿لست منهم في شيء﴾. وهم أصحاب البدع وأصحاب الضلالات، والكلام فيما لم يأذن الله فيه ولا رسوله.

قال - ووجدنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده قد اختلفوا في أحكام الدين ولم يتفرقوا، ولا صاروا شيعا لأنهم لم يفارقوا الدين، وإنما اختلفوا فيما أذن لهم فيه بالاجتهاد، والاستنباط من الكتاب والسنة فيما لم يجدوا فيه نصا، واختلفت في ذلك أقوالهم فصاروا محمودين، لأنهم اجتهدوا فيما أمروا به كاختلاف أبي بكر وعمر وعلي وزيد في الجدة مع الأم. وقول عمر وعلي في أمهات الأولاد، وخلافهم في الفريضة المشتركة، وخلافهم في الطلاق قبل النكاح، وفي البيوع وغير ذلك، مما اختلفوا فيه من الفروع. ومع هذا كانوا أهل مودة وتناصح. وأخوة الإسلام فيما بينهم قائمة فلما حدثت الأهواء المردية، التي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وظهرت العداوات وتحزّب أهلها فصاروا شيعا - دل على أنه إنما حدث ذلك من المسائل المحدثة التي ألقاها الشيطان في قلوب وعلى أفواه أوليائه. قال كل مسألة حدثت في الإسلام واختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء. قال فيجب على كل ذي عقل ودين أن يجتنبها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ فإذا اختلفوا وتعاطوا ذلك، كان لحدث أحدثوه من اتباع الهوى هذا ما قاله وهو ظاهر في أن الإسلام يدعو إلى الألفة والتحاب والتراحم والتعاطف، فكل رأي أدى إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال أهل البدعة والفرقة[2].

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/٢٣١ - ٢٣٣) بتصرف.
(٢) الاستقامة لابن تيمية (١/٤٢).

المبحث الثامن عشر
المبتدع تجوز غيبته كالفاسق تحذيرا للأمة

من المعلوم أن غيبة المسلم محرمة على أخيه المسلم، والغيبة معناها قد بينه النبي صلى الله عليه وسلم. من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتـدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: (ذكرك أخاك بما يكره، قيل. أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد إغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته)(١).

وقد حذر الله تبارك وتعالى من الغيبة تحذيرا شديدا وشبه من يغتاب أخاه المسلم بمن يأكل لحمه بعد موته. قال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾(٢). هذا إذا كان مسلما ملتزما بآداب الإسلام بعيدا عن المعاصي والفسوق والبدع والمحدثات. أما إذا اتصف بشيء من ذلك ولم يجد معه النصح والتوجيه فعندها لابد من بيان حاله للناس ليحذروا منه ولا يغـتروا به لا على سبيل الشماته والتشهير. فقد روى البخاري ومسلم: عن عائشة رضى الله عنها. أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة. فلما جلس تطلّق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه. فلما انطلق الرجل قالت عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا ثم تطلّقت في وجهه وانبسطت إليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة متى عهدتيني فاحشا؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شرّه)(٣).

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠١) رقم ٢٥٨٩، وأبو داود (٤/ ٢٦٩) رقم ٤٨٧٤، والترمذي (٤/ ٣٢٩) وأحمد (٢/ ٢٣٠).

(٢) سورة الحجرات آية ١٢.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١٠/ ٤٥٢، ٤٧١)، وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٠٢).

قال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث:

ويستنبط منه أن المجاهر بالفسق والشر لا يكون ما يذكر عنه من ذلك من ورائه من الغيبة المذمومة. قال العلماء: تباح الغيبة في كل غرض صحيح شرعا حيث يتعين طريقا إلى الوصول إليه بها. كالتظلم، والاستعانة على تغيير المنكر، والاستفتاء، والمحاكمة، والتحذير من الشر، ويدخل فيه تجريح الرواة والشهود. وإعلام من له ولاية عامة بسيرة من هو تحت يده. وجواب الاستشارة في نكاح أو عقد من العقود وكذا من رأى متفقها يتردد على مبتدع أو فاسق ويخاف عليه الاقتداء به.

وممن تجوز غيبتهم من يتجاهر بالفسق أو الظلم أو البدعة(١).

وروى البخاري وغيره عن زيد بن أرقم قال: كنت مع عمي، فسمعت عبدالله بن أُبي بن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، فذكر عمي للنبي صلى الله عليه وسلم. فدعاني فحدثته. فأرسل إلى عبدالله بن ابي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، وكذبني النبي صلى الله عليه وسلم وصدقهم، فأصابني غم لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي، وقال عمي: ما أردت إلا أن كذّبك النبي صلى الله عليه وسلم ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ فأرسل إليَّ النبي صلى الله عليه وسلم فقرأها وقال: (إن الله قد صدقك)(٢).

وقال النووي رحمه الله:

اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها. وهي ستة أسباب. وذكر الأسباب إلى أن قال: الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه:

---

(١) انظر فتح الباري (١٠/٤٧٢).
(٢) صحيح البخاري (٤/١٨٦١).

منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز باجماع المسلمين بل واجب للحاجة.

ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو إيداعه أو معاملته، أو غير ذلك أو مجاورته، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله بل يذكر المساوىء التي فيه بنية النصيحة.

ومنها إذا رأى متفقها يتردد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم. وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه.

وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبّس الشيطان عليه ذلك ويخيّل إليه أنه نصيحة فليتفطّن لذلك.

ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إما بأن لا يكون صالحا لها. وإما بأن يكون فاسقا أو مغفلا، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله، ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة أموال الناس، وأخذ المكوس وجباية الأموال ظلما، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب إلا ان يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه[1].

وسئل ابن الصلاح هل تجوز غيبة المبتدع ابتداء وانتهاء والمحدث المجرَّح تجوز غيبته ابتداء وانتهاء، وهل تجوز غيبة الفاسق المتظاهر بفسقه كشارب الخمر وغيره فأجاب رحمه الله:

(تجوز غيبة المبتدع، بل ذكره بما هو عليه مطلقا غائبا وحاضرا. إذا كان

---

(١) انظر رياض الصالحين ص٥٨١ ـ ٥٨٢ تحقيق عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق.

المقصود التنبيه على حاله ليحذر. على هذا مضى السلف الصالحون. أو من فعل ذلك منهم، ثم يجوز ذلك ابتداء يبتديء به وإن لم يسأل ويجوز عند جريان مسبب من سؤال وغيره. وهكذا الحال في المحدث والمصنف بما يسقط أهليته من كذب وغيره، فقد كان بعض الأئمة يطوف بالكعبة ويقول فلان ضعيف. فلان كذاب. ويرى ذلك من القربات. وكذلك غيبة الفاسق تجوز على وجه التنبيه لمن يجهل حاله سواء كان متظاهرا أو غير متظاهر[1].

ومما تقدم من الأحاديث وأقوال السلف نستنتج جواز غيبة أهل البدع والأهواء والفسقة والعصاة. إذا كان المراد بذلك بيان حالهم للناس ليأخذوا الحيطة من أمرهم حتى لا يقعوا في شباكهم وينخدعوا بهم ويخطيء من عدّ هذا النوع من الغيبة المحرمة.

وقد لاحظنا في هذا العصر أنك إذا بينت أحوال المبتدعة للناس أنكر عليك بعض من ينتمي إلى العلم بغير فقه ووعي بدعوى أنك تغتاب الناس، وحمل عليك وقال لك (دع الخلق للخالق). ولا سيما عندما تبين بعض الملاحظات على مناهج بعض الجماعات الحزبية القائمة في هذا العصر فيشنون عليك الحملات المغرضة والدعاوى المضللة. وإني أقول لهم ما هكذا يا سعد تورد الإبل. عليكم أن تفرقوا بين الغيبة المحرمة وبين تنبيه الناس على خطر المبتدعة. شتان بين مشرق ومغرب. فالذي يحمل هذه الحملات ليس عنده فرقان بين الحق والباطل ولا بين الحلال والحرام. بل إنه يجهل غاية الجهل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي هي وظيفة كل مسلم يجب عليه أن يقوم بها خير قيام بقدر ما يستطيع وإن إنكار البدع وإظهار أمرها للناس وفضح أهلها لاسيما الدعاة منهم والمؤلفين، هو من أعظم الواجبات على دعاة الإسلام، فإنهم عندما قصروا في هذا الواجب انتشرت البدع وعمت الفتن وكثرت الفرقة وظهر التشاحن والتناحر وتشتت شمل الأمة. والعلماء والدعاة ساكتون عن بيان الحق. مجاملة لأهل البدع أو خوفا منهم ومجاراة لهم. فإلى متى هذه الغفلة؟ وماذا ننتظر بعد أن استفحلت البدع والخرافات في مشارق الأرض ومغاربها في عالمنا الإسلامي فلا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) انظر فتاوي ابن الصلاح (٢/٤٩٧).

الفصل الخامس
الشبه التي يتعلق بها المبتدعة والرد عليها

تمهيد:

إذا علم أن القرآن والسنة قد دلا دلالة واضحة على تحريم البدع والمحدثات في الدين دون استثناء لأية بدعة طالما أحدثها صاحبها بقصد التقرب إلى الله بها ومضاهاة الشريعة فما الذي يتعلق به المبتدعة بعد ظهور الحق وتبينه لكل ذي عينين؟ وما هي الشبه والأدلة التي تشبث بها المبتلون بحب هذه البدع؟ والجواب على ذلك أن نقول إن هذه الشبه لا تخرج عن أمرين:

إما نصوصا صحيحة يحرفون فيها الكلم عن مواضعه ويصرفونها عن معانيها الحقيقية. وإما أحاديث واهية أو موضوعة شحنوا بها كتبهم ونسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبا وزورا.

وإليك بعض هذه الشبه والرد عليها وذلك في أربعة مباحث:

المبحث الأول: في تعلقهم بحديث من سن في الإسلام سنة حسنة.

المبحث الثاني: في تعلقهم بقول عمر رضى الله عنه نعمت البدعة هذه.

المبحث الثالث: في تعلقهم بأثر ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن.

المبحث الرابع: في تعلقهم بقوله تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾.

المبحث الأول

في الشبهة الأولى وهي تعلقهم بحديث من سن في الإسلام سنة حسنة

حيث فسروا من سن سنة حسنة أي من ابتدع بدعة حسنة فقلبوا معنى الحديث وإليك الحديث بطوله مع بيان شبهتهم فيه ومناقشتها.

عن جرير بن عبدالله رضى الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار. قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النّمار[1]. أو العباء[2]. متقلدي السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعّر[3] وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى. ثم خطب فقال: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ الآية. ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة. قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل[4]. كأنه مُذْهَبةٌ[5]. فقال رسول الله صلى

---

(١) مجتابي النمار. نصب على الحالية. أي لابسيها خارقين أوساطها مقورين يقال أجتبت القميص أي دخلت فيه. والنمار جمع نمرة، وهي ثياب صوف فيها تنمير. وقيل هي كل شملة من مآزر الأعراب. كأنها اختيرت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض. أراد أنه جاءه قوم لابسي أزر مخططة من صوف.

(٢) العباءة بالمد عباءة وعباية، لغتان، نوع من الأكسية.

(٣) فتمعَّر. أي تغير.

(٤) يتهلل. أي يستنير فرحا وسرورا.

(٥) مذهبة، ضبطوه بوجهين. أحدهما، وهو المشهور، وبه جزم القاضي والجمهور. مذهبة. والثاني، ولم يذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين غيره. مدهنه. وقال القاضي عياض. في المشارق وغيره من الأئمة. هذا تصحيف. وذكر القاضي وجهين في تفسيره أحدهما معناه فضة مذهبة، فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه، والثاني شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود. وهي شيء =

الله عليه وسلم: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[1].

إن مثل من نظر إلى هذا الحديث دون مناسبته التي أوردناها كمثل من قرأ قوله تعالى: (فويل للمصلين) ولم يكمل ما بعدها حتى يتم معناها، لأنه يكون بفعله هذا عكس الحقائق وقلب الموازين، فإن الله لم يتوعد المصلين. كيف. وهو الذي أمر بإقامة الصلاة؟ لكنه توعد صنفا من المصلين، وهم الذين وصفهم بقوله: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يرآءون ويمنعون الماعون﴾[2]. أو كمن قرأ ﴿لا تقربوا الصلاة﴾ ولم يتم الآية حيث يتضح المعنى المراد وهو قوله تعالى: ﴿وأنتم سكارى﴾[3] من هذه الأمثلة وغيرها في الكتاب والسنة كثير.

فقد تمسك المبتدعون بقول النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة، ومن سن سنة سيئة، وفرعوا على ذلك الفهم أن البدع قسمان: بدعة حسنة وبدعة قبيحة. ففسروا السنة هنا بالبدعة، وكأن معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن أي أحدث وابتدع وهذا مردود من وجوه:

الوجه الأول: سبب ورود الحديث:

المبتدعون كعادتهم أخذوا بآخر الحديث وحملوه مالا يحتمل وتجاهلوا السبب الذي من أجله ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث فأخذوا ما توهموا أن لهم فيه وجه استدلال، وإن كان باطلا في الواقع وتركوا بقية الحديث لأنهم لو أوردوه لكان حجة عليهم. وبتأمل الحديث بكامله يتضح جليا لكل ذي لب

= كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوطا مذهبة يرى بعضها أثر بعض. (راجع في هذه الكلمات وما تقدمها في هذا الحديث تعليق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي على صحيح مسلم (٢/٧٠٥).

(١) رواه مسلم (٢/٧٠٤ ـ ٧٠٥) والنسائي (٥/٧٥ ـ ٧٦) وأحمد (٤/٣٥٧) و٣٦٠ والطبراني في الكبير (٢٣١٢ ـ ٢٣١٣).

(٢) سورة الماعون آية ٥، ٦، ٧.

(٣) النساء آية ٤٣.

وعقل سليم أن سبب ورود الحديث هو حاجة هؤلاء القوم. لذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالصدقة. فبادر هذا الصحابي بصدقته وتبعه الناس في ذلك على أمر أمره به النبي صلى الله عليه وسلم فضلا عما ورد في القرآن من الحث على الصدقة. فهذه القصة نفسها تنقض مفهومهم الخاطيء.

الوجه الثاني: ما تقرر من الفرق بين السنة والبدعة. من أن السنة هي الطريق المتبع، والبدعة هي الإحداث في الدين. هذا المفهوم هو الذي عليه علماء الأمة خلفا عن سلف، ولم ينقل عن أحد منهم أنه فسر السنة الحسنة بالبدعة التي يحدثها الناس من عند أنفسهم ولم ينزل الله بها من سلطان.

الوجه الثالث: فهم السلف قاطبة من قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة أي أحيا سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم حين يميتها الناس ويتبعه الناس في هذا الإحياء الذي دعاهم إليه. يوضح ذلك حديث أبي هريرة رضى الله عنه الذي رواه مسلم فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيء)[1]. فإن قوله من دعا إلى هدى تفسير لما أجمل في قوله من سن سنة حسنة وبالمقابل (من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا).

وقد دلت الأحاديث على أن كل بدعة ضلالة بدون استثناء لأي نوع من البدع، فمن دعا إلى بدعة محدثة في الدين فقد دعا إلى ضلالة سواء سماها بدعة حسنة أو لم يسمها كذلك. فإن سياق الحديث يدحض هذا التفسير الباطل الذي تفهمه المبتدعة من قوله صلى الله عليه وسلم (من سن في الإسلام سنة حسنة حيث جعلوا من سن بمعنى من ابتدع. ثم خصوا به حديث كل بدعة ضلالة. وهذا تخصيص لا يدل عليه دليل لا من اللغة ولا من الشرع، ولا من العرف، بل هو محض افتراء اخترعوه من عند أنفسهم، فشرعوا به مالم يأذن به الله من البدع والضلالات. فإن كل ما فعله هذا الصحابي الجليل إنما هو ابتداؤه بالصدقة

---

(١) سبق تخريجه في حكم الاحداث في الدين الفصل الأول، الباب الثاني ص٨٧.

في تلك الحادثة بطلب من النبي صلى الله عليه وسلم وترغيب منه. إضافة إلى أن الصدقة مشروعة بالنص. فهو لم يفعل بدعة وإنما فعل سنة قد جاء الحث عليها في القرآن والسنة. ولذا فإن الحق الذي لا مرية فيه أن السنة الحسنة هي إحياء أمر مشروع لم يعهد العمل به بين الناس لتركهم السنن، ففي عصرنا الحاضر الذي أميتت فيه السنن وأحييت فيه البدع. لو أن طالب علم دعا الناس إلى العمل بسنة أميتت كما لو سافر في سيارة أو قطار أو باخرة أو طائرة، وعلم ركاب هذه الوسائل بعض سنن السفر التي اندرست ونسيها كثير من المسلمين مثل سنة اختيار الأمير في السفر، ودعاء السفر، وقصر الصلاة وجمعها في السفر تقديما أو تأخيرا وما إلى ذلك من السنن التي درست. ثم تفرق هؤلاء الناس بعد أن تعلموا تلك السنن وحملوها إلى كل من يتصل بهم ونشروها بين قومهم الذين كانوا يجهلونها فإن ذلك الشخص الذي علمهم هذه السنن ابتداء هو الذي يقال له إنه سن سنة حسنة أي أحيا سنة من سنن الإسلام بعد أن أماتها الناس.

وإن ما فعله أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه من إحياء سنة التراويح خلف إمام واحد إحدى عشرة ركعة لهو خير مثال لإحياء السنن.

(ومن السنن المهجورة التي تنتظر من يعيدها إلى حيز التنفيذ فترى النور في دنيا المسلمين شريعة الله التي أقصاها الطواغيت عن سدّة الحكم، واستبدلوها بنفايات موائد الغرب، وحثالة أفكار المشركين، وجعلوها مهيمنة على كل صغيرة وكبيرة في حياة الفرد والمجتمع، فلو أن حاكما أنقذ البشرية من هذه الحمأة الوبيئة التي أركست فيها، وخلصها من هذه الأحكام الدنيئة، وجعل شريعة الله آمرة ناهية في شؤون عباد الله، فإنه يقال سن في الإسلام سنة حسنة، فإذا اقتدى به جماهير الحكام فإن له مثل أجرهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء - فاغتنموها فرصة يا حكام المسلمين)[١].

---

(١) البدعة لسليم الهلالي ص٢٦ - ٢٧.

الوجه الرابع: قالوا بأن البدعة قسمان ـ حسنة وقبيحة ـ وهو تقسيم من عند أنفسهم وبمحض عقولهم الفاسدة ونحن نوجه إليهم هذا السؤال كيف نعرف أن هذا العمل حسن أو قبيح؟ مما لا شك فيه أن كل عاقل يدرك أن الحسن من العبادات ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع، ولا يعرف هذا إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فيقال لهم حينئذ إن الكتاب والسنة قد دلا على ذم البدع بدون استثناء كما تقدم في الأدلة فما وجه تقسيمكم هذا؟! ولا أعني بذلك الجمود وتعطيل العقل عن التفكر والتدبر والتأمل في الكتاب والسنة بل ذلك واجب وإنما أعني الاعتماد على العقل المجرد في التحسين والتقبيح وجعل العقل وحده هو المشرع والحاكم المطلق والميزان الذي توزن به الأمور بعيداً عن هدي الكتاب والسنة ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فياليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة)[1]. وقد فصلت ذلك بشكل أوضح عند الكلام على اعتماد المبتدعة على العقل المجرد ضمن أسباب انتشار البدع.



(١) الفتوى الحموية الكبرى ص ١٨ لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية.

المبحث الثاني
في الشبهة الثانية وهي تعلقهم بقول عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هذه

يستدل كثير من أهل البدع بقول عمر رضى الله عنه: نعمت البدعة هذه، عندما أمر الناس بصلاة التراويح جماعة في المسجد خلف أبي بن كعب. يستدلون بهذه القصة توهما منهم أن ما فعله عمر بدعة وهذا باطل من وجوه:

الوجه الأول: أن عمر رضى الله عنه لم يفعل بدعة وإنما فعل سنة كان النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلها ثم تركها خشية أن تفرض على الأمة. كما بيّن صلى الله عليه وسلم، ولم ينه الناس عن فعلها مما يؤكد بقاء سنيتها.

فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته الناس ثم صلى القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إلا أني خشيت أن يفرض عليكم. وذلك في رمضان[1].

وروى البخاري من حديث عروة بن الزبير عن عبدالرحمن بن عبد القاري أنه قال: (خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل بصلاته الرهط. فقال عمر إني أرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم. قال عمر نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون. يريد

---

(١) تقدم تخريجه في مبحث هل البدع تعتريها أقسام الحكم التكليفي الخمسة، المبحث الثامن من الفصل الثاني، الباب الثاني ص ١١٤.

آخر الليل وكان الناس يقومون أوله[1].

والحديثان دليل على أن إقامة صلاة التراويح خلف إمام واحد سنة. فإن قيام الرسول صلى الله عليه وسلم أولا دليل على صحة القيام في المسجد جماعة في رمضان، وامتناعه بعد ذلك من الخروج خشية الافتراض. لا يدل على امتناعه مطلقا لأن زمانه كان زمان وحي وتشريع فيمكن أن يوحى إليه إذا عمل به الناس بالإلزام. فلما زالت علة التشريع بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الأمر إلى أصله وقد ثبت الجواز فلا ناسخ له[2].

فلما تمهد الإسلام في زمن عمر رضى الله عنه ورأى الناس في المسجد أوزاعا كما جاء في الخبر المتقدم آنفا لو جمعت الناس على قاريء واحد لكان أمثل ـ فلما تم له ذلك. نبه على أن قيامهم آخر الليل أفضل.

وإنما لم يقم بذلك أبو بكر في خلافته لأحد أمرين:
أولهما: أنه يرى أن قيام آخر الليل أفضل كما سبق أن أوردنا ذلك.
ثانيهما: انشغاله بحروب الردة وغيرها من الفتوحات.

الوجه الثاني: أن الصحابة ومن جاء بعدهم من السلف قد اتفقوا على ذلك ولم ينقل فيه أي خلاف فهو إجماع ومعلوم أن الأمة لا تجتمع على ضلالة.

وقد تقرر في الأصول أن الإجماع لابد أن يكون مستندا إلى دليل شرعي، والدليل موجود بحمد الله، وهو حديث عائشة الذي أوردناه في الوجه الأول.

الوجه الثالث: أن عمر رضى الله عنه إنما سماها بدعة بقوله نعمت البدعة هذه: إنما يقصد بذلك البدعة بمفهومها اللغوي[3]. باعتبار ظاهر الحال من حيث

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٤/ ٢٥٠).
(٢) الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص٧٩.
(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٢٥٢ ـ ٢٥٣.

أن النبي صلى الله عليه وسلم تركها بعد أن صلاها خشية أن تفرض على الأمة.

واتفق أنها لم تقع في زمن أبي بكر رضى الله عنه. لا أنها بدعة في الحقيقة فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسامي وعند ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه.

الوجه الرابع: أن عمر رضى الله عنه هو أحد الخلفاء الراشدين الذين أمرنا رسول الله أن نقتدي بهم في قوله (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور)[1].

فإن الحديث يفيد أن ما سنه الخلفاء الراشدون لاحق بسنته صلى الله عليه وسلم، لأن ما سنوه لا يعدو أحد أمرين: إما أن يكون العمل به مقصودا بدليل شرعي فهو سنة لا بدعة، وإما بغير دليل وحاشاهم من ذلك. ولكن هذا الحديث دليل على أنه ثابت في الشرع فليس ببدعة، ولذا أردف أتباعهم بالنهي عن البدع بإطلاق، ولو كان عملهم ذلك بدعة لوقع في الحديث التدافع.

ومن خلال هذه المناقشة نخلص إلى أن استدلالهم بقول الفاروق رضى الله عنه «نعمت البدعة» لا يصح من كل وجه. فماذا بعد الحق إلا الضلال.

---

(١) تقدم تخريجه في مبحث الإحداث في الدين المبحث الثاني، الفصل الأول من الباب الثاني ص٨٩.

المبحث الثالث
في الشبهة الثالثة وهي تعلقهم بالأثر
ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن

يتعلق المبتدعة بأحاديث ضعيفة منها، ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وحديث اختلاف أمتي رحمة وحديث توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم وغير ذلك من الأحاديث الملفقة والتي تصدى لها علماء السنة بالبحث والتنقيب وبينوا عللها وخطورتها وما تنطوي عليه تلك الأحاديث المنكرة من المعاني الخطيرة والدس الرخيص على الإسلام، واتاحة الفرص لنيل الأعداء من الإسلام، ولكن الله قيض لهذه الأمة من طهّر أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم من الدخيل. وذلك بعلم الإسناد الذي لاشك أنه من أعظم ما ميز الله به هذه الأمة. قال عبدالله بن المبارك رحمه الله (الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)[1].

ولما كانت هذه الأحاديث التي تعلقوا بها كثيرة فإني لن أتوسع في سردها وإنما أحيل إلى كتب السنة وما ألف في خدمتها ففيها غنية لمن رزقه الله العقل وحسن البصيرة ولكن الذي سأخصه بالمناقشة هو أثر (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء)[2]. هذا الحديث لا يصح مرفوعا بل من كلام ابن مسعود رضي الله عنه.

---

(١) صحيح مسلم (١/١٥) المقدمة.

(٢) قال العجلوني نقلا عن الحافظ ابن عبدالهادي (اسناده ساقط، والأصح وقفه على ابن مسعود. انظر كشف الخفاء للعجلوني (٢/٢٦٣).

وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ص٣٦٧ هو موقوف حسن وقال وكذا أخرجه الطبراني وأبو نعيم في ترجمة ابن مسعود من الحلية بل هو عند البيهقي في الاعتقاد من وجه آخر عن ابن مسعود وقال العلامة الألباني (لا أصل له مرفوعا وإنما ورد موقوفا على ابن مسعود انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (٢/١٧). وعليه فالحديث لا يصح مرفوعا فلا يجوز أن يحتج به في معارضة الأحاديث القاطعة بأن كل بدعة ضلالة.

وعلى افتراض صحة الحديث مرفوعا فإن (ال) في كلمة (المسلمون) إن كانت للاستغراق، أي كل المسلمين فإجماع، والإجماع حجة لا ريب فيه، والإجماع الأصولي المعتبر هو اجماع المجتهدين من أهل العلم في عصر من العصور، وليس من شك أن المقلدين ليسوا من أهل العلم. وإن كانت للجنس فقد يستحسن بعض المسلمين هذا الأمر، ويستقبحه آخرون، كما هو الحال في أكثر البدع وذلك لاختلاف العقول والأهواء والآراء، وعليه سقط الاحتجاج بهذا الأثر.

واعلم أيها المؤمن أرشدك الله أن (أل) هنا للعهد على الراجح، وعليه فالمراد بهذا الأثر اجماع الصحابة واتفاقهم على أمر كما يدل لذلك السياق.. كما رواه أحمد وغيره، عن عبدالله بن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيء[1]. وروى الحاكم الجملة الأخيرة وزاد: (وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلفوا أبا بكر رضى الله عنه)[2].

وفي هذه الجملة الأخيرة بيان للمراد فقد استدل عبدالله بن مسعود على استخلاف أبي بكر بإجماع الصحابة.

ويزيد الأمر وضوحا، أن ابن مسعود من أشد الصحابة إنكارا للبدع وهجرا لأصحابها وقد تقدمت بعض أقواله وأفعاله فلتراجع.

---

(١) أخرجه أحمد (١/٣٧٩) والطيالسي في مسنده ص٢٣، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/١٦٦).
(٢) مستدرك الحاكم (٣/٧٨ - ٧٩).

المبحث الرابع
في الشبهة الرابعة

وهي تعلقهم بقوله تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾(١). وليس في هذه الآية دليل على استحسان البدع من كل الوجوه المحتملة إذا كان قوله تعالى: ﴿إلا ابتغاء مرضاة الله﴾ يرجع إلى قوله تعالى: (ابتدعوها) فمعناه أن الله لم يكتبها عليهم لكنهم ابتدعوها بقصد التقرب إلى الله، وفي هذا ذم لها لأن الله لم يفرضها عليهم، ويزيدها قبحا أنهم مع اختراعهم لها لم يرعوها حق رعياتها، وقصروا فيما ألزموا أنفسهم به وهذا ضرب من التقبيح والتشنيع المضاعف. وإذا كان راجعا إلى قوله: ﴿ما كتبناها﴾ فمعناه أنهم ألزموا أنفسهم بابتداعها فكتبها الله عليهم أي أصبحت دينا مشروعا من لدن أحكم الحاكمين، وهذا ضرب من التقرير وقد حدث مثله في ديننا، فكان الرسول يقر أصحابه على أقوال وأفعال يأتون بها لم تكن مشروعة من قبل وبتقريره لها تصبح شرعا يعبد الله به. وأمثلة ذلك في السنة كثير، أما بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم فإن الشرع لم يعد بحاجة إلى زيادة، لأن الله أتمه وأكمله، ولم يترك الرسول شيئا مما يقربنا من الجنة إلى وقد أمرنا به، ولم يدع أمرا يقربنا من النار إلا وقد نهانا عنه صلى الله عليه وسلم.

وجملة القول أن هذه الآية من شرع من قبلنا، والراجح في علم الأصول أنه ليس شرعا لنا لأدلة كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي . . . ـ فذكرها وآخرها ـ وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)(٢).

---

(١) سورة الحديد آية ٢٧.

(٢) تقدم تخريجه في مبحث حفظ هذا الدين وبقاؤه، الفصل الأول من الباب الأول ص٤٣.

وهذا دليل على أن شرائع الأنبياء السابقين خاصة بأقوامهم، لذلك فإن الإسلام بعقائده وعباداته وأحكامه وشرائعه شرع تام غير محتاج إلى غيره بل جعله الله مهيمنا ناسخا لغيره من الرسالات السابقة بحيث يجب على كل مسلم أن لا يرجع إلا إليه. فهو الشريعة التي حفظ الله أصولها وفروعها، وارتضاها لعباده من الثقلين. إلى أن يرث الأرض ومن عليها، وكيف يكون ما عليه المغضوب عليهم والضالون شرعا لنا وهو يشتمل على باطل وضلال وشرك وكفر وفساد وما فيه من حق فهو غير متميز إلا ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة ما يؤيده.

ثم إن من معاني هذه القاعدة أن شرعنا يحتاج إلى تكميل بما عند أهل الكتاب مالم يأت فيه ما يخالفه، كيف يستقيم أمر هذه القاعدة والنصوص صريحة في الأمر بمخالفة أهل الكتاب في كل صغيرة وكبيرة؟ والمتدبر لكتاب الله وسنة نبيه الصحيحة، وهدي السلف الصالح يجد في كل ذلك ما يقيم سدا منيعا بين المسلمين وأهل الكتاب، ويدفع المسلم أن يفرّ مسرعا مبتعدا عن هؤلاء.

لقد أصّل الشارع الحكيم بذلك أصلا عظيما، وهو تعمد مخالفة أهل الكتاب والأمم الأخرى، حتى تتحقق ميزة الأمة بالمنهج والأفعال المستقلة، وحتى لا تختلط أفعال الأمة وعباداتها بأفعال الأمم الأخرى. وقد وضح شيخ الإسلام هذا الأصل توضيحا لم أر مثله في كتابه القيم - إقتضاء الصراط المستقيم - وبين فساد هذه القاعدة: (شرع من قبلنا شرع لنا)[1]. وأيده الشاطبي حيث قال: (فيبقى ما كان شرعا لغيرنا منفيا عن شرعنا كما تقرر في علم الأصول)[2].

قلت هذا كلام الإمام الشاطبي، وهو يلتقي مع كلام شيخ الإسلام رحمهما الله. ومن الغرائب أن هذا مشرقي وذاك مغربي، جمع بينهما على بعد الدار، المنهج العلمي الصحيح والحرص على تصفية الإسلام من كل شائبة علقت بمنهله الصافي في عصور الفساد والانحطاط.

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ص١١ - ١٣١.

(٢) الاعتصام (١/٣٣٢) للشاطبي.

وهب صواب قول من قال: (شريعة من قبلنا شريعة لنا) فذلك مشروط بشرطين:

أحدهما: أن يثبت أن ذلك شرع ارتضاه الله لهم بنقل موثوق.

الثاني: أن لا يكون في شرعنا بيان خاص لذلك، وعليه فالآية لا حجة فيها لمحسني البدع، لأن الإسلام بيّن أن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[1].

الفصل السادس
في حكم البدعة

تكلمنا فيما مضى عن الشبه التي يتعلق بها المبتدعة والرد عليها. والآن نشرع في بيان حكم مرتكب البدعة.

قد سبق أن بينا خطأ قول من قال إن البدعة يمكن أن تندرج تحت أقسام الحكم التكليفي الخمسة وهي: الوجوب، والندب، والتحريم، والكراهة، والإباحة. اللهم إلا التحريم فإن جميع البدع محرمة من غير فرق بين بدعة وأخرى، وإن كانت تتفاوت درجات التحريم كما سنبينه إن شاءالله.

ومعلوم أن النهي عن البدع قد ورد على وجه واحد، في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)[2]. وهذا عام في كل بدعة.

---

(١) البدعة للهلالي ص٢٧ ـ ٣٠.

(٢) سبق تخريجه في مبحث البدعة إحداث في الدين ص ٨٩.

وقد فصّل الإمام الشاطبي رحمه الله القول في أحكام البدعة تفصيلا لا يبقى بعده مجال للشك بأن كل بدعة محرمة. وإذا سلّمنا أن منها ما هو مكروه فهو كراهة تحريم وليس كراهة تنزيه. وإني ألخص ما قاله مع إضافات نافعة إن شاء الله فمن أراد التوسع فليرجع إليه.

قال الشاطبي (ثبت في الأصول أن الأحكام الشرعية خمسة نخرج عنها الثلاثة، فيبقى حكم الكراهية وحكم التحريم. فاقتضى النظر انقسام البدعة إلى قسمين، فمنها بدعة محرمة، ومنها بدعة مكروهة. وذلك أنها داخلة تحت جنس المنهيات، لا تعدو الكراهة والتحريم، فالبدع كذلك هذا وجه.

ووجه ثان: أن البدع إذا تؤمل معقولها وجدت رتبها متفاوتة، فمنها ما هو كفر صراح، كبدعة الجاهلية التي نبه عليها القرآن كقوله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ما جعل الله من بحيرة[2] ولا سائبة[3] ولا وصيلة[4] ولا حام[5]﴾[6].

قلت ويلحق بالبحيرة والسائبة وما ذكر بعدهما ما يفعله المريدون في هذا الزمان مع شيوخ الطرق الصوفية من النذور لمشايخهم ووقف بعض أموالهم عليهم في الحياة وبعد الممات، حيث يعتني بهذه الأموال كل العناية فتترك بعض المواشي بحيث لا تحلب ولا تركب ولا تذبح، ولا يؤخذ صوفها ولا وبرها ولا يتصرف فيها

---

(١) سورة الأنعام آية ١٣٦.

(٢) بحيرة. هي الناقة. يمنح درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس.

(٣) السائبة. التي كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء.

(٤) وصيلة. الناقة البكر تبكر في أول نتاج الابل ثم تثنى بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر.

(٥) الحام. فحل الابل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودّعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي. انظر صحيح البخاري مع الفتح تفسير سورة المائدة (١٨٩/٧)، صحيح مسلم بشرح النووي باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء (١٥٥/٨) وتفسير ابن كثير (٢٠٣/٣) مطبعة الشعب.

(٦) سورة المائدة آية ١٠٣، وانظر الاعتصام (٣٦/٢ - ٣٧).

حتى تصل إلى مقام الشيخ أو تترك حتى تموت[1].

وقد حدثني بعض من هداهم الله إلى الحق بعد أن كان مغرقا في التصوف أنه كان يخصص جلّ أمواله لشيخ الطريقة ويكتفي منها بما يسدّ رمقه ورمق عياله. وقال لي بعضهم، وكنت في زيارة لبعض البلاد الإسلامية إنه يخصص ثلث ماله لشيخ الطريقة، وذكر لي غير واحد ممن أثق به أن شيوخ الطرق يرهبونهم ويهددونهم بالانتقام وحدوث المصائب العظام، إذا لم يهبوا بعض أموالهم للشيخ، وقد يدعي زورا وبهتانا أنه من ذوي الشرف والسيادة أي من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. بقصد ابتزاز أموال الناس وأكلها بالباطل. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا﴾[2].

إن صرف هذه النذور والأموال لأصحاب القبور هو الشرك الأكبر بعينه. والكفر البواح الذي من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب فإلى متى يسكت علماء المسلمين عن هذا الشرك وذلك الضلال المبين فاستيقظوا يا حماة التوحيد واصدعوا بالحق يا رجال العقيدة. ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾[3].

ثم نعود إلى الإمام الشاطبي رحمه الله وهو يضرب أمثلة على البدع المكفرة والمخرجة عن الملة حيث يقول: (وكذلك بدعة المنافقين حيث اتخذوا الدين ذريعة لحفظ النفس والمال وما أشبه ذلك مما لا شك فيه أنه كفر صراح)[4].

قلت ومن الفرق المارقة من الدين باجماع المسلمين فرق الباطنية من اسماعيلية وقرامطة ودروز ونصيرية وغلاة الرافضة القائلين بارتداد الصحابة ونقص

---

(١) راجع كتاب كنت قبوريا للاستاذ عبدالمنعم الجداوي. طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (الرياض).

(٢) سورة النساء آية ٢٩، ٣٠.

(٣) سورة الحجر آية ٩٤.

(٤) الاعتصام للشاطبي (٢/٣٧).

القرآن الكريم ودعوى العصمة لغير الأنبياء ونحو ذلك من كفرياتهم. وكذا من ظهر في هذا العصر من الفرق المارقة الملحدة مثل القاديانية والبهائية ومن على شاكلتها.

إذًا فالقسم الأول من البدع هي تلك البدع المكفرة بدون شك أو ريب كما أسلفنا. ثم بيّن الشاطبي القسم الثاني وهو ما دون الكفر أو المشكوك في كفر صاحبه من عدمه. ومنها ما هو من المعاصي التي ليست بكفر أو يختلف هل هي كفر أم لا؟ كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة ومن أشبههم من الفرق الضالة.

ومنها ما هو معصية اتفاقا وليست بكفر كبدعة التبتل والصيام قائما في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع ومنها ما هو مكروه، كقراءة القرآن بالإدارة(١)، والاجتماع للدعاء عشية عرفة.

فمعلوم أن هذه البدع ليست في رتبة واحدة فلا يصح مع هذا أن يقال إنها على حكم واحد، هو الكراهة فقط، أو التحريم فقط(٢).

ثم يذكر الشاطبي وجها ثالثا لبيان أحكام البدع فيقول: (إن المعاصي منها صغائر ومنها كبائر، ويعرف ذلك بكونها واقعة في الضروريات فهي أعظم الكبائر، وإن وقعت في التحسينيات فهي أدنى رتبة بلا إشكال، وإن وقعت في الحاجيات فمتوسطة بين الرتبتين. ثم إن كل رتبة من هذه الرتب لها مكمّل، ولا يمكن للمكمل أن يكون في رتبة المكمّل، فإن المكَمل مع المكمل في نسبة الوسيلة مع المقصد، ولا تبلغ الوسيلة رتبة المقصد، فقد ظهر تفاوت رتبة المعاصي والمخالفات. وأيضا فإن الضروريات إذا تؤملت وجدت على مراتب في التأكيد وعدمه، فليست مرتبة النفس كمرتبة الدين، وليس تستصغر حرمة النفس جنب حرمة الدين، فيبيح الكفر الدم والمحافظة على الدين مبيح لتعريض النفس للقتل والإتلاف، في الأمر بمجاهدة الكفار والمارقين عن الدين.

---

(١) قراءة القرآن بالإدارة هو أن يجمع الشخص مجموعة من القراء ويقرأون بالتناوب بقصد إهداء الثواب للميت مقابل أجرة معينة أو طعام يقدمه لهم.

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٧).

ومرتبة العقل والمال ليست كمرتبة النفس، ألا ترى أن قتل النفس مبيح للقصاص؟ فالقتل بخلاف العقل والمال، وكذلك سائر ما بقي، وإذا نظرت في مرتبة النفس تباينت المراتب، فليس قطع العضو كالذبح، ولا الخدش كقطع العضو وهذا كله محل بيانه الأصول.

وإذا كان كذلك فالبدع من جملة المعاصي، وقد ثبت التفاوت في المعاصي فكذلك يتصور مثلها في البدع، فمنها ما يقع في الضروريات (أي أنه إخلال بها) ومنها ما يقع في رتبة الضروريات، ومنها ما يقع في الدين أو النفس أو النسل أو العقل أو المال)[1].

وإليك أخي القارىء تلخيصا للأمثلة التي أوردها الإمام الشاطبي رحمه الله لبيان تأثير البدع على الكليات الخمسة وغيرها من الأضرار مع زيادة نافعة إن شاء الله.

١) مثال الابتداع في الدين تحريم البحيرة والسائبة ـ والوصيلة والحام. والمقصود بذلك تحريم ما أحل الله بقصد التقرب به إلى الله تعالى مع كونه حلالا. قلتُ ويلحق بهذا نحلة الطائفة التي يسمى أهلها بالنباتيين الذين يحرمون اللحوم وكل ما لم يكن نباتيا ويقال إن منهم أبا العلاء المعري ومن على شاكلته من الفلاسفة.

٢) ومثال وقوعه في النفس نحل الهند في تعذيبهم أنفسهم بأنواع العذاب الشنيع، والتمثيل الفظيع، بأنواع القتل التي تفزع منها القلوب، وتقشعر منها الجلود، كالاحراق بالنار، كل ذلك على جهة استعجال الموت لنيل الدرجات العلا في زعمهم، والفوز الأكمل بعد الخروج من هذهالدار العاجلة.

قلتُ: ويلحق بهؤلاء بعض غلاة الشيعة ـ الرافضة ـ الذين يجتمعون في اليوم العاشر من المحرم بمناسبة استشهاد الحسين بن علي رضى الله عنهما فيضربون

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/٣٨ ـ ٣٩).

أنفسهم بالحديد والأخشاب بدعوى الحزن كل ما تمر هذه المناسبة[1]. وكذلك بعض المتصوفة الذين اختاروا لأنفسهم طريق التقشف والعيش في الغابات والبراري وهم حفاة عراة وكل ذلك قلدوا فيه طوائف الهندوك والبوذيين ومن على شاكلتهم.

٣) ومثال ما يقع في النسل ما ذكر من أنكحة الجاهلية التي كانت معهودة فيها ومعمولا بها، ومتخذة فيها كالدين المنتسب والملة الجارية التي لا عهد بها في شريعة إبراهيم عليه السلام، ولا غيره، بل كانت من جملة ما اخترعوا وابتدعوا وهو على أنواع فقد روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء:

الأول منها: نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته، أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.

والثاني: نكاح الاستبضاع. كالرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يبين حملها من ذلك الرجل الذي يُستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب. وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا نكاح الاستبضاع.

والثالث: أن يجتمع الرهط ما دون العشرة، يدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع منهم رجل أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، فتسمي من أحبت بإسمه فيلحق به ولدها فلا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

---

(١) مقتل الامام الحسين وفتاوي العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر لمرتضي عياد ص ١٢ ـ ٤٠، قال خضر بن شلال الذي يستفاد من مجموع النصوص ومنها الاخبار الواردة في زيارة الحسين المظلوم ولو مع الخوف على النفس يجوز اللطم والجزع على الحسين كيفما كان حتى ولو علم بأنه يموت في الوقت نفسه ص١٩ ـ ٢٠ من الكتاب نفسه.

الرابع: أن يجتمع الناس الكثيرون فيدخلون على المرأة ولا تمنع من جاءها وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت، حملها جمعوا لها ودعوا لها القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم[1].

قلت: ويلحق بهذا نكاح المتعة الذي حرمه الإسلام، كما دلت عليه السنة الصحيحة. ومع هذا فهو من أفضل الأنكحة عند الرافضة إلى اليوم.

٤) ومثال ما يقع في العقل، أن الشريعة بينت أن حكم الله على العباد لا يكون إلا بما شرع في دينه على ألسنة أنبيائه ورسله، ولذلك قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)[3]. وقال: ﴿إن الحكم إلا لله﴾[4]. وأشباه ذلك من الآيات والأحاديث فخرجت عن هذا الأصل فرقة زعمت أن العقل له مجال في الاستقلال بالتشريع وأنه محسن ومقبح في دين الله، فابتدعوا في دين الله ما ليس منه. ومما لاشك فيه أن العقل يدرك الحسن والقبح في الجملة لكنه لا يستقل بالحكم دون الشرع كما تقول المعتزلة، ومن تحكيم العقل المجرد أن الخمر لما حرمت، ونزل من القرآن في شأن من مات قبل التحريم وهو يشربها. قوله تعالى: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾[5]. الآية. تأولها قوم - فيما ذكر - على أن الخمر حلال وأنها داخلة تحت قوله (فيما طعموا) فذكر اسماعيل بن اسحاق عن علي رضى الله عنه قال: شرب نفر من أهل الشام الخمر وعليهم يزيد بن أبي سفيان، فقالوا: هي

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٨٢/٩ - ١٨٣).
(٢) سورة الإسراء آية ١٥.
(٣) سورة النساء آية ٥٩.
(٤) سورة يوسف آية ٤٠، ٦٧ وسورة الأنعام آية ٥٧.
(٥) سورة المائدة آية ٩٣.

لنا حلال، وتأولوا هذه الآية: ﴿ليس على الذين آمنوا﴾ الآية. قال: فكتب فيهم إلى عمر، قال فكتب عمر إليه: أن ابعث بهم إليَّ قبل أن يفسدوا من قبلك، فلما قدموا إلى عمر استشار فيهم الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين: نرى أنهم قد كذبوا على الله وشرعوا في دينه ما لم يأذن به فاضرب أعناقهم، وعليّ رضى الله عنه ساكت، قال: فما تقول يا أبا الحسن؟ فقال: أرى أن تستتيبهم فإن تابوا جلدتهم ثمانين لشربهم الخمر، وإن لم يتوبوا ضربت أعناقهم، فإنهم قد كذبوا على الله، وشرعوا في دين الله مالم يأذن به. فاستتابهم فتابوا، فضربهم ثمانين ثمانين.

فهؤلاء استحلوا بالتأويل ما حرم الله بنص الكتاب، وشهد فيهم علي رضى الله عنه وغيره من الصحابة، بأنهم شرعوا في دين الله وهذه البدعة بعينها فهذا وجه.

وأيضا فإن بعض الفلاسفة الذين ظهروا بين المسلمين تأول فيها غير هذا وهو أنه إنما يشربها للنفع لا للهو، وعاهد الله على ذلك فكأنها عندهم من الأدوية النافعة أو غذاء صالح يصلح لحفظ الصحة. ويحكى هذا العهد عن ابن سيناء[1].

قلت وقد قلّد ابن سيناء وغيره من الإباحيين كثير من الناس في هذا العصر بتعاطي المخدرات والمفترات والتي هي أخطر من الخمر في تأثيرها على الصحة والعقل والمال والدين قبل كل شيء. يروجونها بدعوى أنها منشطة ومنسية للهموم والأحزان، وهي لا تزيدهم إلا هما وغما، كما قال فيها الشاعر (وداوني بالتي كانت هي الداء). وإن كثيرا من بلاد المسلمين تبيح قوانينها شرب الخمور وتعاطيها دون حياء أو خجل أو خوف من الله عز وجل. وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمرة والمعازف)[2].

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/٣٩ - ٤٦).
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٠/٥١) والحديث ثابت وان اثيرت بعض الشبه حول كونه معلقا فقد رد ابن حجر تلك الشبه بما لا مزيد عليه راجع الفتح (١٠/٥١ - ٥٦).

ولو نظرنا إلى واقع المسلمين اليوم لوجدنا أن هذه الأمور قد استحلت بل يعطى أصحابها تراخيص رسمية بموجب القانون. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومما له تأثير على العقل أيضا أن بعض المبتدعة تحولوا في ذكرهم لله إلى حالـة من الرقص والغناء مصحوبة بآلات الطرب واللهو، فربما رقصوا بدعوى الـذكـر حتى تغيب عقولهم ويصيبهم الزار فيقعون على الأرض ويزعمون أنهم سكروا في حب الله عندما تذهب عقولهم تحت تأثير هذا الرقص والغناء. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٥) ومثال ما يقع في المال أن الكفار قالوا: ﴿إنما البيع مثل الربا﴾ فإنهم لما استحلوا العمل به احتجوا بقياس فاسد فقالوا: إذا فسخ العشرة التي اشترى بها إلى شهر في خمسة عشر إلى شهرين، فهو كما لو باع بخمسة عشر إلى شهرين، فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم فقال: ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا. وأحل الله البيع وحرم الربا﴾[١]. ليس البيع مثل الربا. فهذه محدثة أخذوا بها مستندين إلى رأي فاسد، فكان من جملة المحدثات كسائر ما أحدثوه في البيوع الجارية بينهم المبنية على الخطر والغرر[٢].

قال علي محفوظ في كتابه الإبداع في مضار الابتداع ردا على من قاس الربا على البيع في الحل بعد أن أورد كلام الشاطبي.
وحاصله: (أن ما ذكرتم قياس فاسد الوضع لوقوعه في مقابلة النص، على أن بينهما فارقا، وهو أن من باع ثوبا مثلا قيمته عشرة في الحال بأحد عشر، فإنه أخذ الزائد بغير عوض، ولا يمكن جعل الإمهال عوضا. لأنه ليس بمال حتى يكون في مقابلة الزائد. وهذا عين الربا لأنه زيادة لا يقابلها عوض في معاوضة مالية)[٣].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥.
(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٤٧ ـ ٤٨).
(٣) الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص ١٥١.

قلت: وقد كثر الدعاة لإباحة الربا في هذا الزمان، ومما يؤسف له أن يكون بعض الناعقين بالدعوة إلى حله ممن يظن أنهم من أهل العلم، فقد صرحوا بإباحته على المنابر وعبر وسائل الإعلام متجاهلين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لعلل واهية وتمحلات اخترعوها من بنيات أفكارهم احتيالا على تحليل ما حرم الله وهذا شأن اليهود فإنهم عندما حرم الله عليهم لحوم الميتة أخذوا شحومها فجملوها (أي أذابوها) فباعوها فأكلوا ثمنها.

فقد روى البخاري ومسلم عن جابر رضى الله عنه:

أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح، وهو بمكة: (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام). فقيل: يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة فإنها يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ فقال: (لا هو حرام). ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك (قاتل الله اليهود، إن الله لمّا حرّم عليهم شحومها جملوه، ثم باعوه فأكلوا ثمنه)(١).

كما ظهر في هذا الزمان كثير من الحيل بقصد ابتزاز أموال الناس وأكلها بالباطل مثل ما يسمى باليانصيب وغيره، من ألوان القمار وكثير مما يجري في البورصات والأسواق العالمية من الحيل والمؤامرات ناهيك عن انتشار البنوك الربوية في شتى بلاد العالم الإسلامي في كل مدينة وقرية. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وخلاصة القول إن البدع كلها حرام، وتتفاوت رتبها في دائرة الحرام، فمنها ما هو كفر صراح، ومنها ما هو مشكوك في كفر صاحبه ومنها ما هو معصية لا يكفر صاحبها بلا نزاع، ومنها ما هو مكروه وقد فصلنا أمثلة ذلك في أول الفصل.

هذا ويجدر بنا في خاتمة هذا الفصل أن ننبه إلى أن ما يجري عليه حكم المكروه من البدع، لا يُعنى به كراهية التنزيه، وقد نبه على ذلك الإمام الشاطبي رحمه الله.

فإن إطلاق المكروه على ما هو مكروه تنزيها. اصطلاح للمتأخرين لم يعرف عن

---

(١) صحيح البخاري (٢/٧٧٩). وصحيح مسلم (٣/١٢٠٧).

المتقدمين من السلف، فلم يقولوا فيما لا حرج فيه إنه مكروه، ولم يكن شأنهم أن يقولوا فيما لا نص فيه. هذا حلال وهذا حرام، لئلا يكونوا ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾[1].

وإنما كانوا يقولون فيه هذا مكروه أو أكره هذا أو لا أستحب هذا[2]. وما أشار إليه الشاطبي هنا: من استعمال السلف لفظ المكروه بمعنى الحرام هو ما وضحه ابن القيم حيث بيّن أن في استعمال القرآن والسنة ما يشير إلى هذا كقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾[4]. وقوله: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾[4]. وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله كره لكم قيل وقال . . .)الخ[5].

ومما يدل على أن البدع إذا عبّر عنها بالكراهة فإنه يقصد بها كراهة التحريم. (هو ورود النهي عن البدع على وجه واحد، ونسبتها إلى الضلال على كل حال، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا إذا تأملنا حقيقة البدعة ـ جلت أو خفيت ـ وجدناها مخالفة للمكروه من المنهيات مخالفة تامة. فمرتكب المكروه يفعله متكلا على العفو اللازم فيه ورفع الحرج الثابت في الشريعة له. كما أن اعتقاده غير متزحزح، فهو يعتقد المكروه مكروها والحرام حراما، ثم إنه يرى ترك المكروه أولى في حقه من الفعل ويود لو لم يفعل، وعلى كل فطمعه في الإقلاع عن هذا المكروه والتخلص من الوقوع فيه لا ينقطع.

أما مرتكب أدنى البدع فإنه يعدِّ ما دخل فيه حسنا بل يراه أولى مما حدّ له الشارع، ويزعم أن طريقه أهدى سبيلا، ونحلته أولى بالاتباع، فهو يفعل ما يخالف ولا يستشعر سوء ما يفعل، ويندر أن يتحرك قلبه نحو التوبة مما هو واقع فيه[6].

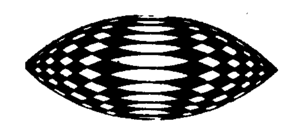
(١) سورة النحل آية ١١٦، ١١٧.
(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/٤٧).
(٣) سورة الاسراء آية ٣٢.
(٤) سورة الأنعام آية ١٥٢، وسورة الإسراء آية ٣٤.
(٥) الحديث تقدم تخريجه في مبحث وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة الفصل الثاني من الباب الأول ص٤٨. وانظر أعلام الموقعين (١/٤١).
(٦) الاعتصام للشاطبي (٢/٤٨).

وعلى كل حال فالبدعة لها أمران:

أحدهما: أنها مضادة للشارع ومراغمة له حيث نصب المبتدع نفسه نصب المستدرك على الشريعة لا نصب المكتفي بما حدّ له.

والثاني: أن كل بدعة ـ وإن قلت ـ تشريع زائد أو ناقص أو تغيير للأصل الصحيح، وكل ذلك قد يكون على الانفراد، وقد يكون ملحقا بما هو مشروع فيكون قادحا في المشروع[1]. ولذلك فإن البدع مع كونها محرمة فهي في أعلى درجات المحرم، وتكاد كلها أن تكون كبائر فإن التشريع الزائد أو الناقص أو تغيير الأصل لو لم يكن بناء على إجتهاد خاطيء أو تأويل غير مقبول لكان كفرا وكل ما ذكر في شأن البدعة وما ورد فيها من الذم يرجح ذلك.

وقد تقدم مزيد من البيان حول تفاوت درجات البدع في التحريم عند الكلام على أقسام البدع لا سيما في بيان تقسيمها إلى جزئية وكلية وصغيرة وكبيرة، وبسيطة ومركبة، وقد بينا هنالك شروطا لكون البدعة تعتبر صغيرة. فإن توافرت تلك الشروط وإلا فإنها تعتبر كبيرة وأيا ما كان الأمر فالبدع أخطر الأمور التي تقوض بناء المجتمع وتهد أركانه وتفرق شمله كما وضحنا ذلك عند الكلام على خطورة البدعة فليراجع.



(١) الاعتصام للشاطبي (٢/٥٢).

الفصل السابع
في نماذج من البدع الشائعة

تمهيد:

من المعلوم أن البدع كثيرة يجل عنها الحصر ولو أردنا أن نحصيها لاحتاج الأمر إلى آلاف من الأسفار والكتب. ولما كان الأمر بهذه المثابة فإني سوف أتحدث عن بدعتين خطيرتين من البدع الشائعة كمثالين لأكثر البدع انتشارا.

إحداهما: بدعة تمس شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقد أحدثت بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى بأكثر من أربعة قرون ألا وهي بدعة الاحتفال بعيد مولده صلى الله عليه وسلم.

والثانية: بدعة خطيرة مزقت كيان المسلمين وفرقت شملهم ونخرت في عظامهم وقوضت بناءهم ألا وهي بدعة تعدد الأحزاب والجماعات.

لذلك فإن هذا الفصل يشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: بدعة الاحتفال بعيد مولده صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: تعدد الجماعات والأحزاب في الإسلام.

المبحث الأول
بدعة الاحتفال بعيد مولده صلى الله عليه وسلم

سبق أن ذكرت في أكثر من مناسبة أن تخصيص بعض الأيام أو الشهور بعبادات معينة لا يصح إلا إذا قام عليه دليل من الشرع. ولما كان المبتدعة قد خصصوا أياما كثيرة ابتدعوا فيها طقوسا وعبادات كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان حتى إنه لا يكاد يخلو يوم من أيام السنة إلا وأحدثوا فيه تلك الطقوس حتى أحدثوا عشرات الأعياد التي يعظمونها أكثر من تعظيمهم للأعياد الإسلامية الثابتة المعروفة. لما كان الأمر كذلك فإني سوف أقصر الكلام بإيجاز على بدعة خطيرة ومحدثة عظيمة تمس شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. ألا وهي بدعة الاحتفال بعيد المولد وذلك في أربعة مطالب:

المطلب الأول: نبذة تاريخية عن حدوث هذه البدعة.

المطلب الثاني: حكم الاحتفال بالمولد النبوي.

المطلب الثالث: شُبَهٌ ورَدُّها.

المطلب الرابع: من أقوال السلف في إنكار بدعة المولد.

المطلب الأول
نبذة تاريخية عن حدوث هذه البدعة

إن المتتبع للتاريخ الإسلامي يجد أن مثل هذه الاحتفالات لم تكن موجودة عند المسلمين الأوائل، بل ولا في القرون المفضلة، حتى جاءت الدولة الفاطمية والتي انتسبت إلى فاطمة رضى الله عنها ظلما وعدوانا. بل إن المحققين من المؤرخين يرون أنهم ينحدرون من أصل يهودي، يقال لهم العبيديون وهم أبناء عبيدالله بن ميمون بن ديصان. المشهور بالقداح قيل إنه يهودي وقيل إنه مجوسي[١].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير المجلد السادس(١١/١٧٢) خطط المقريزي (١/٤٨).

وقد استمرت دولتهم في مصر من ٣٥٧ ـ ٥٦٧هـ. وقد أحدث العبيديون (المتسمون بالفاطميون) احتفالات بأيام كثيرة على رأسها أربعة موالد: مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب، وولديه الحسن والحسين رضى الله عنهم جميعا.

فقد جاء في كتاب الخطط للمقريزي المسمى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. تحت عنوان: (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم) قال: (كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم، رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء ومولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومولد علي بن أبي طالب رضى الله عنه، ومولد الحسن والحسين رضى الله عنهما، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرة رمضان وسماط رمضان، وليلة الختم وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف وموسم فتح الخليج ويوم النيروز، ويوم الغطاس ويوم الميلاد، وخميس العدس، وأيام الركوبات)[١].

وقال المقريزي في موضع آخر:
وكان الأفضل بن أمير الجيوش، قد أبطل أمر الموالد الأربعة النبوي، والعلوي، والفاطمي، والإمام الحاضر، وما يهتم به وقدم العهد به حتى نسي ذكرها، فأخذ الأستاذون يجددون ذكرها للخليفة الآمر بأحكام الله ويرددون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضة الوزير بسببها واعادتها وإقامة الجواري والرسوم فيها فأجاب إلى ذلك وعمل ما ذكر[٢].

وجاء في صبح الأعشى للقلقشندي في كلام له طويل في جلوسات الخليفة الفاطمي. قال بعد أن ذكر جلوسه في المجلس العام أيام المواكب وجلوسه ليلة

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار للمقريزي (١/ ٤٩٠).
(٢) انظر المصدر السابق وأحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام للشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية سابقاً ٤٤ ـ ٤٥.

أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه للقاضي والشهود في ليالي الوفود الأربع من كل سنة. قال: (الجلوس الثالث جلوسه في مولد النبي صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من شهر ربيع الأول[1].

وممن صرح من المتأخرين بأن أول من أحدث المولد هم المتسمون بالفاطميين، مفتي الديار المصرية الشيخ محمد بن بخيت المطيعي والشيخ علي محفوظ والسيد علي فكري فقد قال العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية سابقا في كتابه (أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام):

(مما أحدث وكثر السؤال عنه الموالد فنقول: إن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون، وأولهم المعز لدين الله، توجه من المغرب إلى مصر في شوال سنة ٣٦١هـ احدى وستين وثلاثمائة هجرية، فوصل إلى ثغر الاسكندرية في شعبان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ودخل القاهرة لسبع خلون من شهر رمضان من تلك السنة فابتدعوا ستة موالد. المولد النبوي ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومولد السيدة فاطمة الزهراء، ومولد الحسن ومولد الحسين، ومولد الخليفة الحاضر. وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش، وكان أبوه أمير الجيوش قد قدم من الشام إلى مصر في خلافة المستنصر بالله بناء على دعوة منه فدخل مصر في عشية الأربعاء لليلتين خلتا من جمادى الأولى سنة ٤٦٥هـ خمس وستين وأربعمائة هجرية. فلما توجه لمحاربة أهل الشام استناب ولده الأفضل[2]. الذي ألغى الاحتفال بتلك الموالد إلى أن أعادها الآمر بأحكام الله عندما تولى بعد أبيه المستعلي سنة خمس وتسعين وأربعمائه للهجرة.

قال المطيعي: (وفي خلافة الآمر بأحكام الله أعاد الموالد الستة المذكورة بعد أن أبطلها الأفضل وكاد الناس ينسونها)[3].

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الانشاء (٤٩٨/٣ ـ ٤٩٩) لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي.

(٢) أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام للشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية سابقاً ص٤٤ ـ ٤٥.

(٣) المصدر السابق ص٤٥ ـ ٤٧.

وقد استمر عمل الموالد إلى الآن. غير أن الناس تركوا بعض الموالد الخمسة. وزادوا موالد أخرى حتى أن الموالد الآن لا تكاد تحصى، وزادوا على ما كان يعمل فيها زمن الفاطميين أشياء ونقصوا أشياء وزادوا في أيامها، ثم بعدما نقل المطيعي ما كان يعمله مظفر الدين صاحب إربل بمناسبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم. عن ابن خلكان ونقل عنه أيضا قضية ابن دحية معه وتأليفه له (التنوير في مولد السراج المنير) بعدما نقل ذلك قال: (من ذلك تعلم أن مظفر الدين إنما أحدث المولد النبوي في مدينة إربل على الوجه الذي وصف، فلا ينافي ما ذكرناه من أن أول من أحدثه بالقاهرة الخلفاء الفاطميون من قبل ذلك. فإن دولة الفاطميين انقرضت بموت العاضد بالله أبي محمد عبدالله بن الحافظ بن المستنصر في يوم الإثنين عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة هجرية، وما كانت الموالد تعرف في دولة الإسلام من قبل الفاطميين. وأضاف الشيخ محمد بخيت المطيعي إلى ذلك قوله: (وأنت إذا علمت ما كان يعمله الفاطميون، ومظفر الدين في المولد النبوي جزمت بأنه لا يمكن أن يحكم عليه كله بالحل)[1].

وقال الأستاذ الشيخ علي محفوظ في (الإبداع في مضار الابتداع) في فصل عقده لبدع الموالد وأول من أحدثها وأدوارها التاريخية:

أول من أحدثها ـ أي الموالد ـ بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع ـ فابتدعوا ستة موالد: المولد النبوي ـ ومولد الإمام علي رضى الله عنه، ومولد السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ومولد الحسن والحسين رضى الله عنهما، ومولد الخليفة الحاضر، وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش، ثم أعيدت في خلافة الآمر بأحكام الله في سنة أربع وعشرين وخمسمائة بعدما كاد الناس ينسونها. وأول من أحدث المولد النبوي بمدينة إربل الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع. قال: وقد استمر العمل بالموالد إلى يومنا هذا وتوسع الناس وابتدعوا كلَّ ما تهواه أنفسهم ويوحيه إليهم الشيطان[2].

وقال بنحو هذا القول الأستاذ علي فكري في المحاضرة العاشرة[3].

---

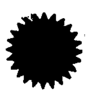
(١) المصدر السابق ٤٧ ـ ٥٢.

(٢) الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص٢٥١.

(٣) انظر المحاضرات الفكرية للاستاذ علي فكري ص٨٤.

ومما تقدم يتضح جليا أن العبيديين الذين تسموا بالفاطميين هم أول من أحدث بدع الموالد في القرن الرابع الهجري، خلافا لمن زعم أن الملك المظفر ملك إربل هو أول من أحدث ذلك. نعم يمكن أن يقال هو أول من أحدثها في إربل (فقد ظل العمل بهذه البدع قائما من عهد المعز لدين الله الفاطمي حتى جاء بدر الجمالي الوزير الأول للخليفة الفاطمي المستعلي بالله وكان هذا الوزير شديد التمسك بالسنة، فأصدر أمرا بإلغاء هذه الموالد. وما أن مات بدر الجمالي حتى عادت البدعة من جديد. واستمر الأمر على هذه الحال حتى جاء عهد صلاح الدين الأيوبي، وكان (أيضا) من المتمسكين بالسنة، فألغى هذه الاحتفالات وتم تنفيذ هذا الإلغاء في كل أنحاء الدولة الأيوبية، ولم يخالف في ذلك إلا الملك المظفر ملك إربل الذي كان متزوجا من أخت صلاح الدين، وقد ذكر المؤرخون أن احتفالات الملك المظفر بالمولد كان يحضرها المتصوفة حيث يكون الاحتفال من الظهر إلى الفجر، وكان ما ينفق في هذا الاحتفال يزيد عن ثلاثمائة ألف دينار)[1].

واستمرت بعد ذلك هذه الاحتفالات إلى يومنا هذا، بل توسعوا فيها حتى امتدت إلى الاحتفال بمولد كل عظيم في نظر العامة، وإن كان من الملحدين بحجة أنه من الأولياء، هذه نبذة تاريخية عن نشأة المولد.



---

(١) الخطط للمقريزي (١/ ٤٩٠) والباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص١٣، ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان (٨/ ٣١٠) لسبط بن الجوزي، والبداية والنهاية (١٢/ ٢٦٣) للحافظ ابن كثير، وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٤٣٧).

المطلب الثاني
حكم الاحتفال بالمولد النبوي

وأما حكمه فلا شك أنه بدعة من البدع وقد علمنا بيقين أنه أحدث بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى بنحو أربعة قرون، فلم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون ولا سائر الصحابة ولا التابعون ولا السلف الصالح في القرون المفضلة، فماذا بعد الحق إلا الضلال. ولمزيد من التوضيح والبيان فإني ألخص ما قاله شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وغيره من علماء هذا العصر الذين يتبعون الكتاب والسنة ويقتفون أثر السلف الصالح وذلك في العناصر الآتية:

أولا: أن السلف الصالح الذين هم أعلم الناس بما جاء به رسول الله صلى الله عليه سلم وأكملهم حبا له ومتابعة لشرعه لم يحتفلوا بالمولد، ولم يدعوا إلى الاحتفال به. وإنما أحدث الاحتفال به بعدهم وفي ذلك دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتفل به ولم يدع إلى الاحتفال به.

ثانيا: إن أول من أحدث الاحتفال به المتسمون بالفاطميين وهم معروفون بالزندقة والإلحاد وبفساد العقيدة والإفساد.

ثالثا: إن الذين بحثوا من المتأخرين في ذلك الاحتفال منهم من أنكره اعتمادا على النصوص القطعية المحذرة من الابتداع في الدين لأنه أي ذلك الاحتفال لا أساس له في الكتاب ولا في السنة ولا في عمل السلف الصالح.

رابعا: إن الاحتفال بذلك اليوم لا يحقق المراد من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإنما يحقق ذلك، اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته.

خامسا: إن كثرة المحتفلين به وكثرة الدعاة إلى الاحتفال به لا تدل على أن الاحتفال به حق، فإن كثرة المرتكبين للشيء وكثرة الدعاة إليه لا تدلان على كونه حقا وإنما يدل على كونه حقا الأدلة الشرعية[1].

هذا ملخص كلام سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز.

قلت سادسا: لا يخفى على الجميع مدى المنكرات والموبقات التي ترتكب في أسواق الموالد ـ من شرب للخمور، ولعب للميسر واختلاط ورقص وغناء. تؤديه النسوة في مجامع الرجال وغير ذلك من الكبائر بل الفواحش حتى أصبحت كلمة المولد يضرب بها المثل في كل المجالات للفوضى والاستهتار.

قال الشيخ علي محفوظ إن الموالد التي تقام في زمانه لا شك أنها لا تخلو من المحرمات والمكروهات، قال (وقد أصبحت ـ أي الموالد ـ مراتع للفسوق والفجور وأسواقا تباع فيها الأعراض وتنتهك محارم الله تعالى، وتعطل فيها بيوت العبادة، فلا ريبة في حرمتها، والمصلحة المقصودة منها لا تبيح هذه المحظورات التي فيها، ويمكن تأديتها من غير هذا الوجه. والقاعدة أن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح، وأن النبي صلى الله عليه وسلم اكتفى من الخير بما تيسر عن جميع أنواع الشر حيث قال: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه)[2].

فهو صريح في أن الشر وإن قل لا يرخص في شيء منه، وقال تحت عنوان (المواسم التي نسبوها إلى الشرع وليست منه): ومنها: أي تلك المواسم التي نسبوها إلى الشرع وليست منه، ليلة الثاني عشر من ربيع الأول يجتمع لها الناس في المساجد وغيرها فيهتكون حرمة بيوت الله تعالى ويسرفون في الوقود فيها، ويرفع القراء أصواتهم بقصائد الغناء التي تثير شهوة الشبان إلى الفسوق والفجور فتراهم عند ذلك يصيحون بأصوات منكرة ويحدثون في المساجد ضجة فظيعة، وقد لا

---

(١) التحذير من البدع للشيخ عبدالعزيز بن باز والقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل للشيخ اسماعيل الانصاري ص٢٧ ـ ٢٨.

(٢) متفق عليه تقدم تخريجه في مبحث ذم التفرق الفصل الأول، من الباب الأول ص٥٠.

يتعرضون في قصائدهم لشيء من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الكريمة وأعماله النافعة الجليلة، وفيهم من يشتغل بالذكر المحرّف. وكل ذلك لم يأذن به الله ورسوله ولم يعهد عن السلف الصالح فهو بدعة وضلالة[1].

سابعا: وأعظم من هذا كله اعتقاد كثير من هؤلاء الجهال أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر المولد. ولهذا يقومون له محيين ومرحبين بل يزعم بعضهم أنه يصافحه.

قال الشيخ إسماعيل الأنصاري في كتابه القول الفصل:
وقد ذكروا في توجيه ذلك القيام ثلاثة أشياء:
أحدها: أنه للترحيب بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يعتقد أولئك القائمون أنه يحضر بجسده الشريف مجلس الاحتفال بذلك اليوم، الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوي وقد يوضع له البخور والطيب في ذلك المجلس على أساس أنه يتطيب ويتبخر كما يوضع له الماء على أساس أنه يشرب منه. ذكر ذلك محمد بن علوي المالكي في رسالته حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لكنه لم يرتضه بل اعتبر دعوى حضور النبي صلى الله عليه وسلم بجسده ذلك المجلس من الجراءة على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدد النكير على من قال ذلك. وليته اقتصر على ذلك. ولم يخض في باطل آخر يستحق أن يقابله بمثل ما قابل به ذلك، وهو دعوى أن روح النبي صلى الله عليه وسلم هي التي تحضر.

ثانيها: أن القيام الذي يقع عند ذكر وضعه صلى الله عليه وسلم وخروجه إلى الدنيا. كان لحضور روح النبي صلى الله عليه وسلم في تلك اللحظة وهذا هو الذي اختاره محمد بن علوي المالكي في رسالته حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بعد جزمه بأن القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر المولد بجسده الشريف باطل فقد قال في ص(٢٥) «إننا نعتقد أنه صلى الله عليه وسلم حي حياة برزخية كاملة لائقة بمقامه وأن روحه جوالة سياحة في ملكوت الله سبحانه

(١) الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص١٤١.

وتعالى، ويمكن أن تحضر مجالس الخير ومشاهد النور والعلم وكذلك أرواح خلص المؤمنين من أتباعه.

ثالثها: أن ذلك القيام لتشخيص ذات النبي صلى الله عليه وسلم جاء ذلك في نظم مولد البرزنجي ونصه:

وقد سنَّ أهل العلم والفضل والتقى قياما على الأقدام مع حسن إمعان
بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر بأي مقام فيه يذكر بل دان

وفي تفسير ذلك التشخيص: يقول محمد بن علوي المالكي في رسالته: حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف: يقول في ص(٢٨) ما نصه: أي أن هذا القيام لتصور شخص النبي صلى الله عليه وسلم في الذهن) قال: (فالناس يقومون احتراما وتقديرا لهذا التصور الواقع في نفوسهم عن شخصية ذلك الرسول العظيم مستشعرين جلال الموقف وعظمة المقام)[١].

قلت: وهذا من أعظم الباطل بل هو غاية الجهالة والضلالة، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يتصل بأحد من الناس. بل هو منعم في قبره وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة، كما قال تعالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾[٢]. وقال صلى الله عليه وسلم: (أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأنا أول شافع وأول مشفع[٣].

---

(١) القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل للشيخ اسماعيل الأنصاري ص٣٠٢ ـ ٣٠٤.
(٢) سورة المؤمنون آية ١٥، ١٦.
(٣) صحيح مسلم (١٧٨٢/٤) ومسند أحمد (٣٤٨/٥).

المطلب الثالث
شُبَهٌ ورَدُّها في مسألة المولد

قد تعلق أرباب الموالد بشبه كثيرة ولكننا سنقتصر على شبهة واحدة ونرد عليها. ومن أراد التوسع في دحض أكثر الشبه التي تعلقوا بها فليراجع كتاب القول الفصل لفضيلة الشيخ اسماعيل الأنصاري، فقد أجاد وأفاد بما لا مزيد عليه. وهذه الشبهة التي أردت التنبيه عليها هي تلك الشبهة التي يتعلق بها أرباب الموالد ولا سيما مولد النبي صلى الله عليه وسلم. وذلك فهمهم الخاطيء الذي ينطبق عليه قول الشاعر: وآفته من الفهم السقيم. وهو ما توهموه من الحديث الذي رواه مسلم عن أبي قتادة رضى الله عنه: (أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الإثنين. فقال صلى الله عليه وسلم هو يوم ولدت فيه، وفيه أنزل عليّ)[1]. فقد تمسك هؤلاء بلفظة (يوم ولدت فيه) ثم عينوا هذا اليوم بالثاني عشر من ربيع الأول. وذلك تخصيص من عند أنفسهم، وهذا الاستدلال ظاهر البطلان لوجوه كثيرة منها:

(١) إن المطلوب في هذا اليوم أعني يوم الإثنين هو الصوم اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم. بينما نرى أصحاب تلك الموالد يخصصون ذلك اليوم الذي عينوه للأكل والشرب والطرب فضلا عن ما أحدثوه من أذكار وهتافات لا نجد لها برهانا ولا هدى، ولا حجة صحيحة.

(٢) إن الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم هو صوم يوم الإثنين من كل أسبوع دائما - ولم يقيد ذلك بسنة أو بشهر أو أسبوع بعينه - بينما هؤلاء يخصصون يوما واحدا في السنة هو الثامن أو التاسع أو الثاني عشر من ربيع الأول على اختلاف بينهم حتى وإن لم يوافق هذا اليوم يوم الإثنين. وبذلك يتضح وجه مخالفتهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) صحيح مسلم (٢/٨١٩)، ومسند أحمد (٥/٢٩٧ - ٢٩٩).

(٣) إن العبادات توقيفية، ولذا فإن تخصيص أي يوم أو شهر من السنة بعبادات أو قربات مخصوصة يحتاج إلى دليل من الشرع وقد علمنا يقينا أنه لم يرد في الشرع تخصيص شهر ربيع الأول أو أي يوم منه بميزة خاصة فأية عبادة أحدثت فيه لا شك أنها بدعة محدثة لا تستند إلى دليل. وليست لهذا الشهر أية خصوصية من بين أشهر السنة.

(٤) إختلاف الناس في تحديد اليوم الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم. بل وفي الشهر الذي ولد فيه من أعظم الأدلة على أن السلف لم يكونوا يزيدون في ليلة المولد زيادة من العبادات على سائر الليالي. فإنهم اختلفوا فيها فقيل إنه صلى الله عليه وسلم ولد في رمضان. وقيل في ربيع الأول. واختلف في أي يوم ولد فيه من أيام السنة على أقوال كثيرة بعد الاتفاق على أنه ولد يوم الإثنين، فلو كانت تلك الليلة التي ولد في صبيحتها تحدث فيها عبادة لولادة خير الخلق صلى الله عليه وسلم لكانت معلومة مشهورة لا يقع فيها اختلاف.

قال الحافظ ابن كثير بعد أن جزم بأنه لا خلاف في أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد يوم الإثنين قال: الجمهور على أن ذلك ـ أي ولادته ـ كانت في شهر ربيع الأول. فقيل لليلتين خلتا منه قاله ابن عبد البر في الاستيعاب، ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيح بن عبدالرحمن المدني، وقيل لثمان خلون منه حكاه الحميدي عن ابن حزم ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم، ونقل ابن عبدالبر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي ورجحه الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير، وقيل لعشر خلون منه نقله ابن دحية في كتابه، ورواه ابن عساكر عن أبي جعفر الباقر، ورواه مجاهد عن الشعبي كما مر وقيل لاثنتي عشرة خلت منه نص عليه ابن اسحاق، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عفان عن سعيد بن ميناء، عن جابر وابن عباس أنهما قالا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول. وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر وفيه مات. وهذا هو المشهور

عنـد الجمهور والله أعلم. وقيل لسبع عشرة خلت منه كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة، وقيل لثمان بقين منه، نقله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع بن الحافظ أبي محمد عن أبيه، والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مضين منه كما نقله عنه الحميدي وهو أثبت. وذكر ابن كثير القول بأنه ولد في رمضان فاستغربه جدا[1].

(٥) إن يوم الإثنين الموافق للثاني عشر من ربيع الأول هو يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي من السماء بلا نزاع بين من يعتد بقولهم فإنه أمر متفق عليه بين غالبية أهل السنة وأكثر من كتبوا في السير كما دلت على ذلك الآثار الثابتة عن السلف[2].

فلو كان الـدين بالرأي لكان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول يوم حزن ومأتم. فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه. فإنهم يناقضون أنفسهم وكيف يفرحون بميلاده ولا يحزنون لموته[3].

قال ابن الحـاج في المدخل في كلامه على عمل المولد: العجب العجيب كيف يعملون المولد بالمغاني والفرح والسرور كما تقدم لأجل مولده عليه الصلاة والسلام في هذا الشهر الكريم وهو عليه الصلاة والسلام قد انتقل فيه إلى كرامة ربه عز وجل وفجعت الأمة وأصيبت بمصاب عظيم لا يعدله غيره من المصائب أبدا. فعلى هذا كان يتعين البكاء والحزن الكثير وانفراد كل انسان بنفسه لما أصيب به لقوله عليه الصلاة والسلام «ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي»[4]. فلما ذكر عليه الصـلاة والسلام المصيبة به ذهبت كل المصائب التي تصيب المرء في جميع أحواله وبقيت لا خطر لها.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).
(٢) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لأبي حاتم البستي ص٤٠٠، وتاريخ الأمم والملوك للطبري (١٩٧/٣).
(٣) السنن والمبتدعات لمحمد عبدالسلام الشقيري ص(١٣٨ ـ ١٣٩).
(٤) الموطأ (١/ ٢٣٦) سنن ابن ماجه (١/ ٥١٠)، سنن الدارمي (١/ ٤٠).

فانظر والحالة هذه كيف يلعبون في هذا الشهر الكريم ويرقصون ولا يبكون ولا يحزنون ولو فعلوا ذلك لكان أقرب إلى الحال لأجل اقتراف الذنوب والحزن والبكاء من أجل فقد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك مذهبا للذنوب وممحيا لآثارها مع أنهم لو فعلوا ذلك والتزموه لكان ايضا بدعة وإن كان الحزن عليه صلى الله عليه وسلم واجبا على كل مسلم دائما لكن لا يكون على سبيل الاجتماع لذلك والتباكي وإظهار الحزن بل ذلك أعني الحزن في القلوب فإن دمعت العين فيا حبذا وإلا فلا حرج إذا كان القلب عامرا بالحزن والتأسف إذ هو المقصود بذلك كله[1].

(٦) إن صيام يوم الإثنين له خصوصية أخرى إضافة إلى ما ذكر في هذا الحديث. وذلك أنه يوم تعرض فيه الأعمال على الله تعالى. فندب النبي صلى الله عليه وسلم إلى صومه كي تعرض أعمال العبد على ربه وهو صائم، وذلك أحرى لقبولها. كما جاء ذلك في أكثر من حديث عنه صلى الله عليه وسلم من ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم)[2].

فأي الفريقين أولى بالاتباع وأقرب إلى الصواب؟ أهم أولئك الذين يصومون الإثنين من كل اسبوع ويعيشون ذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل لحظة من لحظات حياتهم بمتابعته والصلاة والسلام عليه كلما ذكر. أم أولئك الذين لا يعرفون ذكراه إلا يوما واحدا في السنة بلا هدى ولا كتاب مبين فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون.

---

(١) المدخل لابن الحاج (٢/ ١٦ - ١٧).

(٢) رواه الترمذي (٣/ ١١٣) كتاب الصوم رقم ٧٤٧ وفي سنده محمد بن رفاعة بن ثلعبة لم يوثقه غير ابن حبان، لكن له شاهد بمعناه من حديث أسامة بن زيد عند أبي داود (٢/ ٣٢٥) رقم ٢٤٣٦)، والنسائي (٤/ ٢٠١، ٢٠٢) وسنده حسن، ومن حديث حفصة عند النسائي (٤/ ٢٠٣، ٢٠٤) فيتقوى، ورواه مسلم بدون ذكر الصوم ولفظه (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال. انظروا هذين حتى يصطلحا. صحيح مسلم (٤/ ١٩٨٧) رقم ٢٥٦٥.

المطلب الرابع
من أقوال السلف في إنكار بدعة المولد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم في الاحتفال بالمولد النبوي: (لم يفعله السلف الصالح مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه ولو كان هذا خيرا محضا أو راجحا لكان السلف رضى الله عنهم أحق به منا. فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له منا وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره واحياء سنته باطنا وظاهرا ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان)[1].

وفي الفتاوى المصرية له ـ أي لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ أنه سئل عمن يعمل كل سنة ختمة في ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم هل ذلك مستحب أم لا؟ فأجاب: (الحمد لله جمع الناس للطعام في العيدين وأيام التشريق سنة وهو من شعائر الإسلام التي سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين واعانة الفقراء بالإطعام في شهر رمضان هو من سنن الإسلام فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من فطر صائما فله مثل أجره)[2]. وإعطاء فقراء القراء ما يستعينون به على القرآن عمل صالح في كل وقت، ومن أعانهم على ذلك كان شريكهم في الأجر.

وأما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية كبعض ليالي شهر ربيع الأول التي يقال إنها ليلة المولد أو بعض ليالي رجب أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال عيد الأبرار فإنها من البدع التي لا يستحبها السلف ولم يفعلوها)[3].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ص٢٩٥.

(٢) رواه الترمذي (٣/١٦٢) وابن ماجه (١/٥٥٥) والدارمي (٢/٧) وأحمد (٤/١٤٤، ١١٦) و(٥/١٩٢).

(٣) الفتاوى المصرية لابن تيمية (١/٣١٢).

وقال العلامة الإمام الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي السكندري المشهور بالفاكهاني في رسالته (المورد في الكلام على عمل المولد): (أما بعد فإنه تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد هل له أصل في الشرع؟ أو هو بدعة وحدث في الدين؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مبينا، والإيضاح عنه معينا، فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون بدليل أنا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا إما أن يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا أو مكروها أو محرما وليس بواجب اجماعا ولا مندوب. لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه وهذا لم يأذن به الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون، ولا العلماء المتدينون فيما علمت، وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت، ولا جائز أن يكون مباحا لأن الابتداع في الدين ليس مباحا باجماع المسلمين فلم يبق إلا أن يكون مكروها أو حراما)[1].

وقال ابن الحاج في المدخل بعد ذكره العوائد الرديئة التي اعتادها أهل وقته في عمل المولد والمفاسد المترتبة على عمله قال ما نصه: (فإن خلا - أي عمل المولد النبوي - منه - أي من السماع - وعمل طعاما فقط ونوى به المولد ودعا اليه الإخوان وسلم من كل زيادة في الدين فإنه ليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه لأنهم أشد الناس اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتعظيما له ولسنته صلى الله عليه وسلم. ولهم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد، ونحن لهم تبع فيسعنا ما وسعهم. وقد علم أن اتباعهم في المصادر والموارد أمر واجب شرعا[2].

---

(١) المورد في الكلام عن عمل المولد ص٢٠ - ٢٢ للشيخ تاج الدين الفاكهاني تحقيق علي حسن عبدالحميد طبعة مكتبة المعارف بالرياض.
(٢) المدخل لابن الحاج (٢/ ١١ - ١٢).

وقال الأستاذ أبو عبدالله محمد الحفار: (ليلة المولد لم يكن السلف الصالح وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم يجتمعون فيها للعبادة ولا يفعلون فيها زيادة على سائر ليالي السنة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعظم إلا بالوجه الذي شرع به تعظيمه. وتعظيمه من أعظم القرب إلى الله. لكن يتقرب إلى الله جل جلاله بما شرع. والدليل على أن السلف لم يكونوا يزيدون فيها زيادة على سائر الليالي أنهم اختلفوا فيها فقيل إنه صلى الله عليه وسلم ولد في رمضان، وقيل في ربيع الأول. واختلف في أي يوم ولد فيه على أربعة اقوال، فلو كانت تلك الليلة التي ولد في صبيحتها تحدث فيها عبادة بولادة خير الخلق صلى الله عليه وسلم لكانت معلومة مشهورة، لا يقع فيها اختلاف، ولكن لم تشرع زيادة تعظيم. ألا ترى أن يوم الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس وأفضل ما يفعل في اليوم الفاضل صومه، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة مع عظيم فضله، فدل هذا على أنه لا تحدث عبادة في زمان ولا مكان إلا إن شرعت ومالم يشرع لا يفعل، إذ لا يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما أتي به أولها، ولو فتح هذا الباب لجاء قوم فقالوا: يوم هجرته إلى المدينة يوم أعز الله فيه الإسلام، فيجتمع فيه ويتعبد، ويقول آخرون: الليلة التي أسري به فيها حصل له فيها من الشرف مالا يقدر قدره فتحدث فيها عبادة، فلا يقف ذلك عند حد. والخير كله في اتباع السلف الصالح الذين اختارهم الله له، فما فعلوه فعلناه، وما تركوه تركناه، قال: فإذا تقرر هذا ظهر أن الاجتماع في تلك الليلة ليس بمطلوب شرعا بل يؤمر بتركه)[1].

وقال السيد علي فكري في المحاضرة السادسة عشرة من المحاضرات الفكرية: لم يكن في سنة العرب أن يحتفلوا بتاريخ ميلاد لأحد منهم ولم تجر بذلك سنة المسلمين فيها سلف. والثابت في كتب التاريخ وغيرها أن عادة الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم من العادات المحدثة[2].

---

(١) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب لأحمد بن يحيى الونشريسي (٧/٩٩ - ١٠١).

(٢) المحاضرات الفكرية للسيد علي فكري ص١٢٨ المحاضرة السادسة عشرة.

وقال الشيخ محمد عبدالسلام خضر الشقيري: في السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات في الفصل الذي عقده لشهر ربيع الأول وبدعة المولد فيه: (لا يختص هذا الشهر بصلاة ولا ذكر ولا عبادة ولا نفقة ولا صدقة، ولا هو موسم من مواسم الإسلام. كالجمع والأعياد التي رسمها لنا الشارع صلوات الله وتسليماته عليه وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين. ففي هذا الشهر ولد صلى الله عليه وسلم، وتوفي فلماذا يفرحون بميلاده ولا يحزنون لوفاته؟ فاتخاذ مولده موسما، والاحتفال به بدعة منكرة ضلالة. لم يرد بها شرع ولا عقل ولو كان في هذا خير كيف يغفل عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة والتابعون وتابعوهم والأئمة وأتباعهم. لاشك أنه ما أحدثه إلا المتصوفون الأكالون البطالون أصحاب البدع، وتبع الناس بعضهم بعضا فيه إلا من عصمه الله ووفقه لفهم حقائق دين الإسلام[1].

بهذه النقول يتضح أن السلف الصالح لم يحتفلوا بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، بل تركوه. وما تركوه لا يمكن أن يكون تركهم إياه إلا لكونه لا خير فيه. كما أوضحه ابن الحاج في الجزء الرابع من المدخل حيث قال بصدد استنكاره لصلاة الرغائب ما نصه:

(ما حدث بعد السلف رضى الله عنهم لا يخلو إما أن يكونوا علموه وعلموا أنه موافق للشريعة ولم يعملوا به. ومعاذ الله أن يكون ذلك. إذ أنه يلزم منه تنقصهم وتفضيل من بعدهم عليهم. ومعلوم أنهم أكمل الناس في كل شيء وأشدهم اتباعا. وإما أن يكونوا علموه وتركوا العمل به، ولم يتركوه إلا لموجب أوجب تركه. فكيف يمكن فعله هذا مما لا يتعلل. وإما أن يكونوا لم يعلموه فيكون من ادعى علمه بعدهم أعلم منهم وأفضل وأعرف بوجوه البر وأحرص عليها، ولو كان ذلك خيرا لعلموه ولظهر لهم. ومعلوم أنهم أعقل الناس وأعلمهم وقد قال مطرّف بن عبدالله بن الشخير: عقول الناس على قدر أزمنتهم. ولأجل هذا المعنى لم يكن عندهم إشكال في الدين ولا في الاعتقادات، لوفور عقولهم، وإنما

---

(١) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للشيخ محمد عبدالسلام خضر الشقيري ص١٣٨ - ١٣٩.

حدثت الشبه بعدهم لما خالطت العجمة الألسن فلنقصان عقول من بعدهم عن عقولهم وقع ما وقع)[1].

وما نقلناه من كلام ابن الحاج من تقرير أن هذه البدعة مخالفة لمذهب السلف جملة وتفصيلا بطريق إلزام المجيزين بالحجة الدامغة. بما خلاصته: أن السلف إما أن يكونوا علموه وعملوا به، أو علموه ولم يعملوا به، وكلا الأمرين باطل، لأن السلف هم السابقون لكل فضيلة كما أنهم لم يكتموا عنا شيئا من الشرع.

وبناء عليه فإن ما أحدث بعدهم في الدين لا يعدو أن يكون بدعة وكل بدعة ضلالة. يضاف إلى ذلك أن ما تركه السلف الصالح لابد أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد تركه. وتركه سنة، كما أن فعله سنة. فمن استحب فعل ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم كان كمن استحب ترك ما فعله. ولا فرق كما بينه الإمام شمس الدين ابن القيم في إعلام الموقعين حيث قال: (فإن قيل من أين لكم إنه لم يفعله، وعدم النقل لا يستلزم نقل العدم فهذا سؤال بعيد جدا عن معرفة هديه وسنته وما كان عليه، ولو صح هذا السؤال وقيل لاستحب لنا مستحب الآذان للتراويح. وقال من أين لكم أنه لم ينقل. واستحب لنا مستحب آخـر النداء للغسل لكل صلاة. وقال من أين لكم أنه لم ينقل. واستحب لنا مستحب آخر النداء بعد الآذان للصلاة بيرحمكم الله ورفع بها صوته. وقال من أين لكم أنه لم ينقل. واستحب لنا آخر لبس السواد والطرحة للخطيب وخروجه بالشاويش يصيح بين يديه ورفع المؤذنين أصواتهم كلما ذكر الله واسم رسوله جماعة وفرادى. وقال من أين لكم أن هذا لم ينقل. واستحب لنا آخر صلاة ليلة النصف من شعبان. أو ليلة أول جمعة من رجب. وقال من أين لكم أن إحياءها لم ينقل. وانفتح باب البدعة وقال كل من دعا إلى بدعة من أين لكم أن هذا لم ينقل. ومن هذا تركه أخذ الزكاة من الخضروات والمباطخ وهم يزرعونها بجواره بالمدينة النبوية كل سنة فلا يطالبهم بزكاة ولا هم يؤدونها إليه)[2].

---

(١) المدخل لابن الحاج (٤/٢٧٨).

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم (٢/٣٩٠ ـ ٣٩١).

هذه النقول التي أوردناها عن بعض السلف فيها منهج واضح للمسلك الصحيح الذي يجب أن يسير عليه كل مسلم وينهجه كل مؤمن صادق في محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومتابعته في كل صغيرة وكبيرة.

قلت: ونحن لا نلوم العامة الذين يفعلون مثل هذه الأمور وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا بقدر ما نوجه اللوم بوجه خاص إلى بعض المنتسبين إلى العلم. أولئك الذين يعرفون طريق الحق ولكنهم يحيدون عنها، ولا يذكرون أن الاتباع أولى من الابتداع. ولكنهم يتجاهلون هذا الحق الذي لا يجادل فيه، فكيف يجهل هؤلاء أن حقيقة الحفاوة بذكرى مولد الرسول عليه السلام تتركز في اتباع ما جاء به وإحياء سنته، وأن هذه الذكرى الطيبة ليست مؤقته بزمن، وليست محددة بشهر ربيع الأول ولا غيره، بل ينبغي أن نحييها ونحتفي بها في كل لحظة من لحظات حياتنا وفي كل بقعة حللنا بها وذلك باتباع سنته والسير على نهجها، وما أظن أن مسلما يجهل أن فكرة الاحتفال بالمولد النبوي أو غير ذلك من الموالد فكرة مبتدعة جاءتنا متأخرة، وفيها تشبه باليهود والنصارى الذين لا يعرفون من الدين إلا الاحتفالات على رأس السنة بعيد ميلاد المسيح عليه السلام أو غيره الذي هو دس عليهم وليس من دينهم. ونحن قد قلدناهم في هذا العمل كما قلدناهم في أمور كثيرة. وهذا بلا شك مصداق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟)[1]. متفق عليه. وقد خشي النبي صلى الله عليه وسلم ذلك على أمته. فقال: (لا تجعلوا قبري عيدا)[2]. والعيد اسم لكل ما يعود ويتكرر أي لا تخصصوا لقبري يوما بعينه تعودونه فيه فمن خصص يوما من السنة كالثاني عشر من ربيع الأول وقع تحت هذا التحذير، ونحن بهذا لا ننكر زيارة قبره صلى الله عليه وسلم إذا فعلت بالطريقة المشروعة وبدون شد رحال أو تخصيص يوم أو شهر معين لأن شد الرحال من أجل العبادة في مكان معين خاص بالمساجد الثلاثة التي جاءت في الحديث:

---

(١) تقدم تخريجه في مبحث ذم التفرق، المبحث الخامس، الفصل الأول من الباب الأول ص١٥٤.

(٢) سنن أبي داود (٢١٨/٨) رقم ٢٠٤٢، ومسند الإمام أحمد (٣٦٧/٢).

(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ـ المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى)[1]. والأعياد المعروفة في الإسلام ثلاثة أعياد فقط عيد الفطر، وعيد الأضحي، وعيد الأسبوع الذي هو يوم الجمعة. وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على أن يوم الجمعة عيد من أعياد المسلمين منها ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صومكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده)[2].

وعن إياس بن أبي رملة الشامي، قال شهدت معاوية رضى الله عنه سأل زيد بن أرقم رضى الله عنه ـ شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين اجتمعا قال نعم صلى العيد أول النهار ـ ثم رخص في الجمعة، فقال من شاء أن يجمِّع فليجمِّع)[3].

وعن علي ابن أبي طالب رضى الله عنه قال: من كان منكم متطوعا من الشهر فليكن صومه يوم الخميس ولا يصم يوم الجمعة فإنه يوم طعام وشراب وذكر[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (سمى النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة عيدا في غير موضع ونهى عن إفراده بالصوم لما فيه من معنى العيد)[5]. وما عدا ذلك من

---

(١) البخاري (٣/٦٣) الصلاة في مسجد مكة، ومسلم (٢/٩٧٦) حج.

(٢) رواه أحمد (٢/٣٠٣ و٥٣٢)، ورواه الحاكم في المستدرك (١/٤٣٧) وقال هذا حديث صحيح ورواه ابن خزيمة في صحيحه باب الدليل على أن الجمعة يوم عيد (١/٣١٥ ـ ٣١٦). ورواه البزار كما في كشف الاستار عن زوائد البزار باب ما جاء في صوم يوم الجمعة (١/٤٩٩). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٩٩) إسناده حسن.

(٣) مسند الإمام أحمد (٤/٣٧٢) واللفظ له وسنن ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة باب ما إذا اجتمع العيدان في يوم (١/٤١٥) رقم ١٣١٠ وسنن النسائي كتاب الصلاة للعيدين (٣/١٩٤) والسنن الكبرى للبيهقي كتاب الصلاة باب اجتماع العيدين (١/٣١٧) والمستدرك للحاكم (١/٢٨٨) وقال حديث صحيح ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/٢٢٠).

(٤) المصنف لابن أبي شيبة كتاب الصيام (٣/٤٠٠) وأورده ابن حجر في الفتح ٤/٢٣٥) وقال إسناده حسن.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٥٢).

الأعياد المحدثة، ما هو إلا ضرب من البدع الضالة التي قلد المسلمون فيها أعداءهم ولا شك أن العواطف الكاذبة ودعوى حب الرسول صلى الله عليه وسلم هي التي حدت بأولئك إلى أن يبتدعوا ولا يتبعوا، وكيف تجتمع دعوى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مخالفة أمره في النهي عن الإحداث في الدين (الضدان لا يجتمعان) على حد قول القائل:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقد جعل الله تعالى ميزان محبته ودليلها هو اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[1]. وبمنطوق الآية لا يعتبر محبا لله من خرج عن الاتباع ولجأ إلى الابتداع. وما من شك في أنه يجب على كل مسلم أن يقدم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى على نفسه. فقد روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[2].

لكن هذه المحبة يجب أن تكون في الإطار الصحيح الذي جعله الله فيه بعيدا عن الغلو والتفريط فكأن أولئك الغلاة والمفرطين لم يسمعوا حديث عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله)[3].

وأي غلو أعظم من أن يعلق المرء أمله ورجاءه بمخلوق يدعوه ويستغيث به ويعقد عليه الآمال من دون الله، وهذه مقتطفات من بردة البوصيري تمثل بعض مظاهر الغلو في هذه الأمة:

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١.
(٢) رواه البخاري (١/٥٨، ح: ١٤، ١٥) ومسلم (١/٦٧، ح: ٤٤).
(٣) البخاري (٦/٤٧٨) أنبياء. وأحمد (١/٢٣).

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ... لولاه لم تخرج الدنيا إلى العدم
دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
لو ناسبت قدره آياته عظما ... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم
وكل آي أتي الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلت من نوره بهم
وكلهم من رسول الله ملتمس ... غرفا من البحر أو رشفا من الديم
لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه ... طوبى لمنتشق منه وملتثم
أقسمت بالقمر المنشق إن له ... من قلبه نسبة مبرورة القسم
ما سامني الدهر ضيما واستجرت به ... إلا ونلت جوارا منه لم يضم
ولا التمست غنى الدارين من يده ... إلا استلمت الندى من خير مستلم
يا خير من يمم العافون ساحته ... سعيا وفوق ظهور الأينق الرسم
خدمته بمديح استقيل به ... ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم
إن آت ذنبا فما عهدي بمنتقص ... من النبي ولا حبلي بمنصرم
فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم تكن في معادي آخذا بيدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم
حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه ... أو يرجع الجار منه غير محترم
ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه ... وجدته لخلاصي خير ملتزم
ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ... إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم
يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم[1]

تأمل أخي القاريء هذه الأبيات وما فيها من غلو وإطراء ومظاهر شركية تجاوز فيها الشاعر كل الحدود. حيث جعل الرسول عليه الصلاة والسلام في منزلة الإله فهو يغني ويفقر ويغفر الذنوب ويقيل العثرات وهو الملاذ والملجأ في الدنيا والآخرة بل انتهي به الأمر إلى أن جعل تصريف الكون كله بيد رسول الله صلى

---

(١) انظر تخميسة البردة.

الله عليه وسلم. دونما حياء ولا خجل من الله عز وجل وهذا هو الإطراء الذي حذر منه المصطفى صلى الله عليه وسلم في حديث عمر بن الخطاب المتقدم لا تطروني... الخ فإننا نسأل البوصيري ماذا ترك لله بعد أن جعل جميع الكون بما فيه علم اللوح والقلم من إيجاد البشر.

إن شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم غنية عن هذا الإطراء وحسبه فخرا أن الله اختاره ليكون رحمة للعالمين وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. وهذه المنزلة وإن كانت أشرف منزلة ينالها مخلوق إلا أن ذلك لا يخرجه عن كونه بشرا تجري عليه السنن الكونية التي تجري على البشر من الولادة والحياة والموت وغير ذلك من سنن الله تعالى في البشر قال تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾(١).

إن هؤلاء الغلاة قد أساءوا إلى شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يلفقونه من الأحاديث الكاذبة، والأخبار الزائفة التي تجعله في منزلة الألوهية والربوبية. مما فتح ثغرة ينفذ منها أعداء الإسلام والمسلمين إلى السخرية من الإسلام والطعن في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إننا نعتز كل الاعتزاز بشخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونؤمن بأنه سيد ولد آدم، ونعتز بتلك المعاني الحية والمبادىء القيمة التي جاء بها من عند الله. لكن يجب أن لا يحملنا هذا الاعتزاز على الخروج عن حدود المنزلة الصحيحة التي شرفه الله بها. وإننا نتساءل ماذا سنقول بعد الثناء العطر الذي أثنى الله به عليه من نحو قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾(٣). وماذا سنقول بعد أن نوه الله باسمه ورسالته خمس مرات كل يوم كل

---

(١) سورة الكهف آية ١٠٤.
(٢) سورة القلم آية ٤.
(٣) سورة التوبة آية ١٢٨.

ما رفع الآذان؟ وماذا سنقول بعد قول الله تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾[1]. وآيات وأحاديث كثيرة تتحدث عن سمو منزلته. لا يمكن حصرها في مثل هذه العجالة. وفي ما أوردناه غنية لمن تدبر وتأمل: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[2].

المبحث الثاني
بدعة تعدد الأحزاب والجماعات

إن فكرة ظهور الأحزاب والجماعات قد أشعل جذوتها وتولى كبرها وزرع بذرتها تلك الشرذمة التي أثارت الفتن ضد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه بزعامة عبدالله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام نفاقا ليدس على الإسلام وأهله. فمن ذلك الوقت بدأ ظهور الأحزاب والجماعات والفرق في الإسلام. وقد تكلمنا في ثنايا البحث عن كثير من هذه الفرق المبتدعة، ونشير هنا إشارة موجزة إلى ظهور الجماعات الإسلامية التي اختطت لنفسها طابعا حزبيا وذلك بشكل اجمالي، لتوضيح ما يجب أن تسير عليه تلك الجماعات، ولن أتعرض لها بتسمية أو تفاصيل، لأن مرادي هو التنبيه على خطورة بدعة التحزب وما يجره على المسلمين من ويلات، وما يحدثه من فرقة وفتح ثغرة ينفذ منها أعداء المسلمين إلى صفوف المسلمين من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

ونحن لا نشك في صدق نوايا كثير ممن ينتمي إلى هذه الجماعات والأحزاب، ولكن صدق النية وحده لا يكفي، إذا لم يؤسس على المنهج الذي اختاره الله لأنبيائه. بيد أننا لا نشك أيضا بأنه قد اندس في صفوف هذه الجماعات من يسعى في الكيد للإسلام وأهله.

---

(١) سورة الانشراح آية ٤.
(٢) سورة ق آية ٣٧.

ومعلوم أن تعدد هذه الجماعات ناتج عن اختلاف عظيم في الأسس والمباديء التي قامت عليها تلك الجماعات. (إن تعدد الأحزاب في أي مجتمع يعني أن هناك أمورا اجتماعية تتعارض فيها وجهات النظر وتختلف فيها الآراء بحيث لا يمكن الوصول إلى نقطة يقتنع بها الجميع، بل إن ما يراه أحد الأحزاب خيرا يراه الأخر شرا، وما يراه أحدها سعادة يراه الآخر شقاء)[1].

ومن هنا نقول إن الإسلام يمقت جميع الروابط التي تقوم على أحلاف حزبية أو طائفية مهما ادعى أصحاب تلك الأحلاف من حسن النية وسمو المقصد. فقد ربط الإسلام المسلمين برابطة عظيمة بحيث لا يمكن لأي تنظيم وضعي مهما حصل له من القوة والدقة أن يصل إلى مثلها، وأن العلاقة أو الأخوة الإسلامية هي أساس الولاء والبراء في الإسلام، فالمسلم ولي المسلم سواء عزفه أم لم يعرفه، بل ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، وهذا يعني أن الإسلام لا يتحمل في داخله تنظيما آخر بحيث تكون أسس ذلك التنظيم وقواعده أساسا للولاء والبراء، لأن هذا النوع من التنظيم اقتضي أن من انتظم فيه يستحق العون والنصرة وغيرها من الحقوق، مع أن الإسلام أعطى المسلم جميع هذه الحقوق لمجرد كونه مسلما لا لسبب آخر.

ومن هنا يتبين معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (لا حلف في الإسلام وإيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة)[2]. وذلك لأن الإسلام لما قضى على جميع المواد التي كانت أساس الولاء والبراء في الجاهلية، وجعل الإسلام نفسه مادة الولاء والبراء، وجعل جميع المسلمين سواسية في الحقوق. لم يبق عنده مجال لتعدد الجماعات والتكتلات المتفرقة بحيث لا يكون لاحداها حقوق وعلاقات بالأخرى حتى يحتاج إلى عقد التحالف بينهما.

والجهل بمقاصد الشريعة يقتضي وجود شعب من الأراء مختلفة، وسبل متفرقة، فإذا اتبع كل أناس سبيلا تفرقوا، ولو كانوا على سبيل واحد لما تفرقوا.

---

(١) الأحزاب السياسية في الإسلام لصفي الرحمن المباركفوري ص ١٩.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٤/٤٧٢)، صحيح مسلم (٤/١٩٦١) كتاب فضائل الصحابة.

لأن الإسلام واحد وأمره واحد، فاقتضى أن يكون حكمه الائتلاف التام لا الاختلاف، وهذه الفرقة المشعرة بتفرق القلوب مشعرة بالعداوة والبغضاء، ولذلك قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾(١). فبيّن أن التآلف إنما يحصل عند الائتلاف على التعلق بمعنى واحد، وهذه الجماعات المتعددة لو كان ما تدعيه صحيحا من أنها جميعا على الكتاب والسنة لما تفرقت لأن الحق واحد، لا ثاني له وتعددهم هذا دليل قاطع على اختلافهم، واختلافهم ناتج عن تعلق كل فرقة بحبل غير حبل الأخرى، حينئذ لابد من الاختلاف والتفرق والتدابر(٢).

وإن المتتبع لهذه الجماعات التي ظهرت في هذا العصر وما هي عليه من مناهج يمكنه أن يخرج بالنتائج التالية:

(١) اتفاق هذه الجماعات على إهمال الدعوة إلى العقيدة الصحيحة بدعوى أن هذا المسلك يفرق الأمة وكأن الدعوة إلى العقيدة هي سبب تفرق الأمة وذلك يخالف المنهج الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وسار عليه أصحابه من بعده، وكذلك من تبعهم بإحسان.

(٢) الجهل المطبق بأحكام الشرع لدى هذه الجماعات بل يصل إلى حد الجهل بأبسط قواعد الإسلام.

(٣) إضفاء هالة من المدح والثناء على زعماء تلك الجماعات حتى ولو كانوا جهالا أو ليسوا من الراسخين في العلم.

(٤) إيهام الجاهل بأنه عالم ومؤهل للدعوة إلى الله تعالى محتجين بقول النبي صلى الله عليه وسلم (بلغوا عني ولو آية)(٣).

ولا شك أن الحديث صحيح وأن كل مسلم عليه واجب أن يبلغ ما علم. لكن بعد أن يكون مؤهلا، لأن يكون ممن قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: (نضّر الله امرء سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها)(٤).

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣.

(٢) الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة لسليم الهلالي وزياد الدبيج ص ٣٢.

(٣) صحيح البخاري (٣/١٢٧٥).

(٤) سنن أبي داود (١/٣٢٢) سنن الترمذي (٥/٣٤) ابن ماجه (١/٤٤) وأحمد (١/٤٣٧)، (٣/٢٢٥)، (٤/٨٠ - ٨٢) (٥/١٨٣).

وأما أن يتصور أحد أن مجرد الانتساب إلى الجماعات والبيعات ومباشرة طقوسها كالخروج والسياحة في الأرض وإلقاء البيانات التي لا تعدو أن تكون حشوا من القصص الخيالية والرؤى المنامية - والكرامات المدعاة التي يضلون بها العامة، ويبهرجون بها على ضعاف الإيمان والجهلة. هذا بلا شك تصور خاطيء بل هو جهل فاضح وزلل فادح لا يمكن أن يصدر من ذي بصيرة وعلم وعقل راجح.

(٥) الخلط بين السنن والبدع واختفاء معالم السنن لدى هذه الجماعات، بل وجود هذا التحزب والانتماء إلى الجماعات بدعة لا سابقة له في الإسلام.

(٦) استقطاب كل الفرق التي تدعي الإسلام وانضواؤها تحت لواء تلك الجماعات بدون تمييز بين سني ورافضي وباطني وصوفي غال فهم كحاطب ليل يجمع ما هبّ ودبّ فهو يحطب العقرب والحية مع العود والخشب.

هذا غيض من فيض مما يعد قاسما مشتركا بين الجماعات الحزبية.

وإني أقول للقائمين على هذه الجماعات الإسلامية الدعوية اتقوا الله في من سلموكم قيادهم، وحكموكم في مصيرهم فقودوهم إلى الخير وخذوا بأيديهم إلى طريق الهدى والرشاد وعليكم بالمنهج الحق الذي بعث الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وهو الانطلاق في الدعوة من الأساس المتين والركن الركين، ألا وهو توحيد الله الخالص، والخالي من شوائب الشرك والبدع والمعاصي. وإن أية دعوة تبنى على غير هذا الأساس فمصيرها إلى الفشل الذريع لا محالة. ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[1].

جاء في كتاب منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل لشيخنا فضيلة الدكتور ربيع بن هادي مدخلي:

(هل يجوز للدعاة إلى الله في أي عصر من العصور العدول عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله)؟

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٩.

الجواب: في ضوء ما سبق وما سيأتي، لا يجوز شرعا ولا عقلا العدول عن هذا المنهج واختيار سواه.

أولا: إن هذا هو الطريق الأقوم الذي رسمه الله لجميع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم.

والله واضع هذا المنهج هو خالق الإنسان والعالم بطبائع البشر وما يصلح أرواحهم وقلوبهم ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[1].

وهو الحكيم العليم، في خلقه وشرعه، وقد شرع لأفضل خلقه هذا المنهج.

ثانيا: إن الأنبياء قد التزموه وطبقوه، مما يدل دلالة واضحة أنه ليس من ميادين الاجتهاد، فلم تجد:

(١) نبيا افتتح دعوته بالتصوف.

(٢) وآخر بالفلسفة والكلام.

(٣) وآخرين بالسياسة.

بل وجدناهم يسلكون منهجا واحدا واهتمامهم واحد بتوحيد الله أولا وفي الدرجة الأولى.

ثالثا: إن الله قد أوجب على رسولنا الكريم الذي فرض الله علينا اتباعه أن يقتدي بهم، ويسلك منهجهم، فقال بعد أن ذكر ثمانية عشر منهم ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[2].

وقد اقتدى بهداهم في البدء بالتوحيد، والاهتمام الشديد به.

رابعا: ولما كانت دعوتهم في أكمل صورها تتمثل في دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام، زاد الله الأمر تأكيدا، فأمر نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم باتباع منهجه فقال: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾[3].

---

(١) سورة الملك آية ١٤.

(٢) سورة الأنعام آية ٩٠.

(٣) سورة النحل آية ١٢٣.

والأمر باتباعه يشمل الأخذ بملته التي هي التوحيد ومحاربة الشرك ويشمل سلوك منهجه في البدء بالدعوة إلى التوحيد، وزاد الله تعالى الأمر تأكيدا ـ أيضا ـ فأمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم باتباع ملة هذا النبي الحنيف، فقال تعالى: ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾(١).

إذًا، فالأمة الإسلامية مأمورة باتباع ملته، فكما لا يجوز مخالفة ملته، لا يجوز العدول عن منهجه في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك ومظاهره ووسائله.

خامسا: قال الله تعالى:
﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾(٢).
فإذا رجعنا إلى القرآن أخبرنا أن كل الرسل كانت عقيدتهم عقيدة التوحيد وأن دعوتهم كانت تبدأ بالتوحيد وأن التوحيد أهم وأعظم ما جاءوا به.

ووجدنا أن الله قد أمر نبينا باتباعهم وسلوك منهجهم، وإذا رجعنا إلى الرسول نجد أن دعوته من بدايتها إلى نهايتها كانت اهتماما بالتوحيد ومحاربة للشرك ومظاهره وأسبابه(٣).

وما دمنا بصدد الكلام عن تعدد الجماعات وضررها على الإسلام والمسلمين فإني انقل لك أخي القاريء ما كتبه فضيلة الشيخ الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد في كتابه (حلية طالب العلم) بعنوان لا طائفية ولا حزبية يعقد الولاء والبراء عليها.

فإنه كلام مفيد ما عليه من مزيد: قال وفقه الله:
أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام والسلام، فيا طالب العلم بارك

---

(١) سورة آل عمران ٩٥.
(٢) سورة النساء آية ٥٩.
(٣) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل ص ٩١ ـ ٩٢ لفضيلة الشيخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي.

الله فيك وفي علمـك اطلب العلم، واطلب العمل وادع إلى الله تعالى، على طريقة السلف، ولا تكن خراجا ولاّجا في الجماعات فتخرج من السعة الى القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادة ومنهج، والمسلمون جميعهم هم الجماعة، وإن يد الله مع الجـماعة، فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام، وأعيذك بالله أن تتصدع فتكون نهابا بين الفرق والطوائف والمذاهب الباطلة والأحزاب الغالية تعقد سلطان الولاء والبراء عليها. فكن طالب علم على الجادة تقفو الأثر، وتتبع السنن، تدعو إلى الله على بصيرة، عارفا لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم، وإن الحزبية ذات المسـارات والقـوالب المستحـدثة التي لم يعهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم، والتفـريق عن الجـماعـة، فكم أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي وغشيت المسلمين بسببها الغواشي، فاحذر رحمك الله أحزابا وطوائف طاف طائفها، ونجم بالشر ناجمها، فما هي إلا كالميازيب تجمع الماء كدرا، وتفرقه هدرا، إلا من رحمه ربك فصار على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم[1].

وقال شيخنا فضيلة الدكتور محمد أمان علي الجامي في كتابه مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث تحت عنوان النفرة وعدم الانسجام:

توجد في العصر الحديث جماعات تدعو إلى الله ولكنها في الغالب تتخبط على غير بصيرة فالواجب على دعاة الحق أن يكونوا على بصيرة فاهمين ما يدعون إليه ومتصورين له ومؤمنين به. ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾[2].

هاتان صفتان لأتباع محمد عليه الصلاة والسلام:

(١) القيام بواجب الدعوة.

(٢) أن يكسبوا البصيرة قبل أن يشرعوا في الدعوة.

---

(١) حيلة طالب العلم للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد ص ٦١ ـ ٦٢.

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٨.

البصيرة هي العلم الذي مصدره الوحي والفقه الدقيق الذي يستفيد منه الداعية الحكمة وحسن الأسلوب وكسب القلوب والتحبب إلى الناس دون تملق ولا نفاق.

ومما تشكوه الدعوة الإسلامية هذا اليوم النفرة وعدم الانسجام وقلة التعاون بين الجماعات التي تتصدى كل واحدة منها للدعوة إلى الله. وفي الواقع أن أكثر تلكم الجماعات بحاجة ماسة إلى من يدعوهم إلى الله ويبصرهم في دينهم حتى يكونوا مؤهلين أولا في أنفسهم للدعوة بالقضاء على التنافر فيما بينهم وتنافر مناهجهم وبرامجهم في العمل.

وهذه الجماعات أشبهها بالأحزاب السياسية المتنافسة لمصالحها الشخصية وأغراضها الذاتية وهي ذاتها محنة من المحن ومشكلة من المشكلات للدعوة والدعاة معا إذا هي بقيت على وضعها ولم تعد النظر في سلوكها ومنهج عملها وبرامجها وأساليب دعوتها وسياستها فخطرها على الدعوة يفوق كل خطر يهدد الدعوة من خارجها. فعلى هذه الجماعات أن تدرس تاريخ الدعاة الأولين من الصحابة والتابعين الذين نطق بهم القرآن وبه نطقوا والذين انتشر الإسلام بدعوتهم بل عليهم أن يفهموا الدين كما فهم أولئك السادة ويسيروا سيرتهم وينسجوا على منوالهم مع ملاحظة الأساليب المناسبة في العصر الحديث والملابسات والظروف وأحوال الناس وإن لم يسلكوا هذا المسلك فسوف لا يكتب لدعوة أي نجاح أو أي تقدم لأنه عمل لم يستوف الشروط وهو عمل غير صالح. نعم قد ينطلي هذا الأسلوب على بعض الناس فترة من الزمن ويحسبهم صادقين في دعوتهم لكثرة لمعان الأسلوب ولكنه لا ينطلي على الله الذي بيده النجاح والتوفيق فعليهم أن يراقبوا الله وحده لأنه هو الذي له الأمر كله وبيده الخير كله لا إله إلا هو ولا رب سواه، وهو المستعان[١].

---

(١) مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث للدكتور محمد أمان بن علي الجامي ٢١٨ - ٢١٩ ضمن كتاب أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام.

وما دمنا بصدد الكلام على بدعة التحزب والانتماءات وكثرة الجماعات المختلفة في مناهجها والمتنافرة في أساليبها. فإننا نختم هذا المبحث بكلام نفيس لابن القيم رحمه الله إذا نظر فيه القاريء أحس وكأن ابن القيم رحمه الله يعايش هذه الجماعات التي ظهرت في هذا العصر حيث يقول عند كلامه على علامة أهل العبودية. العلامة الثانية: قوله: (ولم ينسبوا إلى اسم) أي لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاما لأهل الطريق وأيضا: فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه فيعرفون به دون غيره من الأعمال. فإن هذا آفة في العبودية. وهي عبودية مقيدة.

وأما العبودية المطلقة. فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها. فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها. فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي. بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول، وعن طريقه قال: الاتباع. وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى. وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة، وعن مقصده ومطلبه؟ قال: (يريدون وجهه) وعن رباطه وعن خانكاه.؟ قال: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه. يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة)[1] وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه   اذا افتخروا بقيس أو تميم

وعن مأكله ومشربه؟ قال: مالك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها. ترد الماء. وترعى الشجر حتى تلقى ربها.

واحسرتاه تقضّى العمر وانصرمت   ساعاته بين ذل العجز والكسل
والقوم قد أخذو درب النجاة وقد   ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل[2].

ويستطرد ابن القيم إلى أن يقول:

وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال: مالا اسم له سوى السنة.

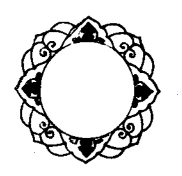
---

(١) سورة النور آية ٣٦، ٣٧.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١٧٤/٣).

يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها. فمن الناس من يتقيد بلباس غيره. أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مشية لا يمشي غيرها أو بزي وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها، وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره. وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه. فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصدودون عنه، قد قيدتهم العوائد والرسوم. والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة. فأضحوا عنها بمعزل ومنزلتهم منها أبعد منزل فترى أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة وتفريغ القلب. ويعد العلم قاطعا له عن الطريق. فإذا ذكر له الموالاة في الله، والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. عدّ ذلك فضولا من بينهم، وعدوه غيرا عليهم. فهؤلاء أبعد الناس عن الله. وإن كانوا أكثر إشارة والله أعلم[١].

ويعني الإمام ابن القيم بقوله: (وقد سئل بعض الأئمة عن السنة) فقال مالا اسم له سوى السنة. يعني بذلك ما نقله القاضي عياض عن الإمام مالك حيث قال:
وسأل رجل مالكا من أهل السنة يا أبا عبدالله؟ قال الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي ولا رافضي ولا قدري[٢]. وما جاء في معناه من أقوال السلف.



(١) مدارج السالكين (٣/١٧٦).
(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض (١/١٧٢).

خاتمــة

بعـد أن بينا كمال هذا الدين وأنه مصدر كل سعادة وفلاح في الدارين.
وبعد أن بينا منهج السلف في دحض البدع والمبتدعين فإننا نختم البحث بخلاصة تشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: طريق الخلاص.
المبحث الثاني: علامات أهل الحق.
المبحث الثالث: دين الله واحد.
المبحث الرابع: لزوم الجماعة.
المبحث الخامس: الحق لا يعرف بكثرة الأتباع.
المبحث السادس: مسك الختام.

المبحث الأول
طريــق الخــلاص

قد يتساءل المسلم عن طريق الخلاص من هذه الظلمات والتيارات المختلفة المحيطة بالمسلمين من كل مكان. فأقول وبالله التوفيق:

إن طريق الخلاص وعنوان السعادة وسبب النجاة من عذاب الله هو التمسك بكتاب الله تعالى ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. فإنهما. أعني الكتاب والسنة هما المصدر الوحيد لعقيدة الإسلام وشريعته، فأي منهج جانب هذا الطريق فإنه منهج خاسر. فالتمسك بالسنة هو سبيل المؤمنين، وطريق الوصول إلى مرضاة رب العالمين، والحصن الحصين الذي يحفظ الله به من بدع المبتدعين، وانتحال المبطلين وسبيل الهالكين.

قال ابن القيم في بيان أن اتباع السنة هو أعظم نعمة يمتن الله بها على عباده: وهذه النعمة المطلقة هي التي يفرح بها في الحقيقة والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه وهو لا يحب الفرحين. قال الله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾[1]. وقد دلت أقوال السلف على أن فضله ورحمته الإسلام والسنة وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بهما. وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحا حتى إن القلب إذا باشر روح السنة ليرقص فرحاً. أحزن ما يكون الناس، فإن السنة حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، والذي من دخله كان إليه من الواصلين تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم ويسعى نورها بين أيديهم إذا طفئت لأهل البدع والنفاق أنوارهم وأهل السنة هم المبيضة وجوههم إذا اسودت وجوه أهل البدعة قال تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾[2]. قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف وتسود وجوه

---

(١) سورة يونس آية ٥٨.

(٢) سورة آل عمران ١٠٦.

أهل البدعة والتفرق. وهي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداه وفوزه قال تعالى: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾[1]. فصاحب السنة حي القلب مستنيره وصاحب البدعة ميت القلب مظلمه[2].

إذًا فطريق الخلاص هو الرجوع إلى الكتاب والسنة، وفهم ذلك على النهج القويم الذي كان عليه السلف الصالح، ومن ثم تعريف الناس بدينهم الحق ودعوتهم إلى العمل بتعاليمه وأحكامه، والتحلي بفضائله وآدابه، التي تكفل لهم رضوان الله تعالى، وتحقق لهم السعادة والمجد في الدارين، وتحذر المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره، ومن البدع والأفكار الدخيلة والأحاديث المنكرة والموضوعة التي شوهت جمال الإسلام، وحالت دون تقدم المسلمين، ومن ثم إحياء التفكير الإسلامي الحر في حدود وإطار القواعد الإسلامية، وإزالة الجمود الذي ران على عقول كثير من المسلمين، وأبعدهم عن منهل الإسلام الصافي، ولا يتحقق سلوك هذا الطريق إلا بالتصفية وذلك برجوع المسلمين إلى الدين الحق المصفى من كل دخيل وتربية الأجيال على أسس هذا المعين الزلال وذلك بتصفية العقيدة الإسلامية وتنقيتها من آراء الفرق الضالة، والجماعات المنحرفة والطوائف الزائغة عن طريق الهدى والرشاد مثل فرق الجهمية والمعتزلة والخوارج والقدرية والمرجئة وغلاة الرافضة والباطنية وأصحاب الطرق الصوفية وأذكارهم الشركية والمبتدعة.

وكذا تصفية المذاهب الفقهية من بدعة التعصب المذهبي والاعتماد على الأراء المجردة ولو قام الدليل على خلافها من الكتاب والسنة، والتي حدت بكثير من المسلمين إلى نبذ الكتاب والسنة وراء الظهر، وقد ساق الإمام ابن القيم ثلاثا وسبعين مثالا من السنن الصحيحة التي تركت وهجرت بسبب التعصب للمذهب[3]. وكذا تجب تصفية كتب تفسير القرآن والأحاديث مما خالطها وشوه

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٢.

(٢) اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية ص ٣، ٤.

(٣) أعلام الموقعين (٢/ ٢٩٤ إلى ٤٣٤).

جمالها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات الساقطة.

والخلاصة أن الطريق واضح والمنهج بيّن لمن وفقه الله تعالى وآثر الآخرة على الدنيا والهدى على الضلالة والآجلة على العاجلة. ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[؟].

المبحث الثاني
علامات أهل الحق

إن الحق بيّن واضح لمن طلبه وطريقه معبد مذلل لمن أراد سلوكه وعلامات أهله متميزة يدركها من كان عنده أدنى مسكة من إيمان وبقية من عقل سليم ومن أهم تلك العلامات ما يلي:

(١) الاعتصام بالكتاب والسنة والعض على ذلك بالنواجذ.

(٢) التحاكم إليهما في الأصول والفروع.

(٣) حبهم لأهل السنة والمتمسكين بها وبغضهم لأهل البدعة والمرتكسين فيها.

(٤) لا يستوحشون من قلة السالكين فإن الحق ضالة المؤمن أنّى وجده اتبعه ولو خالفه كل الناس.

(٥) الصدق في الأقوال والأفعال بالتطبيق الصحيح لهدي الكتاب والسنة، متأسين بخير البرية صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن.

قال الشيخ أبو اسماعيل الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩هـ: واحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة، وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع، الذين يدعون إلى النار. ويدلون أصحابهم على دار البوار، وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلا منه جل جلاله[١].

---

(١) عقيدة أهل الحديث للصابوني المطبوعة ضمن الرسائل الكمالية (١١٨/٣).

ومن أهم علامات أهل السنة قبولهم الأخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يسألوا عنها بكيف ولماذا؟ بل يكتفون بصحة سندها إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم وينكـرون أشد الإنكار على من اعترض على الأحاديث الصحيحة.

فهذا أبو اسماعيل الصابوني يذكر لنا شاهدا على ذلك وهو موقف الخليفة العباسي هارون الرشيد رحمه الله ممن اعترض على الحديث بكيف.

قال الصـابـوني: (كـان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد فحدثه بحديث أبي هريرة (احتج آدم وموسى)[1]. فقال عيسى بن جعفر كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟ قال فوثب به هارون الرشيد وقال يحدثك عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتعارضه بكيف؟ قال: فما زال يقول حتى سكت عنه، هكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق، وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد رحمه الله مع من اعترض على الخبر الصحيح، الذي سمعه بكيف؟ على طريق الإنكار له، والابتعاد عنه، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد عن الرسول صلى الله عليه وسلم. جعلنا الله سبحانه من الـذين يستمعـون القـول فيتبعـون أحسنه، ويتمسكون في دنياهم مدة حياتهم بالكتاب والسنة وجنبنا الأهواء المضلة والآراء المضمحلة والأسواء المذلة فضلا منه ومنة[2].

---

(١) صحيح البخـاري مع الفتـح (٤٧٧/١٣) كتـاب التوحيد صحيح مسلم (٢٠٤٢/٤) كتاب القدر، ولفظ البخاري (احتج آدم وموسى، فقال موسى. أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة، قال آدم. أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه ثم تلومني على أمر قد قدر عليّ قبل أن اخلق، فحجَّ آدم موسى).

(٢) عقيدة أهل الحديث للصابوني المطبوعة ضمن الرسائل الكمالية (١٢٢/٣).

المبحث الثالث
ديـن اللـه واحـد

إن دين الله واحد، هو دين الإسلام وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد سواه، لا سيما وأنه الدين الشامل الكامل كما فصلنا ذلك في غير موضع.

قال الله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾(١). وقال تعالى: ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)(٣).

وقوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾(٤). عام في كل زمـان، ولكن الشرائع تتنـوع، كما قال تعـالى: ﴿لكـل جعلنـا منكم شرعـة ومنهاجا﴾(٥). فدين الإسلام هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على ألسنة رسله، وأصول هذا الدين وفروعه روايته عن الرسل، وهو ظاهر غاية الظهور، يمكن كل مميز من صغير وكبير، وفصيح وأعجمي، وذكي وبليد. أن يدخل فيه بأقصر زمان، وأنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك، من إنكار كلمة، أو تكذيب، أو معارضة، أو كذب على الله أو ارتياب في قول الله تعالى، أو رد لما أنزل، أو شك فيما نفى الله عنه الشك، أو غير ذلك مما في معناه، فقد دل الكتاب والسنة على ظهور دين الإسلام، وسهولة تعلمه، وإنه يتعلمه الوافد ثم يولي في وقته. وأما من شرع دينا لم يأذن به الله، فمعلوم أن أصوله المستلزمة له لا يجوز أن تكون

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩.

(٢) سورة المائدة آية ٣.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٦/٤٧٨) وصحيح مسلم (٤/١٨٣٧).

(٤) سورة آل عمران آية ٨٥.

(٥) سورة المائدة آية ٤٨.

منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن غيره من المرسلين، إذ هو باطل، وملزوم الباطل باطل، كما أن لازم الحق حق[1].

المبحث الرابع
لزوم الجماعة

الجماعة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان[2].

وجاء في شرح العقيدة الطحاوية: (والجماعة جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين. فاتباعهم هدى وخلافهم ضلال)[3].

وقد جاءت نصوص القرآن والسنة تأمر بلزوم الجماعة وتحذر من مفارقتها بأي حال من الأحوال. قال الله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾[4]. وقال تعالى: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾[6]. وقال تعالى: ﴿ولا تكونوا

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٥٨٥ ـ ٥٨٦.
(٢) الاعتصام للشاطبي (٢٨/١).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٠.
(٤) سورة النساء آية ١١٥.
(٥) سورة النور آية ٥٤.
(٦) سورة الأنعام آية ١٥٣.

كالــذين تفـرقـوا واختلفـوا من بعـد ما جاءهم البينـات، وأولئـك لهم عذاب عظيم﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء، إنما أمرهم إلى الله، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾[2].

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لا تجتمع أمتي على ضلالة أو قال أمة محمد على ضلالة ويد الله على الجماعة)[3].

وثبت في الحديث الذي رواه العرباض بن سارية رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعـدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)[4].

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، - يعني - الأهواء - كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)[5]. وفي رواية قالوا: من هي يارسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي)[6]. وأحاديث أخر في هذا الباب تأمر بلزوم الجماعة وتحذر من الشذوذ والمخالفة.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٥.

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٩.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/٤٦٦) رقم ٢١٦٧ في الفتن باب لزوم الجماعة واستغربه وفيه سليمان بن سفيان ضعيف لكن له شاهد عند الترمذي (٤/٤٦٦) والحاكم (١/١١٦) بسند صحيح من حديث ابن عباس ولفظه عند الحاكم لا يجمع الله أمتي على ضلالة أبدا. ويد الله على الجماعة.

(٤) تقدم تخريجه في مبحث حكم الاحداث في الدين، المبحث الثاني، الفصل الأول، الباب الثاني ص٨٩.

(٥) تقدم تخريجه في مبحث ذم التفرق ص ٢٥.

(٦) هذه الرواية فيها ضعف، وحسنها الترمذي (٥/٢٦) رقم ٢٦٤١ كتاب الايمان.

فاحذر أخي المسلم من سلوك منهج المبتدعة المفارقين لجماعة المسلمين والمستنين بغير سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم. وما أحسن قول الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال: من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[1].

وبعد اتفاق المسلمين على وجوب لزوم الجماعة اختلف العلماء في مدلول هذه الجماعة التي جاءت النصوص بلزومها على خمسة أقسام نوردها باختصار مع الترجيح من الاعتصام للشاطبي.

الأول: إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام، وهو الذي يدل عليه كلام أبي غالب: إن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة الجاهلية، سواء خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم. فهو مخالف للحق وممن قال بهذا أبو مسعود الأنصاري وابن مسعود.

فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدوا الأمة وعلماؤها، وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم، لأنهم تابعون لهم مقتدون بهم، فكل من خرج عن جماعتهم، فهم الذين شذوا وهم نهبة الشيطان ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة، ولم يدخلوا في سوادهم بحال.

الثاني: إنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين، فمن خرج عما عليه علماء الأمة مات ميتة جاهلية، لأن جماعة الله العلماء، جعلهم الله حجة على العالمين، وهم المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام، (إن الله لن يجمع أمتي على ضلالة) وذلك

---

(١) تقدم تخريجه في مبحث ذم التفرق ص ٢٦.

أن العامة عنها تأخذ دينها، وإليها تفزع من النوازل، وهي تبع لها، فمعنى قوله (لن تجتمع أمتي) لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة.

وممن قال بهذا عبدالله بن المبارك واسحاق بن راهويه وجماعة من السلف وهو رأي الأصوليين. فعلى هذا القول لا مدخل في السؤال لمن ليس بعالم مجتهد، لأنه داخل في أهل التقليد، فمن عمل منهم بما يخالفهم فهو صاحب الميتة الجاهلية ولا يدخل أيضا أحد من المبتدعين، لأن العالم أولا لا يبتدع، وإنما يبتدع من ادعى لنفسه العلم وليس كذلك.

الثالث: إن الجماعة هي الصحابة على الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلا. وممن قال بهذا القول عمر بن عبدالعزيز يقول (سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال الطاعة لله وقوة على دين الله - ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر فيما خالفها، من اهتدى بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا[1].

فعلى هذا القول لفظ الجماعة مطابق للرواية الأخرى في حديث (ما أنا عليه وأصحابي).

الرابع: إن الجماعة، هي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل إتباعهم، وهم الذين ضمن الله لنبيه عليه الصلاة والسلام، أن لا يجمعهم على ضلالة، فإن وقع بينهم اختلاف وجب تعرف الصواب فيما اختلفوا فيه. قال الشافعي، الجماعة لا تكون فيها غفلة عن معنى كتاب الله، ولا سنة ولا قياس، وإنما تكون الغفلة في الفرقة. وكأن هذا القول يرجع إلى الثاني وهو يقتضي أيضا ما يقتضيه، أو يرجع إلى القول الأول وهو

---

(١) تقدم تخريجه في المبحث الثالث سبيل المؤمنين الفصل الأول، الباب الأول ص ٢٢.

الأظهر، وفيه من المعنى ما في الأول من أنه لابد من كون المجتهدين فيهم، وعند ذلك لا يكون مع اجتماعهم على هذا القول بدعة أصلا فهم إذن الفرقة الناجية.

الخامس: ما اختاره الطبري الإمام من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فأمر عليه الصلاة والسلام بلزومه ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم، لأن فراقهم لا يعدو إحدى حالتين ـ إما للنكير عليهم في طاعة أميرهم، والطعن عليه في سيرته المرضية لغير موجب، بل بالتأويل في إحداث بدعة في الدين ـ كالحرورية التي أمرت الأمة بقتالها وسماها النبي صلى الله عليه وسلم مارقة من الدين، وإما لطلب إمارة مع انعقاد البيعة لأمير الجماعة فإنه نكث عهد ونقض عهد بعد وجوبه. وقد قال صلى الله عليه وسلم (من جاء إلى أمتي ليفرق جماعتهم، فاضربوا عنقه كائنا من كان)[1]. قال الطبري فهذا معنى الأمر بلزوم الجماعة.

وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة ـ كالخوارج ومن جرى مجراهم.

فهذه خمسة أقوال دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع، وأنهم المرادون بالأحاديث، فلنأخذ ذلك أصلا ويبنى عليه معنى آخر. وذلك أن الجميع اتفقوا على اعتبار أهل العلم والاجتهاد سواء ضموا إليهم العوام أم لا، فإن لم يضموا إليهم فلا إشكال أن الاعتبار ـ إنما هو بالسواد الأعظم من العلماء المعتبر اجتهادهم، فمن شذ عنهم فمات فميتته جاهلية، وإن ضموا إليهم العوام بحكم التبع لأنهم غير عارفين بالشريعة، فلابد من رجوعهم في دينهم إلى العلماء، فإنهم لو تمالأوا على مخالفة العلماء فيما حدوا لهم لكانوا هم الغالب والسواد الأعظم في ظاهر الأمر لقلة العلماء وكثرة الجهال، فلا يقول أحد. إن اتباع جماعة العوام هو

---

(١) لفظ مسلم عن زياد بن علاقة. قال سمعت عرفجة قال. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنا من كان. انظر صحيح مسلم (١٤٧٩/٣).

المطلوب، وإن العلماء هم المفارقون للجماعة والمذمومون في الحديث. بل الأمر بالعكس وان العلماء هم السواد الأعظم وإن قلوا، والعوام هم المفارقون للجماعة وإن خالفوا، فإن وافقوا فهو الواجب عليهم[1].

ومما تقدم نستطيع القول أن الجماعة أو أهل السنة والجماعة، أو الفرقة الناجية، هم الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان من العلماء المجتهدين السائرين على منهج الكتاب والسنة ومن تبعهم في ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذه الجماعة موجودة وقائمة بإذن الله تعالى حتى قيام الساعة، ومن هنا نقول إننا لا نعتبر الجماعة بسواد الناس ودهماء العامة وكثرة الأتباع.

المبحث الخامس
الحق لا يعرف بكثرة الأتباع

بناء على هذا فإنه لا عبرة بكثرة دعاة الشر وفي مقدمتهم دعاة تلك البدع والمحدثات التي طغت وانتشرت وتهافت عليها الناس تهافت الفراش على النار في الوقت الذي ضيعوا فيه الفرائض وأهملوا الواجبات وغرقوا في المنكرات حتى أصبح الكثير منهم لكثرة مخالفتهم للشرع ينطبق عليهم قول القائل.

مساويء لو قسمنَ على الغواني ... لما أمهرن إلا بالطلاق

ومن الغريب حقا أن يرمي هؤلاء المبتدعون أهل السنة والمتمسكين بها بالجمود والتزمت وغير ذلك من الألقاب التي يطلقونها زورا وبهتانا، ولكن هيهات، هيهات أن ينالوا مآربهم فإن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم قد بشرنا ببشارة عظيمة. وهي بقاء الطائفة المؤمنة وثباتها وصمودها أمام كل التيارات التي تحيط بها ولو اجتمع عليهم من بأقطار المعمورة ـ لذا لا ينبغي لعاقل أن يغتر بما يفعله سواد الناس ودهماء العامة في سائر الأقطار من البدع والمحدثات فإن الحق لا يعرف

---

(١) من الاعتصام بتصرف (٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦٦).

بكثرة الفاعلين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية. قال تعالى ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾[1]. وقال تعالى ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾[2]. وقال تعالى ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾[3]. وقال تعالى ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[4]. وقوله تعالى ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾[5]. إلى غير ذلك من الآيات.

فدعوى أن العبرة بالسواد الأعظم وكثرة الأتباع دعوى باطلة متهافتة لا تستند إلى دليل شرعي صحيح. بل هي دعوى مناقضة للحق ومخالفة لمنهج الله عز وجل.

وغاية ما يمكن أن يتمسك به أصحاب هذه الدعوى حديث ضعيف ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حديث (فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم)[6].

إن الأكثرية ليس لها اعتبار في نظر الشرع، فليس الإسلام دينا جمهوريا أو أكثريا أو ديمقراطيا يحكم في المسائل حسب رأي الجمهور بل إنه يقرر حكم الله في كل مسألة وإنه لمن المعلوم أن أهل الحق بإزاء أهل الباطل قلة، وهذه سنة الله في خلقه في الحياة الدنيا، فالكثرة ليس لها وزن في هذا المضمار، والأحاديث التي تشير إلى تفرق الأمة تثبت بدون شك أن الأكثرية الساحقة ستتولى سبيلا غير سبيل المؤمنين.

وإذًا فتفسير الفرقة الناجية بأنها السواد الأعظم تفسير باطل معارض للنصوص الصريحة الصحيحة ومصادم للعقل والواقع.

---

(١) سورة الأنعام آية ١١٦.
(٢) سورة يوسف آية ١٠٦.
(٣) سورة يوسف آية ١٠٣.
(٤) سورة سبأ آية ١٣.
(٥) سورة ص آية ٢٤.
(٦) رواه ابن ماجه (١٣٠٣/٢) كتاب الفتن (٨)، وأحمد في مسنده (٢٧٨/٤، ٣٥٧، ٣٨٣) والحديث ضعيف جدا لأن فيه أبا خلف الأعمى، واسمه حازم بن عطاء وهو ضعيف. وقد جاء الحديث بطرق في كلها نظر. راجع المشكاة (٦١/١) وصحيح الجامع ١٨٤٨ وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي على سنن ابن ماجه (١٣٠٣/٢).

مسك الختام

ومهما يكن من أمر فالمسلم مطالب باتباع سبيل المؤمنين ومنهج الأنبياء والمرسلين والطريق الموصل إلى مرضاة رب العالمين دون انتهاء إلى حزب أو فرقة أو جماعة غير حزب الله المؤمنين ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾[1]. غير مكترث بكثرة المخالفين إذ الحق أحق بالاتباع ولو خالفه الناس.

فالفرقة الناجية تقف على أرض صلبة وتسير بخطى ثابتة تتحطم أمامها كل التيارات، وتتبدد من حولها دياجير الظلمات كيف لا وقد وعد الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين المخلصين بالظهور والتمكين. قال تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾[2].

وقال تعالى ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[3].

ومن تأمل هذه الأيات وما جاء في معناها علم بيقين أن الخير باق في هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس ومعلوم أن الحق في صراع دائم مع الباطل وأنصاره، ومهما كانت للباطل من صولة وغلبة فإنه لابد من ظهور الحق وغلبته إذ هو نور والنور لا يستره الظلام. ومعلوم أن العاقبة للتقوى فلا ينبغي أن يستولي علينا اليأس والقنوط عند طغيان الباطل إذا علمنا بيقين أن الحق يعلو ولا يعلى فكلما اشتد غلس الليل اقترب ظهور النهار.

---

(١) سورة المجادلة آية ٢٢.

(٢) سورة النور آية ٥٥.

(٣) سورة الصف آية ٨، ٩.

ومن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أخبر عن مستقبل هذه الأمة حتى قيام الساعة، وأخبر أنه لا تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرة منتصرة، لا يضرها من ناصبها العداء حتى يأتيها أمر الله تعالى وهي على ذلك.

فأشاع في نفوسنا الأمل، وبدد دياجير الظلام واليأس والقنوط. فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة)(١).

فهذا الحديث الصحيح وما جاء في معناه يؤكد ويدل دلالة قاطعة على وجود طائفة منصورة ظاهرة على مر الأزمان والعصور، وهذه الطائفة المنصورة هي الجماعة التي تسير على نهج الصحابة الكرام وهذه الطائفة تنجو من الخسران والنار. التي هي مصير الإثنتين والسبعين فرقة، لأنها جميعها جانبت الصواب وحادت عن الحق فضلت واضلت.

فعليك أخي المسلم بلزوم الجماعة وسلوك درب الهدى والسير وفق صراط الله المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وأتباعهم بإحسان.

---

(١) حديث صحيح مستفيض عن جماعة من الصحابة رواه أحمد والبخاري ومسلم عن حديث معاوية والمغيرة بن شعبة، ورواه مسلم والترمذي وأحمد (٥/٢٧٨ - ٢٧٩) وأبو داود في الفتن والحاكم (٤/٤٤٩) من حديث ثوبان وعن مسلم أيضا من حديث عقبة بن نافع، ورواه المزني في مسنده (٥/٢٦٩) ورواه أحمد وأبو داود والحاكم من حديث عمران بن الحصين وصححه ووافقه الذهبي، وفي المستدرك عن عمر بن الخطاب (٤/٤٤٩) وصححه ووافقه الذهبي وجاء من طرق أخرى بلفظ (لا يزال هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة). أخرجه أحمد (٥/٩٢، ٩٤، ١٠٥) والطيالسي رقم (٧٥٦) عن جابر بن سمرة مرفوعا، وهو صحيح على شرط مسلم، أخرجه مسلم في صحيحه (٦/٥٣) بلفظ (لن يبرح هذا الدين). ورواه أحمد (٥/١٠٣، ١٠٦، ١٠٨) وصح الحديث أيضا بلفظ (لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش) أخرجه مسلم (٦/٤)، وأحمد (٥/٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩) عن جابر بن سمرة مرفوعا. انتهى مختصرا من سلسلة الأحاديث الصحيحة. حديث رقم ٢٧٠.

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

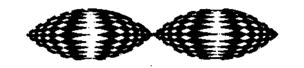
سورة المائدة

سورة الأنعام



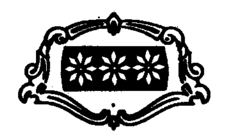
تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

فهرس الأحاديث



فهرس الآثار

الرقم	الأثـــر	القائل	رقم الصفحة
٢٤	أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع	معاذ بن جبل	١٢٢
٢٥	البدعة أحب إلى إبليس من المعصية	سفيان الثوري	١٦٥
٢٦	تبيض وجوه أهل السنة	ابن عباس	٢٦٢
٢٧	تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه	أبوالعالية	٥٤
٢٨	تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله	ابن مسعود	٦٨
٢٩	تعلموا قبل أن يقبض العلم	أبوالدرداء	١٢٢
٣٠	تكلمي فإن هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية	أبوبكر الصديق	٩٤
٣١	حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد..	الشافعي	٧٠
٣٢	دع الباطل أين أنت عن الحق	سفيان الثوري	٧٠
٣٣	ذكّرنا ربنا فيقرأ أبوموسى وهم يستمعون	عمر بن الخطاب	١٨٢
٣٤	سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سنناً	عمر بن عبدالعزيز	٢٢، ٢٧٠
٣٥	السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان	أبوبكر بن عياش	٤٢
٣٦	عليك بتقوى الله تعالى والاستقامة..	ابن عباس	٦٨
٣٧	عليكم بالسبيل والسنة	أبي بن كعب	٥٥
٣٨	عليكم بما عليه الحمالون والنساء في البيوت	سفيان الثوري	٧٠
٣٩	كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة	الزهري	٥٤
٤٠	كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة	عبدالله بن عمر	٦٦
٤١	كل عبادة لم يتعبّدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبّدوها	حذيفة بن اليمان	٦٥
٤٢	كُل ما شئت وألبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف ومخيلة	ابن عباس	١١٥
٤٣	كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر	مالك بن أنس	١٤٤
٤٤	كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير	ابن مسعود	١٧٧
٤٥	لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة	حذيفة بن اليمان	١٧٢
٤٦	لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئا	الحسن	٦٩
٤٧	لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء ما قبلته	الليث بن سعد	٧٠
٤٨	ليكن مجلسك مع المساكين واحذر أن تجلس مع صاحب بدعة	ابن المبارك	٧٩
٤٩	ما أحدث رجل بدعة فراجع سنة	ابن سيرين	٦٩
٥٠	ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن	ابن مسعود	٢١١، ٢١٢
٥١	ما كان رجل على رأي من البدعة..	علي بن أبي طالب	١٧٢
٥٢	مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون	أبو الدرداء	١٢٢
٥٣	من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة..	مالك بن أنس	٧٠



فهرس المراجع

١ - الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة:
لأبي عبدالله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي المتوفي سنة ٣٨٧هـ
دار الراية للنشر والتوزيع.

٢ - الإبداع في مضار الابتداع:
للشيخ الأستاذ علي محفوظ المتوفي سنة ١٣٦١هـ
الطبعة السابعة - دار الاعتصام - القاهرة.

٣ - الإبهاج في شرح المنهاج:
لعلي بن عبد الكافي السبكي وابنه تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي.
طبعة دار الكتب العلمية - بيروت

٤ - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية:
للعلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - المتوفي سنة ٧٥١هـ
مطابع الفرزدق التجارية بالرياض
تحقيق عواد المعتق

٥ - الأحزاب السياسية في الإسلام:
لصفي الرحمن المباركفوري
دار الصحوة - بمصر.

٦ - الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان.
ترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارسي - المتوفي سنة ٧٣٩هـ
قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوت.
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٧ - أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام:
للشيخ محمد بخيت المطيعي
طبع ونشر جمعية الأزهر العلمية - مصر
الطبعة الثانية ١٣٥٨هـ

٨ - الإحكام في أصول الأحكام:
لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري.

دار الكتب العلمية بيروت
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ

٩ ـ أخبار القضاة:
للقاضي وكيع بن الجراح المتوفي سنة ٣٠٦هـ
مطبعة عالم الكتب ـ بيروت

١٠ ـ الاستقامة:
لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨هـ.
الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١١ ـ الاعتصام:
للعلامة أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي.
دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.

١٢ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين:
لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ المتوفي سنة ٧٥١هـ
مكتبة الكليات الأزهرية ـ الصنادقية بالقاهرة.

١٣ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:
للعلامة محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية ـ المتوفي ٧٥١هـ
المكتب الإسلامي ـ بيروت. مكتبة الخاني ـ الرياض.

١٤ ـ إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم:
لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨هـ.
مطابع المجد.

١٥ ـ الأم:
للإمام محمد بن إدريس الشافعي ـ المتوفي سنة ٢٠٤هـ
مطبعة كتاب الشعب.

١٦ ـ الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع:
للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ المتوفي سنة ٩١١هـ
تحقيق مصطفى عاشور.
مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ـ بولاق ـ القاهرة.

١٧ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨هـ.

١٨ ـ الإيمان:
لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨هـ.

المكتب الإسلامي.
١٩ ـ الباعث على إنكار البدع والحوادث:
للشيخ محمد بن عبدالرحمن بن إسماعيل. المعروف بأبي شامة ـ المتوفي سنة ٦٦٥هـ.
تحقيق عثمان أحمد عنبر.
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ ـ دار الهدى ـ للنشر والتوزيع.
٢٠ ـ البداية والنهاية:
للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ـ المتوفي سنة ٧٧٤هـ
دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٢١ ـ البدعة أسبابها ومضارها:
للشيخ محمود شلتوت ـ المتوفي سنة ١٣٨٣هـ
تحقيق علي حسن عبد الحميد
مكتبة ابن الجوزي.
٢٢ ـ البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها:
للدكتور عزت علي عيد عطية.
دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.
٢٣ ـ بدعة التعصب المذهبي وآثارها الخطيرة في جمود الفكر وانحطاط المسلمين.
للشيخ محمد عيد عباسي.
دار الوعي العربي.
٢٤ ـ البدعة وأثرها السيء في الأمة:
لسليم الهلالي.
الناشر: المكتبة الإسلامية ـ عمان، الأردن ـ الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
٢٥ ـ البدع والنهي عنها:
لمحمد بن وضاح القرطبي.
تحقيق محمد أحمد دهمان
دار البصائر ـ دمشق.
٢٦ ـ بيان خطأ من أخطأ على الشافعي.
لأبي بكر البيهقي.
تحقيق الدكتور نايف الدعيس.
مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى.
٢٧ ـ تاريخ الرسل والملوك:

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ المتوفي سنة ٣١٠هـ.
تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.
الطبعة الرابعة ـ دار المعارف.
٢٨ ـ تاريخ التشريع الإسلامي:
للشيخ محمد الخضري بك.
طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة التاسعة ١٣٩٠هـ.
٢٩ ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري:
لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ـ المتوفي سنة ٥٧١هـ
دار الكتاب العربي. بيروت ـ لبنان.
٣٠ ـ التحذير من البدع:
للشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز.
مطابع الجامعة الإسلامية ـ الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ
٣١ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي:
للحافظ أبي العلي محمد عبدالرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ـ المتوفي ١٣٥٣هـ
مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بمصر.
٣٢ ـ ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة:
للأستاذ الطاهر أحمد الزاوي.
الناشر: مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ الطبعة الثانية.
٣٣ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي المتوفي ـ سنة ٥٤٤هـ
تحقيق محمد تاويت الطنجي.
الطبعة الثانية ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.
٣٤ ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف:
لأبي محمد عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري ـ المتوفي سنة ٦٥٦هـ.
طبع المكتبة العصرية ـ بيروت.
٣٥ ـ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار:
لمحمد رشيد رضا.
دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.
٣٦ ـ تفسير القرآن العظيم:
لأبي الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفي ـ سنة ٧٧٤هـ
مطبعة كتاب الشعب ـ القاهرة.

٣٧ ـ تلبيس إبليس:
لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي.
دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
٣٨ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال:
للإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزِّي ـ المتوفي ـ سنة ٧٤٢هـ.
دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ بيروت.
٣٩ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد:
للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب المتوفي ـ سنة ١٢٣٣هـ
المكتب الإسلامي ـ الطبعة الثانية.
٤٠ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:
للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.
تحقيق محمد زهري النجار.
المؤسسة السعيدية بالرياض.
٤١ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن:
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي ـ سنة ٣١٠هـ
الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ
شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٤٢ ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله:
لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي المتوفي سنة ٤٦٣هـ
دار الفكر ـ بيروت.
٤٣ ـ جامع العلوم والحكم:
لأبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.
طبع دار المعرفة ـ بيروت.
٤٤ ـ الجامع الكبير:
للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي المتوفي ـ ٩١١هـ
نسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٩٥ حديث الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤٥ ـ الجامع لأحكام القرآن:
لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ المتوفي ـ سنة ٦٧١هـ
الطبعة الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية ـ دار القلم.
٤٦ ـ الجامع لشعب الإيمان:
للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفي ـ سنة ٤٥٨هـ

تحقيق د/ عبد العلي عبد الحميد حامد

الناشر: الدار السلفية ـ بومباي ـ الهند.

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٤٧ ـ الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة:

لسليم الهلالي، وزياد الدبيج.

الطبعة الثانية ـ ١٤٠١هـ

٤٨ ـ جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني لعلي حرازم بن العربي براد المغربي الفاسي.

دار الفكر ـ بيروت.

٤٩ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:

للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني ـ المتوفي ـ سنة ٤٣٠هـ

الناشر: دار الكتاب العربي.

٥٠ ـ حلية طالب العلم:

للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

دار الراية ـ الرياض ـ الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ

٥١ ـ كتاب الحوادث والبدع:

لأبي بكر بن الوليد الطرطوشي.

تحقيق محمد الطالبي.

طبع المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٥٩م.

٥٢ ـ حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

لمحمد بن علوي المالكي.

الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ

٥٣ ـ درءُ تعارض العقل والنقل:

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية..

تحقيق د. محمد رشاد سالم.

طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٥٤ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور:

لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي المتوفي ـ سنة ٩١١هـ

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٥٥ ـ ذم التأويل:

لموفق الدين بن قدامة المقدسي

تحقيق بدر البدر
طبعة الدار السلفية.
٥٦ ـ الرسالة:
للإمام محمد بن إدريس الشافعي.
تحقيق أحمد محمد شاكر.
٥٧ ـ رسالة العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية:
لابن تيمية.
تعليق محمد رشيد رضا ـ تخريج بدر البدر.
طبعة مكتبة ابن الجوزي.
٥٨ ـ الرسالة في أصول الحنفية:
لأبي الحسن الكرخي.
المطبوع ضمن كتاب تأسيس النظر لأبي زيد الدبوسي.
٥٩ ـ رياض الصالحين:
للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفي ـ سنة ٦٧٦هـ
حققه وخرج أحاديثه عبدالعزيز رباح ـ وأحمد يوسف الدقاق.
راجعه شعيب الأرناؤوط
الناشر: دار المأمون للتراث ـ دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.
٦٠ ـ الزهد:
للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المتوفي ـ سنة ٢٤١هـ
المكتبة العلمية.
٦١ ـ الزهد:
للإمام عبدالله بن المبارك المروزي المتوفي ـ سنة ١٨٠هـ
تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.
دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٦٢ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها:
للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
منشورات المكتب الإسلامي.
٦٣ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة:
للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
مكتبة المعارف ـ الرياض.

٦٤ ـ السنة:
لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني.
تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.
طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
٦٥ ـ السنة:
للإمام أبي عبدالرحمن عبدالله بن الإمام أحمد المتوفي ـ سنة ٢٩٠هـ.
تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني.
دار ابن القيم ـ الدمام ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ
٦٦ ـ سنن ابن ماجه:
للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني.
تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.
طبع/ المكتبة العلمية ـ بيروت.
٦٧ ـ سنن أبي داود
لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني.
دار إحياء السنة النبوية.
٦٨ ـ سنن الترمذي:
لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سوره ـ المتوفي سنة ٢٧٩هـ
تحقيق أحمد محمد شاكر.
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ القاهرة.
٦٩ ـ سنن الدارمي:
للإمام أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي المتوفي ـ سنة ٢٥٥هـ
دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.
٧٠ ـ السنن الكبرى:
لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي.
مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد ـ الهند: ١٣٥٤هـ.
٧١ ـ سنن النسائي:
للحافظ أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي.
الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
٧٢ ـ السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات:
لمحمد بن عبدالسلام الشقيري.
طبع دار الكتب ـ بيروت ١٤٠٠هـ

٧٣ ـ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية:
لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٧٤ ـ سير أعلام النبلاء:
للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ المتوفي سنة ٧٤٨هـ.
تحقيق شعيب الأرناؤوط.
٧٥ ـ السيرة النبوية:
لأبي محمد عبدالملك بن هشام.
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة.
٧٦ ـ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء:
للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي ـ المتوفي سنة ٣٥٤هـ.
مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة الأولى.
٧٧ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم:
لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ـ المتوفي سنة ٤١٨هـ
تحقيق: د. أحمد سعد حمدان.
الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض.
٧٨ ـ شرح السنة:
لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ـ المتوفي سنة ٣٢٥هـ.
تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني.
دار ابن القيم.
٧٩ ـ شرح السنة:
للإمام المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي ـ المتوفي سنة ٥١٦هـ.
تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش.
الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
٨٠ ـ شرح العقيدة الطحاوية:
لابن أبي العز الحنفي.
المكتب الإسلامي ـ الطبعة الرابعة.
٨١ ـ شرح الكوكب المنير:
لمحمد بن أحمد بن عبدالعزيز المعروف بابن النجار.
الناشر: جامعة الملك عبدالعزيز
طبعة دار الفكر ـ دمشق.

٨٢ ـ الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء والمارقين:
لأبي عبدالله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي ـ المتوفي سنة ٣٨٧هـ
تحقيق الدكتور رضا نعسان ١٤٠٤هـ
مكتبة الفيصلية بمكة.
٨٣ ـ شروح سقط الزند:
لأبي العلاء المعري.
طبع دار الكتب المصرية.
الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٣٦٤هـ.
٨٤ ـ شرف أصحاب الحديث:
لأبي بكر الخطيب البغدادي.
نشر كلية الإلهيات بأنقرة.
تحقيق: محمد سعيد خطيب أوغلي.
دار إحياء السنة النبوية.
٨٥ ـ الشريعة:
لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ـ المتوفي سنة ٣٦٠هـ
تحقيق: محمد حامد الفقي.
طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٨٦ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء:
لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ـ المتوفي سنة ٨٢١هـ
نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤٠٥هـ.
٨٧ ـ صحيح البخاري:
لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ـ المتوفي سنة ٢٥٦هـ.
الناشر: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع استانبول ـ تركيا.
٨٨ ـ صحيح الجامع الصغير:
للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٢هـ.
٨٩ ـ صحيح سنن ابن ماجه:
للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض، الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٨هـ.
٩٠ ـ صحيح مسلم:
للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ـ المتوفي سنة ٢٦١هـ.

تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٩١ ـ صحيح مسلم بشرح النووي:
لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي.
المطبعة المصرية.
٩٢ ـ طبقات الحنابلة:
للقاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلى.
تصحيح: محمد حامد الفقي.
طبع السنة المحمدية ـ القاهرة.
٩٣ ـ الطبقات الكبرى:
لابن سعد.
نشر دار صادر ـ بيروت.
٩٤ ـ ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة.
للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
نشر المكتب الإسلامي ـ بيروت.
الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٥هـ.
٩٥ ـ العبودية:
لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.
المكتب الإسلامي ـ الطبعة السادسة ١٤٠٧هـ
٩٦ ـ عقيدة أصحاب الحديث:
للشيخ محمد بن إسماعيل الصابوني.
المطبوع ضمن مجموعة الرسائل الكمالية جـ ٣
٩٧ ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود:
لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي.
الناشر: دار ابن تيمية ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ
٩٨ ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام:
للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
المكتب الإسلامي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ
٩٩ ـ فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه:
لأبي عمرو صلاح الدين عبدالرحمن بن عثمان بن موسى المشهور بابن الصلاح ـ المتوفي سنة ٦١٨هـ.

دار المعرفة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
١٠٠ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري:
لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ المتوفي سنة ٨٥٢هـ.
المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة.
١٠١ ـ الفرق بين الفرق:
لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ـ المتوفي سنة ٤٢٩هـ.
تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.
الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.
١٠٢ ـ الفروق:
للإمام شهاب الدين الصنهاجي القرافي.
الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.
١٠٣ ـ الفقيه والمتفقه:
لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي.
مطابع القصيم ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ
١٠٤ ـ الفوائد:
للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ المتوفي سنة ٧٥١هـ.
طبع المكتبة السلفية ـ المدينة.
١٠٥ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير:
لمحمد بن عبدالرؤوف المناوي.
الناشر: المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.
١٠٦ ـ في ظلال القرآن:
للسيد قطب.
دار الشروق ـ الطبعة التاسعة ١٩٨٠م.
١٠٧ ـ القاموس المحيط:
لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ـ المتوفي سنة ٨١٧هـ.
الناشر: مؤسسة الرسالة.
١٠٨ ـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام:
لأبي محمد عبدالعزيز بن عبد السلام السلمي.
نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٠٩ ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع:

لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي ـ المتوفي سنة ٩٠٢هـ.
الناشر: المكتبة العلمية ـ بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ.

١١٠ ـ القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل:
للشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري.
طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض ـ ١٤٠٥هـ.

١١١ ـ الكامل في ضعفاء الرجال:
للحافظ أبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني.
طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

١١٢ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس:
لإسماعيل بن محمد العجلوني.
تصحيح وتعليق: حمد الفلاش.
طبع ونشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

١١٣ ـ الكواكب الدرية وتخميس البردة البوصيرية:
مجهولة الطباعة، توزيع وزارة أوقاف الكويت.

١١٤ ـ لسان العرب:
لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور:
دار صادر ـ بيروت.

١١٥ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:
للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.
طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

١١٦ ـ مجلة الدعوة السعودية العدد ١١٣٩ ـ ٩ رمضان ١٤٠٨هـ.

١١٧ ـ مجموع الفتاوى:
لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ـ المتوفي سنة ٧٢٨هـ.
جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.
مكتبة المعارف ـ الرباط ـ المغرب.

١١٨ ـ محاضرات في النصرانية:
للشيخ محمد أبوزهرة.
طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ـ ١٤٠٤هـ.

١١٩ ـ مختصر الفتاوي المصرية:
لبدر الدين أبي عبدالله محمد بن علي الحنبلي البعلي ـ المتوفي سنة ٧٧٧هـ.
صححه: محمد حامد الفقي.
الناشر: دار ابن القيم ـ الدمام ـ الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
١٢٠ ـ المختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول لأبي شامة.
طبعة الصحوة الإسلامية ـ الكويت.
١٢١ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:
للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ـ المتوفي سنة ٧٥١هـ.
تحقيق: محمد حامد الفقي.
الناشر: مكتبة السنة المحمدية القاهرة ـ ومكتبة ابن تيمية.
١٢٢ ـ المدخل:
لأبي عبدالله محمد بن محمد العبدري الشهير بابن الحاج.
الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
١٢٣ ـ المستدرك على الصحيحين:
للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي.
دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١٢٤ ـ المستصفى:
لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي.
طبعة دار صادر ـ بيروت.
١٢٥ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـ المعروف «بخطط المقريزي»:
لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي المتوفي ـ سنة ٨٤٥هـ.
الناشر: مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٨٧م.
١٢٦ ـ المورد في عمل المولد:
للشيخ الإمام أبي حفص تاج الدين الفاكهاني ـ المتوفي سنة ٧٣٤هـ.
مكتبة المعارف ـ الرياض.
١٢٧ ـ الموطأ:
للإمام مالك بن أنس
تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
نشر: دار إحياء الكتب العربية، ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٢٨ ـ المسند:
للإمام أحمد بن حنبل ـ المتوفي سنة ٢٤١هـ

نشر المكتب الإسلامي.
١٢٩ ـ مسند الشافعي:
لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي ـ المتوفي سنة ٢٠٤هـ
طبع دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٧٠هـ.
١٣٠ ـ مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث:
للدكتور محمد أمان بن علي الجامي.
طبعة دار الإفتاء.
١٣١ ـ مشكاة المصابيح:
للشيخ ولي الدين محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي
تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.
منشورات المكتب الإسلامي ـ دمشق.
١٣٢ ـ المصنف:
للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ـ المتوفي سنة ٢١١هـ.
نشر المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
١٣٣ ـ المعجم الأوسط:
للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ المتوفي سنة ٣٦٠هـ.
تحقيق: الدكتور محمود الطحان.
طبع مكتبة المعارف ـ الرياض.
١٣٤ ـ المعجم الكبير:
للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ المتوفي سنة ٣٦٠هـ
طبعة وزارة الأوقاف العراقية إحياء التراث الإسلامي.
١٣٥ ـ المعرفة والتاريخ:
لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي ـ المتوفي سنة ٢٧٧هـ.
تحقيق: الدكتور أكرم ضياء العمري.
مطبعة الإرشاد ـ بغداد.
١٣٦ ـ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقيا والأندلس والمغرب:
لأحمد بن يحيى الونشريسي ـ المتوفي سنة ٩١٤هـ.
طبع دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠١هـ
١٣٧ ـ المقاصد الحسنة:
لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي.
طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٣٨ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:
لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري.
تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.
الناشر: مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٣٨٩هـ.
١٣٩ ـ مقتل الحسين وفتاوي العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر لمرتضى عياد.
الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر ـ بيروت.
١٤٠ ـ الملل والنحل:
لأبي الفتح محمد بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ـ المتوفي سنة ٥٤٨هـ.
تحقيق: عبدالعزيز محمد الوكيل.
الناشر: دار الفكر العربي للطباعة والنشر ـ بيروت.
١٤١ ـ منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل:
للدكتور ربيع بن هادي مدخلي.
الدار السلفية ـ الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
١٤٢ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال:
لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ المتوفي سنة ٧٤٨هـ.
الناشر: دار المعرفة ـ بيروت.
١٤٣ ـ النكت على كتاب ابن الصلاح:
للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢هـ.
تحقيق ودراسة: د. ربيع بن هادي عمير مدخلي.
طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
١٤٤ ـ النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزير الحميد:
لأبي سليمان جاسم الفهيد الدوسري.
طبع دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ الكويت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
١٤٥ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر:
لمجد الدين أبي السعادات محمد بن الأثير الجزري.
تحقيق: طاهر أحمد الزاووي ومحمود الطناحي.
طبع دار إحياء الكتب العربية.
١٤٦ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:
لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان.
تحقيق: د. إحسان عباس.

نشر دار صادر ـ بيروت.

١٤٧ ـ كتاب ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها:

لأحمد عبد الجواد.

طبعة مجهولة.



فهرس الموضوعات

